



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٥٤٥



جامعة أم القري

مكة المكرمة

كلية اللغة العربية

الروح الإسلامية في شعر ابن مسروق

بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير
في الأدب

٥٤٥

إعداد الطالبة : صالحة محمد علي خفاجي

إشراف سعادة الدكتور : محمد بن عبد المجيد



١٤٠٣/١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣/١٩٨٢ م



جامعة أم القصر
مملكة الأردن
كلية اللغة العربية

الروح الأدبية في شعر سعد الدين حسني

بمبحث مقدم
لنيل درجة الماجستير
في الأدب

إعداد الطالبة : صالحة محمد علي خفاجي
إشراف معادة الدكتور : محمد نبي عجايب

١٤٠١/١٤٠٢ هـ - ١٩٨١/١٩٨٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي العربي الذي
أدبه ربه فأحسن تأديبه .

وبعد ، فان الرغبة في دراستي للأدب السعودي بعامة فضلا
عن أحد أعلامه لم تكن وليدة هذه الأيام ، بل يرجع العهد
بها الى ما قبل ذلك بأعوام حين كنت طالبة بمرحلة البكالوريوس ، وأتيح
لي ان ذاك فيما أتيح الاطلاع على جوانب نيرة من هذا الأدب قديمه
وحديثه وكانت حقا مختارات رائعة هتت لها قلبي ، وانشرح بها صدري ،
ورأيتني مشغوفة به ميالة اليه ، اما لجودته وأصالته واما لأنه ثمرة
قراءتنا ونوب أفئدتنا فأخذت أقلب صفحاته واتنقل بين فنونه ،
ولم يزدني ذلك الا اعجابا به وميلا اليه ، ويمضي الزمن ، والأيام
لا تزيدني الا كفا به وصبوة اليه ، فلما انفتح أمامنا مجال الدراسة
الأكاديمية الحرة للحصول على درجة الماجستير ، كان طبيعيا أن أتجه
اليه اشباعا لرغبتني من ناحية وأداء لرسالتني من ناحية أخرى
فأودى بذلك حقا حان أدائه ، ووجب قضاؤه ، ألا وهو حق العلم في
ذاته وهو حق مقدس .

نعم لقد آن لنا أن نقف من أدبنا العربي السعودي وقفة جادة
خالصة لنوفيه حقه أو بعض حقه فلن ينهض أدبنا الحاضر الا باحيا
ماضيه ، وانطلاقا من هذا المنطلق كانت دراستي في الأدب السعودي
وفي جانبه الشعري .

ولنما اخترت لمن مشرف لاعتبارات أهمها :

- ١ - أنه عبر بشعره عن قضايا أمته ومشكلاتها .
- ٢ - أنه لم ينل ما يستحقه من الدراسة والبحث .

وقد تغللت هذه المسيرة العلمية بعض الصعوبات ، ولكنها لم تكن لتصرفني عما عزمت عليه ولعل من أهمها :

عدم الحصول على بعض المراجع التي تعني بجانبهم من جوانب بحثي الأمر الذي كان يضطرني الى ترك فصل من الفصول والبدء بغيره ريثما تتوفر لي الأخرى .

والأمر الآخر الذي عانيت منه هو عكوفي على دراسة شعرا من مشرف من خلال طبعة رديئة مليئة بالأخطاء من تصعيف وتحريف لكثير من كلماتها .

ويجدر بي أن أشير الى مؤلفات هامة استعنت بها في دراستي هذه ، وأعني بهما كتاب الدكتور عبدالله الحامد وهو الشعر في الجزيرة العربية نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال قرنين ١١٥٠ هـ - ١٣٥٠ هـ .

وكتاب (الأُدب الحديث في نجد) لمحمد بن سعد بن حسين .
وكتاب (شعراء هجر من القرن الثاني عشر الى الرابع عشر) للأستاذ عبدالفتاح الحلو .

وكتاب (سلافة العصر في محاسن الشعر بكل مصر) لعلي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم وقد اعتمدت عليه في دراسة الشعراء في القرن الحادي عشر الهجري .

أما منهجي في هذا البحث فهو منهج تكاملي يقوم على أكثر من منهج فهو يضم منهجا تاريخيا ومنهجا طبيعيا وهو دراسة الأديب في بيئته ثم منهجا نقديا تحليليا يهتم بالنص الأدبي وإبراز معالمه الفنية .

وعلى هذا استقر البحث في تمهيد و ثلاثة أبواب وخاتمة .

أما التمهيد ، فقد تناولت فيه بالتفصيل بيئة الشاعر (الأحمس) لأنها لا تزال مطوية الصفحة عن الكثيرين من أبناء الوطن العربي الكبير إذا قيست ببيئتي الحجاز ونجد وكان همي الأكبر أن أعرف بها تعريفا جامعاً مانعاً يلقي عليها الضوء ويدخلها في مجال الدراسات المختلفة وبخاصة الدراسات العلمية والأدبية ، وقد اقتضاني ذلك أن أعرف بها أولاً تعريفاً جغرافياً يحدد موقعها من الجزيرة ودول المنطقة وفي الوقت نفسه يبرز العوامل المختلفة التي تؤثر في حياة الأديب ومزاجه فمحالي الطبيعة ومشاهدها ، وأوقسوتها وموسمها ، وطيب المناخ واعتداله أو ثورته وتقلبه ، فضلاً عن الظروف الاقتصادية مما يؤثر في الأدب ويلونه بألوانه المختلفة .

أما الباب الأول : فقد تناولت فيه بالدراسة عصر ابن مشرف من الناحية الدينية والسياسية والعلمية والأدبية .

وتناولت في الباب الثاني حياته وآثاره وتمثل ذلك في :

نسبه وقبيلته ، مولده ونشأته ، ثقافته ، شيوخه وتلاميذه ، مكانته في قومه ، وفاته ، آثاره العلمية والأدبية وأهمها مختصر صحيح مسلم ومنظومة عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في رسالته ، وديوانه .

أما الباب الثالث والاخير وهو بيت القصيد أفردته لمظاهر الروح
الاسلامية في شعره وخصائصه الفنية وتمثل ذلك :

أولا — في شعر الدفاع عن الدعوة وذلك شرحا لأفكارها ومناقضة
لخصومها .

ثانيا — في شعره السياسي والاجتماعي .

ثالثا — في المدح والتهنئة .

رابعا — في الوصف .

خامسا — في شعر الأخلاق والحكمة .

سادسا — في مراثيه .

سابعا — في الاخوانيات .

ثامنا — في منظوماته التاريخية .

تاسعا — زهدياته

عاشرا — في الغزل

ثم خصائص شعره الفنية .

وشخصيته الأدبية .

وأخيرا قمت بتلخيص البحث وذيلته بالنتائج التي أسفر عنها فإن

كنت فيه على شيء من التوفيق ، وهذا ما أرجوه ، فيفضل الله تعالى لأن

هذا التوفيق . . . والا فحسبي أنني ألقيت الضوء على شاعر اسلامي غيور

كان شعره سجلا لمعالم الدعوة الاصلاحية التي نبتت في نجد ،

والتي أضأت ما أظلم من عقول العامة من المسلمين .

وفي الختام لا يسعني الا أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من عاونني في هذا

البحث ، وبخاصة أستاذي المشرف الدكتور محمد نبيه حجاب الذي منحني من

علمه ووقته الكثير مما أعانني على المضي في هذه الدراسة . كما أخص بالشكر

أيضا أعضاء اللجنة الموقرة الذين توافروا على هذا الجهد بالتقييم والتقويم

والله يهدي للتي هي أقوم سبحانه وتعالى . . . انه نعم المولى

ونعم النصير .

التعريف ببيئة الشاعر (الأخصاء)

مدخل جغرافي

تتجه الدراسات الحديثة ، في مجال التراجم الأدبية ، إلى الكشف أولاً عن البيئة التي درج الأديب على أدبها ، وشدا بين أعضائها ، قبل الكشف عن آثاره وأسواره .

وإن كان ذلك قد أصبح أمراً مفروضاً ، بل واجباً ، ولازماً بالنسبة لجميع الأدباء والشعراء ، فإنه بالنسبة لبيئة ابن مشرف بالذات ألزم وأوجب من حيث أنها الرقعة المغشورة التي كانت ولا زالت مطوية الصفحة عن الكثيرين من أبناء وطننا العربي الكبير ، وبخاصة أبناءه في مصر والشام وشمال العراق وما وراء مصر والشام والعراق ، فقصارى ما يعرفه عنها أهل هذه البلاد أنها جزء صغير من شرقي الجزيرة يتدفق الآن بالثروات المعدنية .. أما حدودها ومعالمها ، ومناخها وسكانها وطبيعتها الجغرافية ومواردها الاقتصادية فضلاً عن الناحيتين العلمية والأدبية فقلما يحيط بذلك أحد في تلك البقاع النائية ، ومن ثم وجب علينا في البحث في تراث أحد أعلامها الشعراء ، أن نعرف بهذا الإقليم تعريفاً شاملاً ، لا يقتصر على الناحيتين العلمية والأدبية ، بل يشمل أيضاً ، وقبل ذلك ، الناحية الجغرافية التي تجلوصفحة ، وتبرز معالمه والتي تكشف اللثام أيضاً عن مناظرها الطبيعية التي ألهمت الشعراء وظروفها الاقتصادية التي تأثر بها الأدباء ، وتلون بها الأدب .

لتفصيل ذلك نقول :

ولقد كان هذا الإقليم منذ فترات موزلة القدم يشكل جزءاً هاماً من

أرض الجزيرة العربية ، وذلك لخصب أراضيها ، ووفرة مياهها إضافة الى كونه ملتقى الطرق التجارية الهامة التي كانت تربط الجزيرة العربية بفراس والهند ، وبلدان شرق أفريقيا (١) .

واشتهرت الأحساء بوفرة مياهها وتعدد ينابيعها ، ومن تلك الينابيع أخذت الأحساء اسمها ، قال المبرد في الكامل :

” الحساء جمع حسي وهو موضع رمل تحته صلابة ، فإذا أمطرت السماء على ذلك الرمل ، نزل الماء فمنعته الصلابة أن يفيض ومنع الرمل السماء أن تنشفه فإذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء ، يقال حسي وأحساء وحساء ” (٢) .

حدودها :

يحدّها شمالا القطيف وجودة .
وشرقا رمال العقير .
وغربا عقبة الفروق .
وجنوبا رمال يسيرين (٣) .

قال الشاعر ابن المقرب في الأحساء :

يا حبذا بلد الحساء فإنه
لوساءني واد الى محبب (٤)

-
- (١) تاريخ الأحساء السياسي ، لمحمد عرابي نخلة : ص ١٨ .
 - (٢) الكامل للمبرد : ج ١ ص ٧٦ .
 - (٣) تحفة المستفيد ، لمحمد آل عبد القادر : ج ١ ص ٤ .
 - (٤) ديوان ابن المقرب : ص ٨٥ .

مناخ الأحساء :

اقليم الأحساء مرتفع عن سطح البحر واقع في أرض منبسطة ليس فيها جبال ولا أكام صخرية تمنع توجع الهواء ، وقد توجد بعض الحرارة نهارا ولكن سرعان ما يزول ذلك عندما تهب نسائم الليل العليلـة ويبقى كذلك حتى يتعالى النهار ويقوى سلطان الشمس (١) .

ثرواتها :

وهي متعددة الثروات لكن أهمها الثروة النباتية التي تعتمد على خصوبة التربة ووفرة المياه ، وبلغ عدد ينابيع الأحساء الفيزية أكثر من ستين ينبوعا ونتيجة لوفرة تلك المياه كانت محصولات الأحساء النباتية والحيوانية من أكثر محصولات شرقي الجزيرة العربية وفرة وخصوبة . أما محصولها الرئيسي فهو التمر ومن أجود أنواعه " الخلاص " .

ومن أشهر فواكه الأحساء الاترنج والليمون والرمان (٢) ، وفي ذلك يقول الشاعر عبد العزيز بن حمد :

نمير ومعتل النسيم بها يهب	فتريتها مسك وسلسل مائها
من النخل والأشجار والنبات والزهر	وأيسر ما فيها حنان تنظمت
لنا الخصب ان ضن السحاب بما	فمن باسقيات راسيات ضوامن
وتين ورمان يشف من القش	وخوخ و تفاح وكرم منضد
كما أنه يحكى النوافج في الن	وبين ترنج كالفناديل ناضر
الى غير ذنا مما يجلب عن الحص	وورد وريحان وجنى جناؤه

(١) تحفة المستفيد ج١ ص ٥١
(٢) تاريخ الأحساء السياسي ص ١٩٠

(١) يعلل مسقوم الهوى نفسه بها لما لشبهته من حلي ربة الخدر

ومن ثرواتها الحيوانية الخيول العربية الأصيلة ، والابل والفنم .

ومن ثرواتها الطبيعية سابقا اللؤلؤ* فقد كان تجارة رابحة ، أما اليوم فان أهم ثروات المنطقة * البترول* (٢)

سكانها :

سكان الأحساء القدامى خليط من قبائل عربية متعددة يرجع معظمها الى بنى (عبد القيس) و (بكر بن وائل) و (تميم) وقد دخلوا في الاسلام على يد (العلاء بن عبد الله الحضرمي) الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى الأحساء ، فأسلم على يديه بعض سكانها وصالحه الباقر على دفع الجزية (٣) .

أما اليوم فتسكنها قبائل عربية عديدة منها (العجمان) و (آل مرة) و (العوازم) و (بنو خالد) وفي هذه القبيلة كانت السيادة والحكم في الأحساء لفترات ، وقد تحضر قسم كبير من أبناء هذه القبيلة واستقر (٤) .

من أشهر مدنها :

الهفوف : وسميت بذلك لتهافف الناس اليها أى تهافتهم عليها

(١) شعراء هجر/ لعبد الفتاح الحلو ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٢) تاريخ الأحساء السياسي ص ١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩-٢٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠ .

ورغبتهم في سكناها وهي عاصمة الأُحساء ومدينة التجارة والبيع والشراء ومقر الأُمارة ، وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية من رقعة الأُحساء يفصلها عن جميع قرى الأُحساء سياج من النخيل والحدائق (١) .

المبرز : بالميم المضمومة بعدها باء وراء مهلة مشددة ثم زاي معجمة وقد سميت بذلك لبروز حاج الأُحساء اليها واجتماعهم فيها في الزمان الأول ، وتقع شمال (الهفوف) بينهما ثلاثة أكيال تفصل بينهما واحة من النخيل (٢) .

هذا وقد عرف هذا الاقليم قديما باسم (البحرين) .

ثم (هجر) و (الأُحساء) و (الخط) ثم أطلق عليه في وقتنا الحاضر اسم المنطقة الشرقية (٣) .

-
- (١) تحفة المستفيد ج ١ ص ٢٧ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٤١ .
(٣) المرجع السابق ج ١ المقدمة ص هـ .



الباب الأول

مصردين مشرف

- * الحياة الدينية .
- * الحياة السياسية .
- * الحياة العلمية والأدبية .

الحياة الدينية

منيت جزيرة العرب بل والعالم الاسلامي في القرن الثاني عشر بتدهور ديني وسياسي ، وقد صور المؤرخون تلك الحال ومنهم ابن غنام مؤرخ نجد .

فقد وصف ما حل بالبلاد العربية عامة ونجد خاصة قبل ظهور الحركة الاصلاحية من الناحية الدينية وصفا دقيقا وذكر لكل بلد خرافاته ، وما يتعلق به أهله من القبور والاحجار فذكر في بلدة (الجبيلة) قبر " زيد بن الخطاب " وما كان يرتكبه أهلها من الأعمال المنافية للدين من دعوته لتفريج الكرب وكشف النوب ، وفي " شعيب غبراء " يفعل أيضا من المنكر ما لا يعهد مثله ويزعمون أن فيه قبر " ضرار بن الأزور " وذلك كذب وبهتان ، وفي بلدة " الفدا " نخل معروف بالفحال يأتونه نساء ورجالا ليتبركوا به ، الى غير ذلك مما ذكره ابن غنام عن سائر البلدان (١) وسبحان القائل * وزين لهم الشيطان ما كانوا يحملون * (٢)

وتبع الشرك وانتشار البدع والخرافات اقدام زعماء الشرفي نجد على قتل العلماء والتخلص منهم لانهم كانوا ما يزالون يدعون الى الهدى بحرارة وصدق وحماس لكنهم ضعفاء وليس هناك من يحميهم ويدود عنهم ، وبقتلهم صفا الجوللمعابئين والاشرار فلم يعد هناك من يذكرهم بمذاب الله ويخيفهم عقابه (٣) .

(١) روضة الافكار والافهام لابن غنام ج ١ ص ٧٠ .
(٢) سورة النمل الآية ٢٤ .
(٣) محمد بن عبد الوهاب لاحمد عبد الغفور عطار ص ١٨-١٩ .

أما الحياة السياسية فكانت أشد فسادا لأن الحكم الاسلامي قد تقلص ظله بانحسار موجة الدين فصار الحكم عشائريا لا يتوخى العدل والحق ، وانفصلت البلدان والقرى بعضها عن بعض وكان كل بلد أسرة وكل بلد أو عديد من البلدان تحت حاكم يجهل شرع الله وقانون العدل ولا يحكم الا بهواه حكما أهوج تدعمه قوة عمياء .

فالاُمير أو الحاكم القوى يعتدى على من هو أضعف منه ويحاربه فيقتل النفوس البريئة ويخرب العمران ويسلب (١) .

وكان في كل بلد قتال ، وفي كل مكان خوف ، وفي رأس كل حاكم جنون يدفعه الى الحرب ، حتى أصبحت نجد ميدان قتال (٢) .

لكن الله أراد للجزيرة وأهلها وللعالم الاسلامي الخير والصلاح وكان ذلك على يد شيخ الاسلام " محمد بن عبد الوهاب " الذي بدر بفضل الله وعونه ظلمات الشرك والباطل والجهل فأشرق أرض الجزيرة بنور الحق والايمان .

(١) محمد بن عبد الوهاب

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

الامام محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ

نسبه وحياته :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد
ابن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف (١) .

ولأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مكانة عالية في مجال العلم
الديني فنذ القرن العاشر الهجري بدأت ترد أسماء أفراد من أسرته
من بين علماء نجد ، فكان " عبد القادر بن بريد بن مشرف قاضيا مشهورا ،
وكان أكبر عالم ظهر في هذه المنطقة خلال القرن الحادي عشر (سليمان
ابن علي) وكان والده الشيخ (عبد الوهاب) على درجة علمية أهلتته
ليصبح قاضيا في بلدة (الميينة) (٢) .

وهكذا ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيت علم وأدب ، ومن
ثم نشأ نشأة دينية بدأها بقراءة كتب الفقه على أبيه وكان رحمه الله
في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل
الاسلام فشرح الله صدره وهداه الى معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة
نواقض المضلة عن طريقه ، وكان الشرك اذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها
وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها
والنذر لها والاستعاذة بالجن والنذر لهم ، والحلف بغير الله وغير ذلك
من ألوان الشرك الأكبر والأصغر (٣)

(١) عنوان المجد لابن بشر ج١ ص ١١٣ .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره لعبد الله العثيمين ص ٢٦-٢٧
(٣) عنوان المجد ج١ ص ١٩٠ .

رحلاته :

خرج الامام من بلدته (العيينة) قاصدا مكة المكرمة للحج ولما
قضى حجه سار الى المدينة المنورة لزيارة مدينة الرسول عليه الصلاة
والسلام .

وظل في المدينة يأخذ عن علمائها ومن أهمهم الشيخ عبد الله
ابن ابراهيم بن سيف (١) من رؤساء بلدة المجمع^(٢) ، ثم العلامة
(محمد بن حياة السندی المدني) (٣) .

ثم ييم الشيخ وجهه الى البصرة فقرأ على عالم جليل من علمائها
هو (محمد الجموعي) وأنكر ما رآه من الشرك والبدع وأعلن بالانكار
واستحسن شيخه قوله ، وقرره التوحيد وانتفع به .

ثم اجتمع على الشيخ ابن عبد الوهاب أناس من رؤساء البصرة وغيرهم
فأذوه أشد الاذى وأخرجوه وقت الظهيرة ، ولقي من المتاعب الكثير شأنه
في ذلك شأن الدعاة لله الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيله ، فخرج
من البصرة وقصد الأحساء ومنها الى (حريملاء) حيث استقر به المقام
فيها ، وكان والده قد انتقل اليها من (العيينة) سنة (١١٣٩ هـ) (٤) .

-
- (١) انتقل مع والده الى المدينة المنورة وقرأ على علمائها ثم جلس في المدينة
لطلاب العلم ، فأخذ عنه العلم خلق كثير من أجلهم الشيخ محمد بن
عبد الوهاب (حاشية عنوان المجد ج ١ ص ٢٠) .
- (٢) بلدة ذات امانة من امارات منطقة الرياض وهي قاعدة سدير
المجمعة : (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية) تأليف حمد الجاسر القسم
(٣) صاحب الحاشية المشهورة على صحيح الامام البخاري ، توفي سنة
(١١٦٥ هـ) (حاشية عنوان المجد ج ١ ص ٢١) .
- (٤) المرجع السابق ج ١ ص ٢٠-٢١ .

دعوته :

شرع الامام في دعوة الناس وكان بد^{*} دعوته في (حريملاء) فدعا الى اخلاص العباد لله عز وجل والتوجه في السراء والضراء اليه وأنكر ما كان يفعله الجاهل من البدع والشرك في الأقوال والأفعال ، وبينما كان الشيخ جادا في دعوته لله حاول كثير من أعداء هذه الدعوة القضاء عليها والنيل من صاحبها فحاولوا قتله فترك (حريملاء) وتوجه الى (العيينة) مسقط رأسه ورئيسها (عثمان بن معمر) آنذاك (١) .

ومكث الشيخ فيها متابعا جهاده في تصحيح العقيدة ، لكن ما لبث المفرضون أن نالوا منه عند حاكم الأحساء (سليمان بن محمد) الذي أمر (عثمان بن معمر) بقتله فأوعز (ابن معمر) للشيخ بالخروج من (العيينة) فخرج منها قاصدا " الدرعية " (٢) . (٣) .

وكأنما أراد الله لهذه الدعوة ولصاحبها أن تجد النصر بعد الهزيمة والمؤازرة بعد الخذلان فكانت الدرعية وأميرها " محمد بن سعود " الدرع الواقية لهذه الدعوة فاینعت ثمارها وأنت أكلها ضعفين .

(١) عنوان المجد ٢١ - ٢٢ .

(٢) مدينة من مدن إمارة الرياض ، فيها إمارة يتبعها عدد من القرى - المعجم الجغرافي للبلاد السعودية القسم الأول ص ٥٧٣ .

(٣) عنوان المجد ج ١ ص ٢٣ - ٢٤ .

الحكم السعودي ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

بداية تأسيس هذا الحكم كانت في القرن الثاني عشر الهجري على يد الامام " محمد بن سعود " رحمه الله الذي تولى حكم الدرعية سنة (١١٣٩ هـ) (١) وبعد توليه الحكم أتاه الامام محمد بن عبد الوهاب داعيا الى العودة الى منابع العقيدة الصحيحة ونبذ الخرافات والبسود فأحسن الامام (محمد بن سعود) استقباله وقال له :

" ابشر ببلاد خير من بلدك وبالعز والمنعة فقال له الشيخ : وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين وهذه كلمة التوحيد التي دعت اليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل لها ونصرها ملك بها البلاد والعباد " (٢) .

ثم أوضح الشيخ للامام ابن سعود مبلغ ما وصلت اليه نجد كلها وأقطارها من الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم ، ثم شرح لـه الاسلام وشرائعه وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدعوة الى التوحيد والقيام بنصرته والقتال في سبيله . فلما شح الله صدر محمد بن سعود لذلك بايعه (٣) .

وكان هذا هو المنطلق لهذه الدعوة وهو أيضا ما قامت عليه الدولة السعودية التي جاهد حكامها دائما في سبيل اعلاء كلمة الله وتوحيد

(١) عنوان المجد ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

حتى عادوا بالحكم والحياة كلها في جزيرة العرب الى الصانع الاسلامي
الصافية .

وفاته :

شهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثمار دعوته وجهاده فأبصر المجتمع
الاسلامي الذي يريده ، وقد أسسه على مبادئ الاسلام الحق وجعل له
مجتمعا انسانيا فاضلا ، وكان كل أفراد أسرته واحدة .

وآن لهذه النفس المطمئنة أن ترجع الى ربها راضية مرضية ففي ذي
القعدة سنة ١٢٠٦ هـ صعدت روح الشيخ الى بارئها بعد أن أقام
بيديه وقلبه وإيمانه هذا الصرح الاسلامي الضخم وبعد أن أثار نجدا
والجزيرة العربية بدعوته العظيمة التي ما تزال تحيا حياة القوة والعز
والتمكين حتى هذا اليوم بفضل الله (١) .

وصدق الله العظيم إذ يقول : * ولينصرن الله من ينصره ان الله
لقوى عزيز * (٢) .

وقد رثاه الشعراء بعيون المراثي من مثل مرثية الشيخ حسين بن
غنام ومنها :

سما ذروة المجد التي ما ارتقى اليها
سواه ولا حازاه فيها سميدع
وشمر في منهاج سنة أحمد
يشيد ويحيي ما تعفى ويرقع

(١) محمد بن عبد الوهاب ص ١٠٠-١٠١ .

(٢) سورة الحج آية (٤٠) .

(١) يناظر بالآيات والسنة التي أمرنا اليها في التنازع نرجع
كما رثاه الشيخ محمد الشوكاني بقصيدة تنيف على مائة بيت منها :
فقد مات طود العلم قطب رحي العلا
ومرکز أوار الفحول الأفاضل
محمد ذو المجد الذي عز دركه
وجلّ مقامه عن لحوق المطاول
الوعابد الوهاب يعزى وإنه
سلالة أنجاب زكي الخصائل
عليه من الرحمن أعظم رحمة
(٢) تبيل ثراه بالضحى والأضائل

(١) عنوان المجد ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق (حاشية نفس الصفحة) .

أثر الدعوة الاصلاحية في الشعر السعودي

كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شمساً ساطعة الضياء في أرجاء العالم الاسلامي عامة وفي البلاد السعودية خاصة ، فهي دعوة كان هدفها تحرير العقل الاسلامي وتنقية العقيدة مما علق بها من شوائب الجهل والفساد .

ولعل نظرة منصفة الى المجتمع الاسلامي قبل الدعوة الاصلاحية وبعدها تبين أثرها في ايقاظ الفكر بعامة سواء من الناحية العقائدية أو من الناحية الاجتماعية والسياسية ، فقد كانت البداية ليقظة فكرية عامة .

وكان لا بد للأرب أن يتأثر بها باعتباره جانباً هاماً من جوانب الفكر الانساني فقد أيقظت هذه الدعوة بايجابياتها وانتصاراتها روح الشعر فدبت فيه الحركة وبدأ يفيق من ثباته الطويل ، فلم تكد الدعوة الاصلاحية يرتفع صوتها في نجد حتى تجاوزت معه أنحاء الجزيرة الأخرى .

ومن الذين همزتهم الدعوة فانطلقت قرائحهم الأمير " محمد الصنعاني " حيث يقول :

سلامي على نجد ومن حل في نجد

وان كان تسليمي على البعد لا يجدي

لقد صدرت من سفح " صنعا " سقى الحيا

رباها وحياتها بقمهقه الرعد

تقي واسألي عن عالم حل سوحها

به يهتدي من ضل عن منهج الرشيد

محمد الهادي لسنة أحمد

(١)
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

وكتب محمد الخفطي قصيدة يدعوفها امام اليمن الى تطبيق التعاليم
الاسلامية وفيها يقول :

فيا أيها الحي اليماني دونكم

نداء الى التوحيد لبوالداعي

وهذا كتاب الله يحكم بيننا

ويشهد بالحق المبين ويقضي

ينادي الى التوحيد في كل آية

(٢)
وينهى عن الشرك الجلي وخافيه

واذا كان للدعوة أنصار يذودون عنها فقد كان لها بالمقابل خصوم ينالون
منها فشبت بين هؤلاء وهؤلاء مناقضات شعرية ، وكان غي ذلك اثراء
للشعر أيما اثراء :

ومن ذلك قصيدتان بين ابن غنام ومحمد بن فيروز (٣) ، فقد

(١) روضة الأفكار والافهام ج ١ ص ٤٦ .

(٢) نفحات من عسير لآل الخفطي ص ٥٦ .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن فيروز والد عبد الوهاب بن فيروز صاحب الحاشية
على الروض المربع شرح زاد المستقنع ، ومحمد بن فيروز من أعداء
الدعوة السلفية . وقد توفي بالعراق عام ١٢١٦ هـ (مشاهير علماء
نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ ص ١٤٩ - ١٥٠) .

كتب ابن فيروز قصيدة يمدح بها " ثويني بن عبدالله " الذي ولاه
سليمان باشا والي بغداد قيادة جيش لحرب الدرعية ومطلعها :

أنا مل كف السعد قد اثبتت خطأ

(١) بأقلام حكام لنا حررت ضبطها

فرعليه ابن غنام :

على وجهها المرسوم بالشو*م قد خطأ

عروس هوى ممقوتة زارت الشـطـا

تخطت فأخطت في المساعي مرامها

ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا

وثارت لنا الشرك تذكي ضرامها

وسارت فبارت والاله لها قطا

ولا كابن فيروز يروم سفاهة

دفاعا لحق في البرية قد خطا

يغالב أمر الله ، والله غالـب

ويندب من لا يملك الرفع والخطا

فتبدو سحقا يالها من مقالـة

(٢) من الافك والبهتان قد سحبت مرطـا

(١) روضة الافكار والافهام ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٩٠-١٩١ .

ومن تلك النقائص قصيدة حسن بن خالد من أهل الخلاف ، يقول :

أما الرسائل التي تأتي من ال داعي فأمرأته من مدخل
لكنها جاءت بأيدي عصبة عطلوا بضد فصل مع مجمل
بل صرحوا بالشرك في كل الوري من آفة الهادي بغير تأمل
وكم استباحوا من شيوخ ركع كم من تقي عابد متبتل (١)

وهي جواب لقصيدة بعث بها الشيخ محمد بن أحمد الخفط سنة ١٢١٥ هـ
يدعو فيها حاكم المخلاف السليمانى على بن حيدر لاعتناق أفكار الامام
والاستجابة لدعوته ويدافع عنه ، يقول :

ويذب عن شرع النبي محمد

ويذم من يدعو النبي أو الولي

ان كان ظنا أن فيه غلاظة

وفظاظة وشكاية لم تجمل

فأقول حاشا ان فيه ليونة

(٢) وبشاشة للمقبل المستقبل

وهذه القصيدة بادرا إلى الرد عليها فور وصولها لدى حاكم المخلاف
أربعة من علماء المنطقة منهم حسن بن خالد في قصيدته المذكورة .

ومن القصائد التي قيلت في الدفاع عن الامام ابن عبد الوهاب

(١) نفحات من عسير ص ٦٠، ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٨، ٥٩ .

أيضا قصيدة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ التي قالها
ردا على عثمان بن منصور (١) الذي امتدح داود بن جرجيس (٢) لتأليفه
كتاب (التقديس) في الرد على الوهابية ، يقول ابن منصور :

سرت من ربا نجد تجر ثيابها

معطرة الأردان كالنفل المشرى

من الخل عثمان التميمي نظمها

(٣) على نقض زيف من طغام صدى وكر

(١) عثمان بن عبد العزيز بن منصور الناصري العامري التميمي الحنبلي قاض
نجدى كان على خلاف مع الامام محمد بن عبد الوهاب ، وصلاح ما
بينهما في آخره تولى قضاء سدير وصنف كتابا فيها " شرح كتاب
التوحيد لابن عبد الوهاب " وتوفي سنة ١٢٨٢ هـ (الأعلام للزركلي ج ١
ص ٢٠٨) .

(٢) داود بن سليمان بن جرجيس ولد سنة ١٢٣١ هـ وتوفي سنة ١٢٩٩ هـ
متفقه متأدب من أهل بغداد صنف كتابا صغيرة منها " أشد الجهاد
في ابطال دعوى الاجتهاد " رد فيها على حنابلة نجد فيما نسب
اليهم من دعوى الاجتهاد ، وقد رد عليه الشيخ عبد اللطيف بن
عبد الرحمن آل الشيخ بكتاب سماه (منهاج التأسيس والتقديس في

كشف شبهات داود بن جرجيس) الأعلام ج ٢ ص ٣٣٢ .
(٣) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٠٩ وقد أشار مؤلف الكتاب
الى تحريف النساخ لبعض أبياتها حتى أصبحت بدون معنى كما
في البيتين المذكورين (حاشية الصفحة السابقة) .

وقد تناول شعراء الدعوة هذه القصيدة بالازدراء والنقض قال الشيخ
عبد اللطيف آل الشيخ :

هدية عثمان الى شر صاحب

الى الجسر من بغداد بالود والبر

مؤيدة حزب الضلال وثيقة

الى درك النيران أعمالها تسرى

بها من صريح الافك أخبت مسود

(١) وان ظنّها الجبال من خالص التبر

وقد انبرى ابن مشرف أيضا للرد على هذه القصيدة كما سنرى في نقائضه
لخصوم الدعوة .

وتابع شعراء الدعوة مسيرتهم الشعرية وخرجوا بالشعر عما كان
مألوفاً في العصر المملوكي والعثماني (٢) ، وسيطرت الدعوة على موضوعات
الأدب وأغراضه فطبعته بطابعها الديني ، وأثرت فيه تأثيراً واضحاً فصار
الشعراء في ركابها ونادوا بتعاليمها المستقاة من القرآن الكريم
وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمدحوا أعلام الدعوة من أئمة
وقادة كالشيخ وآل سعود ، يقول ابن غنام في الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب :

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٧٨ .

(٢) الشعر في الجزيرة العربية ص ٥١٢ .

هو العارف السامي محمد بن عا

بد الوهاب النحرير والعالم البحر

لقد عضد الاسلام من قد بنى له

براعين حق ليس يضبطها الحصر

فمنها أحاديث صحاح أمدها

فأخرج منها ما يشابهه السدر

وكم آية منها أفاد السامع

مسائل شرع ليس يدركها الفكر

لقد جدد الاسلام بعد اندثاره

(١) فقام منار الدين وانخفض الأشهر

ونلاحظ على مدحة ابن غنام خلوها من المبالغات المعروفة في هذا اللون ، وهذا رأب شعراء الدعوة كابن مشرف وابن عثيمين (٢) في مدائحهم .

-
- (١) عنوان المجد ج١ ص ١٢٤ .
(٢) هو محمد بن عبد الله بن عثيمين ولد عام ١٢٧٠ هـ في بلدة السلمية من أعمال (الخرج) وطلب العلم على أشهر علماء عصره كالشيخ عبد الله الخرجي ومحمد بن مانع في قطر وسعد بن عتيق وكانت له اتصالات بحكام قطر والبحرين وآل سعود فقد عاصر الملك عبدالعزيز ومدحه وهناك في الكثير من فتوحاته ، وقد توفي سنة ١٣٦٣ هـ (ديوانه من ص ٩ الى ١٧) .

وفي وصف المعارك أجاد شعراء الدعوة فهذا ابن عثيمين يقول في
فتح حائل سنة ١٣٤١ هـ:

ويوم كسوت الجوفيه قسا طلا

أعاد النهار المشرق النور مظلما

ملا من الا سماع رعدا سماءه

على كل باغ قد طفى عطر الدما

فما تنطلق الا سياف الا تطلعا

ولا تنطق الا بطال الا تغمما

وكم خدجت فيه الجياد مهارها

وعاد كمت اللون منها مسو ما

ولم يعرف الناعي الحميم حميمه

غداة رآه الغبار ملثما

فان أضحروا فالخيل قيد شريد هم

وان أحصنوا وأبوا الحوما وأعظم ما

أقمت به عرس الهدى بعد ما هوى

(١) وقومته بالبيض حتى تقوم ما

وفي الشعر السياسي نجد ابن مشرف الذي على يديه قوى واشتد هذا
الفن كما سنرى في سياساته ابن عثيمين

وابن سحمان^(١) الذي يدعو الامام عبد الله بن فيصل الى القوة والحزم
والحذر من الاعداء المحيطين به يقول :

وليس ينال الفخر عاشق راحة

ومستوطى * فرش التكاسل ما اعتدا

وليس شديد النخوة اليوم راضيا

بثوب الهوينا والعدا تلبس الحمدا

واياك أن تغتر منهم بمنطق

لبيب فان السم قد يمزج الشهدا

ففي ما مضى من مكرهم وخداعهم

دليل وارشاد لمن يتبع الرشدا

ومن لم تخف منه العدا في بلادها

أخافته في أوطانه وانتضت غمدا^(٢)

(١) سليمان بن سحمان ولد في قرية من أعمال أبها تسمى (السقا) وذلك
سنة ١٢٦٦ هـ وقد ترك مؤلفات قيمة يدافع فيها عن الشريعة
ويكافح رؤساء الضلال ودعاة البدع ، منها (الاُسنة الحداد في
الرد على علوى الحداد) و (كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء
الأوهام) وله ديوان مطبوع أسماه (عقود الجواهر المنضدة
الحسان) أكثره في الرد على الشعراء الذين هاجموا الدعوة السلفية .
وقد توفي سنة ١٣٤٩ هـ (كتاب علماء نجد وغيرهم من ص ٢٠٠ الس
ص ٢١٢) .

(٢) ديوان ابن سحمان ص ٢٨١ .

وفي فن الرثاء نجد شعراء الدعوة يرثون العلماء ويهكون المدن ،
فهذه كارثة الدرعية تهز الشاعر عبد العزيز بن حمد فيرفع
عقيرته قائلا :

إليك أله العرش أشكو تضرعا

وأدعوك في الضراء ربي لتسمعنا (١)

إلى أن يقول :

وكم قتلوا من عصبة الحق فتية

هداة وضاة ساجدين وركعنا

وكم دمروا من مربع كان أهلا

فقد تركوا الدار الأنيسة بلقما

فأصبحت الأموال فيهم نهائبا

وأصبحت الأيتام غرثى وجوعا

وفرعن الأوطان من كان قاطنا

وفرقت الف كان مجتمعا معا (٢)

أما في الفزل فقد كان غزلا تقليديا في بدء قصائد هم وهو يتسم
بالعفاف ويتفق ومساوهم الاسلامي ، يقول ابن غنام :

حكمت أدمعي يوم الوداع الغمام

وشابه نوحى في الرباع الحمائم

(١) عنوان المجد ج ٢ ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٣ ، ٤٤ .

ضحى قطعوا حبل التصافي وقربت

لطي الفيافي اليعملات الرواسم

عقلن فخلت العين يعقل دمعها

فما سرن الا والعيون سواجم

بعثن الا نسى لما بعثن لخاطري

(١) وأبرزن للواشين ما أنا كاتم

الى أن يقول :

فيا نائيا لا عن قلى أو ملالة

ولا لمعال لم ينلهن رائم

ولكك الشمس المنيرة مالها

بدائرة الافلاك مأوى ملازم

ويا كوكب الدنيا الذى بسنايه

وتياره تهدى وتحيا الرائم

ويا درة الدهر العديم نظيرها

(٢) فواجدها من مقتني الحمد غانم

هذه المامة سريعة بموضوعات شعر الدعوة الاصلاحية وأثرها عليه ، وسيتضح

ذلك عند علم من أعلام شعرائها وهو ابن مشرف .

(١) الموسوعة الادبية لعبد السلام الساسي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٨ .

واذا كان للدعوة أثر على أغراض الشعر ومضمونه فطبيعي أن تتأثر الألفاظ بها فكثرت الألفاظ الدالة على تعمق الروح الإسلامية من مثل الإسلام ، والدين ، والكتاب ، والايمان ، والكفر ، والجهاد والقرآن والسنة .

وفي مقدمة ذلك انتقال الشعر النجدي بفضلها من عامي الى فصيح وهذا لعمري أثر هام في الأُدب النجدي ولو لم تكن للدعوة أثر على الأُدب سواء لكافها (١) .

وبمثل هذا الشعر كانت البداية لانطلاق الشعر والشعراء وكانت الدعوة والذود عنها هي المنطلق وهي الشعلة التي قدحت زنادهم فأورى .

وان هذا التجاوب من شعرائنا دل على صدق رغبتهم في الدفاع عنها فما يكاد يترك راية الدفاع عنها شاعر حتى ينبرى لها شاعر آخر فهذا ابن غنام وتلاه ابن مشرف وتلاه شعراء كلبن سحمان وابسن عثيمين .

قرنان ونصف من الزمان مرا على قيام الدعوة الإصلاحية ولا زال الحبل موصولا بها ، انها دعوة خالدة ينطبق عليها قول الله تعالى :

* فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض * (٢)

(١) الشعر في الجزيرة العربية ص ٢٣٨ .

(٢) سورة الرعد آية (١٧) .

الحياة السياسية

(إقليم الأحساء) من أحفل الأقاليم العربية بالحوادث التاريخية ، التي تدعو المؤرخين الى العناية به والاهتمام بأمره ، فقد كان مهد الشعوب عريقة في الحضارة .

ثم هو من حيث الخصوبة والموقع المتوسط من غير أقطار الجزيرة وأصلحها للاستيطان حتى تنازعتة شعوب كثيرة ، وقبائل عربية مختلفة من " تنوخ " و " اباد " و " ربيعة " وغيرها من القبائل ، فصار مسرحها لكثير من حوادث البطولة في العصر الجاهلي ، بل كان سدا منيعا دون توغل جحافل دولة (الفرس) القوية التي حاولت بسط نفوذها - بطريق الاستيلاء عليه - على بلاد العرب ، فصمد لجحافلها صمودا جعلها ترتد على أعقابها .

ثم لما دوى صوت الاسلام كان أهله من أول المستجيبين لدعوة الحق عن رض و طواعية ، وفي مقدمة الثابتين عليها والتمسكين بها حينما انتشرت الردة عنها في جميع قبائل الجزيرة .

وكان خراج هذا القطر هو أعظم خراج جبلي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا القطر حدثت ثورتان عنيفتان غريبتان هما الأوليان من نوعهما في تاريخ الاسلام ، ثورة (صاحب الزنج) التي تميزت بالدعوة الى تحرير الموالى ، وثورة (القرامطة) التي أوهت عضد الخلافة العباسية وزعزعت أركانها وفصلت من جسمها جزءا كبيرا

لم تستطع ارجاعه مع شدة حولها وطولها: (١) .

وبالرغم من هذه الأحداث التاريخية الهامة التي حدثت على أرض الأحساء فان المؤرخين لم يولوا هذا القطر ما يستحقه من العناية (١) .

*

تاريخ الأحساء

من الاحتلال العثماني الأول الى الفتح السعودي

سنة ١٢٣١ هـ

الحديث عن تاريخ هذا الاقليم عبر تاريخه السياسي الطويل قد يطول وقد يخرجنا عن غرضنا وهو الالمام السريع بفترات تاريخية قريبة العهد نسبيا للفترة التي يدرس أدبها لعلمنا بالارتباط الوثيق بين الحياة السياسية والحياة الفكرية ، لذا فانا سنكتفي بالحديث عن الأحساء من بدء الاحتلال العثماني الأول لها سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية (٢) . وقد استمر حكم العثمانيين^{لها} حتى بلغ الاضطراب مبلغه سنة ١٠٧٧ هـ وثار (آل حميد) من بني خالد على الولاية العثمانيين وطردوهم من الأحساء واستتب لهم الأمر فيها .

وفي عهد سليمان بن محمد امتد ملك بني خالد حتى شمل نجدا

(١) تحفة المستفيد ج١ المقدمة ص هـ - و

(٢) المصدر السابق ج١ ص ١٢١ .

وبواديهـا وقد نعم الناس في عهده بالامن والاستقرار .

وفي أيام سليمان بن محمد أيضا ظهر الشيخ محمد بن عبيد الوهاب (١) وقد رأينا كيف أنه أمر (عثمان بن حمد بن معمر) رئيس العمينة آنذاك بقتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢) وكان لابن معمر راتب سنوي من حاكم الأحساء (سليمان بن محمد) فلم يستطع مخالفته ولم يجد مخرجا الا بإيعازه الى الشيخ بالخروج (٣) .

وبعد موت (سليمان بن محمد) تولى الأمر (عرعر بن دجين) الذي غزا الدرعية سنة ١١٧٢ هـ مقرامة الامام (محمد بن سعود) . ومركز الدعوة الاصلاحية التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحاصرها حصارا طويلا ورماتها بالمدافع ولما عجز عن فتحها رحل عنها (٤) .

وظلت الاشتباكات بين ولاية الأحساء وبين الدولة السعودية حتى استطاع الامام (سعود بن عبد العزيز) (٥) فتح الأحساء سنة ١٢٠٧ هـ (٦) وبذلك انتهى حكم بني حميد ودخلت في حوزة السعوديين ، وقد حاول العثمانيون استردادها ولكن محاولتهم باءت بالفشل (٧) .

-
- (١) تحفة المستفيد ج١ ص ١٢٣-١٢٤
 - (٢) راجع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص (١٠)
 - (٣) تحفة المستفيد ج١ ص ١٢٦ .
 - (٤) المصدر السابق ص ١٢٨-١٢٩ .
 - (٥) ولد الامام سعود سنة ١١٦٥ هـ وتولى الحكم بعد وفاة والده عبد العزيز سنة ١٢١٨ هـ وقد توفي سنة ١٢٢٩ هـ (عنوان النجد ج١ ص ٢٢٥) .
 - (٦) تحفة المستفيد ج١ ص ١٣٢ ، ١٣٣
 - (٧) المرجع السابق ج١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

عودة بني خالد الى حكم الأحساء :

لما توجه ابراهيم باشا الى محاصرة الدرعية انضم اليه محمد ، وماجد ابنا عويمر بن دجين فلما سلمت الدرعية ، وانتهت الحرب طلب ماجد وأخوه محمد بن ابراهيم باشا أن يولييهما الأحساء ، ويعيد ههنا اليها ، لأنهما من جملة بلادهم ، فأجابهم الى ذلك فتوجهوا اليها وعرب منها أميرها حين بلغه استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية ، فاستوليا عليها (١) وظلت في حوزتهم حتى سنة ١٢٤٥ هـ حين ساروا الى محاربة الامام (تركي ابن عبد الله) (٢) حاكم نجد آنذاك في عهد الدولة السعودية في دورها الثاني ، فهزمهم الامام تركي في موقعة (السبية) وكانت هذه آخر ولاية لبني خالد على الأحساء (٣) .

الاشتباكات العثمانية السعودية :

لكن الدولة العثمانية تعيد الكرة على الدولة السعودية في احتلالها لنجد والأحساء في عهد فيصل بن تركي سنة ١٢٥٢ هـ فترسل حملة لقتال الامام فيصل (٤) وكانت المعارك سجالا بين السعوديين والحملة العثمانية

(١) تحفة المستفيد ج١ ص ١٤٤ .

(٢) حكم من سنة ١٢٤٠ هـ الى سنة ١٢٤٩ هـ وقد استطاع أن يعيد حكم

آل سعود بعد نهبها فهو منشئ الدولة السعودية الثانية وبولايته

انتقل الحكم من سلالة عبد العزيز بن محمد بن سعود الى سلالة

أخيه عبد الله بن محمد بن سعود (عنوان المجد ج٢ ص ٢٣ ، ٢٣٠) .

(٣) تحفة المستفيد ج١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) حكم البلاد مرتين الأولى من سنة ١٢٥٠ هـ الى ١٢٥٤ هـ وفي هذه

المدة راح يتوسع ويدخل البلاد في حوزته فحاصره القائد المصري

(خورشيد) في الخرج حتى استسلم له فنفاه الى مصر وظل فيها

أربع سنوات استطاع بعدها الهرب من منفاه وعاد الى الرياض ثانية

حاكما من سنة ١٢٥٩ هـ (عنوان المجد ج٢ ص ١٢٧) الى أن

توفي سنة ١٢٨٢ هـ (عقد الدرر لابن عيسى ص ٤٦) .

الى أن جاءت حملة خورشيد باشا لنجد سنة ١٢٥٣ هـ وانتهت بهزيمة
السعوديين وأرسل الامام فيصل الى مصر.

أما أهل الأحساء فان خورشيد أمرهم وجعل أحمد بن محمد
السديري أميراً عليهم وأرسل معه جماعة من الرؤساء مع الجنود المصريين
واستمرت الحال كذلك حتى سنة ١٢٥٥ هـ (١) ،
عودة الامام فيصل بن تركي :

وتتابع على الأحساء عدد من الأمراء من قبل العثمانيين ، وفي سنة
١٢٥٩ هـ عاد فيصل بن تركي من مصر الى نجد ، وفي سنة ستين ومائتين
وآلف سار الى الأحساء وبايعه رؤساء القبائل ووفد اليه أهل عمان وبايعوه
وجعل أحمد بن محمد السديري أميراً على الأحساء (٢) .

وبعودة فيصل رفرت رايات السعوديين على ربوع نجد والأحساء
لكن بدو العجمان بدأوا اشتباكاتهم مع السعوديين سنة ١٢٦٠ هـ فقد
انتهب العجمان حجاج الأحساء فخرج الامام فيصل لقتالهم ، ثم تكررت
هجماتهم فجهز الامام جيشاً بقيادة ابنه (عبد الله) فهزمهم ، وأرسل
لوالده الامام ببشرى النصر وذلك سنة ١٢٧٦ هـ (٣) .

وقد شارك ابن مشرف في تهنئة الامام بهذا النصر وفيها يخاطب
الأعداء من العجمان في اعتدائهم بقوله :

فقل للبوادى : قد نكثتم عهدكم

ونذتم ويال والنكث وانكشف الأمر

(١) تحفة المستفيد ج ١ ص ١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٥٧-١٥٨.

فعودوا الى الاسلام واجتنبوا الردى

والا فلا يؤويكم السهل والوعر

وننذركم من بعدها أن من عصى

فأفسد أو شق العصا دمه هدر

فمن لم يكن عن غيه الوحي زاجرا

(١) له كان في ماضي الحديد له زجر

ثم يلتقي الامام فيصل ببدا والمجمان أيضا في سنة ١٢٧٢ هـ اثر عيبتهم
بالأمن وقطعتهم الطرق ونهبهم القوافل في طرق نجد والأحساء
فجهز جيشا بقيادة ابنه عبدالله وأغار عليهم في موضع الجبراء وكان قريبا
من البحر ودارت المعركة بين الجيشين وتحيز المجمان الى جهة البحر
واضطروا الى دخوله وغرق أكثرهم ولذلك سميت (بالطبعة) ، وقد
أنشد ابن مشرف بمناسبة هذا النصر قصيدة يهنئ فيها الامام فيصل
بالنصر (٢) ، يقول :

لك الحمد مولانا على نصر حزبنا

على كل باغ في البلاد وفاجر

نقول لا عدونا قد تربصوا

عليكم أدبرت سيئات الدوائر

(١) الديوان ص ٦٢ .

(٢) تحفة المستفيد ج ١ ص ١٦٠ .

ألم تنظروا ما أوقع الله ربنا

بمعصيتكم أهل الجدود العواثر

همو بدلوا النعماء كقرا وجاهروا

بظلم وعدوان وفعل الكبائر

وكم أحسن الوالي اليهم ببذله

وبالصفح عنهم في السنين الفواير

وكم نعمة أسدى لهم بعد نعمة

(١) ولكنه أسدى الى غير شاكر

اضطراب الحكم السعودي وعودة الحكم العثماني عام ١٣٣١ :
ثم يضطرب البيت السعودي بعد وفاة فيصل بن تركي وتولي ابنه عبد الله الحكم ، ويخرج عليه أخوه سعود سنة ١٢٨٣ هـ وتستمر الحروب حتى نرى الامام عبد الله يستنجد بالدولة العثمانية ضد أخيه سعود ويطلب اخراجه من الأحساء فاستجابت لطلبه وأصدرت الأوامر باخراج آل سعود جميعا من الأحساء وردوا الى ممالك الدولة العثمانية وكان ذلك سنة ١٢٨٨ هـ (٢) ، وقد آلت هذه الفرقة كثيرا من المخلصين للدولة السعودية ، ومنهم الشيخ أحمد بن عيسى الذي هب يدعو الى نبذ الخلاف قائلا :

متى ينجلي هذا الدجى والد يا جر ؟

متى ينتهز للحق منكم عساكر ؟

(١) الديوان ص ٦٨ .

(٢) تحفة المستفيد ج ١ ص ١٦٦ الى ١٧١ .

متى تتجدد دعوة حنيفية

يكون لها بالصدع ناه وأمر

فحتى متى هذا التواصي عن العلا

كأنكم من حوته المقابـر

ألم يك للآسلاف منكم مناقب

(١) ألم يك للاخلاف منكم مفاخر

وتوالى على الأُحساء ولاية عثمانيون ، منهم من أساء السيرة حتى بلغ الأمر بأحد هم أن يوعز الى البادية بقطع الطرق مقابل نصيب له في الفخيمة ثم انتشرت الفوضى وعم الاضطراب حتى قطعت الطرق وكثر السلب والقتل وكان لا بد من الوقوف في وجه هذا الفساد الذي استشرى في البلاد فبادر رؤوس أهل الأُحساء الى الكتابة للإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن مستنجدين به لتخليص البلاد من هذا الفساد ، وكانت الحرب العالمية الأولى قد نشبت بين الدولة العثمانية وانجلترا ، وتم استيلاؤه عليها سنة ١٣٣١هـ (٢) .

وقد أنشد الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر قصيدة يهنئ فيها الامام عبد العزيز ، يقول :

وفت السعود بوعدها المضمون	وتراذفت بالطائر الميمون
وعلا لواء المسلمين ، وعابنوا	تحقيق آمال لهم وظنون
تهنيك يا هذا الامام سعادة	بالنصر والاعزاز والتمكين
فقت الطوك بسالة وسياسة	هيئات ما من مشبه وقريين
قرت بك الأُحساء عينا انها	ترجو صلاح أمورها والديين

(٣)

(١) عقد الدرر: ص ٧٦-٨٧ .

(٢) تحفة المستفيد ج ١ ص ١٩٠-١٩١ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٨-٢٠٩ .

الحياة العلمية والأدبية

يحدثنا التاريخ عن الدور الثقافي لمنطقة الأحساء قبل الإسلام وبعده ، فقد أنجبت الأحساء من الشعراء الكثير من أمثال أوس بن حجر و طرفة بن العبد و جرير بن عبد المسيح الملقب بالملتص والمثقب العبدى والمزق العبدى وغيرهم .

ومن الفصحاء والخطباء الجارود بن المعلى العبدى وصعصعة ابن صوحان وصحار بن عياش العبدى حتى أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان يسأل صحار بن عياش ما هذه البلاغة التي فيكم يا آل عبد القيس ؟ فيقول : شئ تجيب به صدورنا فنقذه على ألسنتنا ، قال له معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز ، قال معاوية وما الإيجاز ؟ قال صحار : أن تجيب فلا تبطى* و تقول فلا تخطى* (١) .

وروى ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناد متصل عند قوله تعالى : * أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق * من سورة البقرة أن ابن عباس رضي الله عنه كتب إلى أبي الجلد الهجري - وهو من علماء حجر قاعدة الأحساء في ذلك الحين - يسأله عن البرق والرعد فأجابه أبو الجلد أن البرق من الماء وأن الرعد ريح تختنق تحت السحاب .

(١) علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والأدبية محاضرة للشيخ أحمد علي بن عبد الرحمن آل مبارك / جريدة المدينة / ع ٥٥٢٦ سنة ١٤٠٢ هـ .

ولكن هذه المنطقة بعد هذه الفترة الزاهرة التي عاشتها في الجاهلية
والاسلام تتعاقب عليها قرون يهملها فيها المؤرخون وتنال منها الفتن
والاضطرابات ، الاُمر الذى يتعذر فيه الاُمام بمعلومات تاريخيه
كافية عن هذه المنطقة ، ولكننا مع ذلك ننعدم العثور على نوافذ
مضيئة تظهر علينا بين آن وآخر ترينا صفحة علمية للبلاد في سيرة
بعض أنرارها مثل أبو منصور الاُزهري المتوفي سنة سبعين وثلاثمائة
للهجرة صاحب المؤلفات الكثيرة وفي مقدمتها كتاب (تهذيب اللغة)
الذى يعتبر من أثرى معاجمنا وأرقها (١) .

وكذلك الشاعر أبو عبد الله على بن المقرب المولود سنة اثنين وسبعين
وخمسائة ، والمتوفي سنة احدى وثلاثين وستائة (٢) .

وهو شاعر قوى ثائر ، وشعره مفعم بالشكوى والتعرد والكبرياء
وعزة النفس ولم يجد الشاعر في وطنه مبتغاه من عزة ومجد فرحل وهو
يردد :

لا تحسبوا بغضي الاُوطان من مل

لا بد للود والبغضا من سبب

قل وذل وخذلان وضيم عدا

مقام مثلى على هذا من العجب

اذا الديار تفشاك الهوان بها

(٣) فخلها لضعيف العزم واقترب

(١) علماء الاُحساء ومكانتهم الادبية / جريدة المدينة :

العدد ٥٥٢٦ سنة ١٤٠٢ .

(٢) ديوان ابن المقرب

(٣) المرجع السابق ص ٧٦ .

وعاش في صراع مع أحداث الأيام منشدا :

أبت نوب الأيام إلا تتأديا

فواشقتا ما للليالي وما لـ

إذا قلت يوما حان منها تعطف

رأيت رزاياها تسامى كما هيـا

فليت أخلائي الذين ادخرتهم

جلاءا لهمي لا علي ولا لـ

وأعجب ما يأتي به الدهر أنسى

(١) أرى القوم ترميني بأيدى رجالها

وقوله معاتبا :

تجاف عن العتبي فما الذنب واحد

وهب لصروف الدهر ما أنت واحد

إذا خانك الأُرنى الذى أنت حزبه

فلا عجباً إن أسلمتك إلا بأعد

ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئ

(٢) فذا الناس أما حاسد أو معاند

هذا . وإذا ما زلت الحقبة التي سبقت القرن الحادى عشر الهجرى قد واجهتنا بصعوبات جمة في التعرف على الحركة العلمية خلا لها ،

(١) ديوان ابن المقرب ص ٦٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠ .

عدا ما حفظته لنا كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية عن القرن الأول من الهجرة فان هذه الصعوبات تذلل شيئا فشيئا من مطلع القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر تقريبا ، فقد بلغت الحركة العلمية الدينية والادبية في الأحساء ذروتها مما دعا جيرانها لغبطتها عليها (١) .

وقد تجلت مكانة الأحساء العلمية في أمور هامة :

أولا : ظهور أسر من أهل الأحساء كان أفرادها جميعا أن يكونوا علماء لشدة التنافس على العلم بين أولئك الأفراد في داخل الأسرة من ناحية ، وبين الأسرة وأفراد أسرة أخرى من ناحية مما أشعل في النفوس الحيوية والانطلاق نحو آفاق أوسع في العلم ، نخص بالذكر منهم آل عبد القادر ، وآل الملا ، وآل غنام ، وآل المبارك كما سنرى .

ثانيا : تقدير عامة الناس لأهل العلم وتوقيرهم لهم لما كان يتحلى به علماء ذلك الزمان من التعفف والورع والتقوى والابتعاد عن الأطماع ولما يبذلونه من أنفسهم وأوقاتهم في سبيل نشر العلم والدلالة عليه والتصدى لتدريسه لمن يطلبه ابتغاء وجه الله .

ثالثا : ان أبناء الخليج العربي وهم أهل جزيرة أوال سابقا البحرين حاليا وساحل عمان وقطر والكويت وبعض أطراف فارس ما يلي الخليج العربي كانوا يتسابقون الى ارسال أبنائهم الى هذه المنطقة للاغتراف من

(١) علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والادبية / جريدة المدينة /
العدد ٥٥٢٦ سنة ١٤٠٢ هـ .

مفهم علم علمائها في الحديث والفقه واللغة والنحو والصرف والأدب (١).

رابعاً : وكان أعل مناطق الخليج شعباً وحكاماً يهيئون لأولئك المبتعثين بعد عودتهم المراكز العالية ويصدرونهم للافتاء والقضاء والإمامة والخطابة في المساجد ، الأمر الذي يبعث في نفس النشء من أبناء الخليج الرغبة في الابتعاث إلى الأحساء ليحصلوا فيها بعد على المكانة العلمية التي حصل عليها سابقوهم .

وقد أعدت الأحساء نفسها لذلك الدور القيادي بأن :

(أ) - فتش علماءها صدورهم ومساجدهم لتعليم من رغب في طلب العلم من الطلاب ودون مقابل ولكن ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى .

(ب) - أنشئت المدارس الدينية والأربطة بحيث تكون معدة لاستقبال المبتعثين من الطلاب وإيوائهم والانفاق عليهم من أوقاف لهذا الغرض (٢) .

خامساً : وما يدل على مركز الأحساء العلمي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية يمر فيها في مرحلة الطلب ، ويدرس ويناقش علماءها ، ثم نرى الشيخ حسين بن غنام من الأحساء ينتدب ليدرس اللغة العربية في الدرعية (٣) .

(١) علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والأدبية (جريدة التدوة العدد ٥٥٢٦ سنة ١٤٠٢ هـ).

(٢) المرجع السابق .

(٣) عنوان المجلد ١ ص ٢٢ ، ص ١٩٩ .

ومما يحتل أهمية البيئة علميا ودنيا الرسالة التي أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف والتي يعتب عليه فيها لبعض الأمور ويقول :

” انه لا يمنعني من الكتابة اليك ودعوتك الى ما أدعو اليه الناس الا ظني أنك لا تقبل ذلك من مثلي وقد تتعاضم أن يدعوك مثلي ، لكن الله لا يتعاضم شيئا أعطاه وما أحسنك لو تكون معنا ، اذا لكت كعمر بن الخطّاب فاروقا ننتصف به ممن أغلظ علينا .”

لأنهم في حجمهم العلمي الكبير لم يكن من الطبيعي أن ينقلبوا جنودا متحمسين في سبيل الدعوة التي ربما اعتبر بعضهم صاحبها تلميذا من تلاميذهم (١) .

سادسا : ومن أسباب ازدهار الحركة العلمية في الأُحساء هجرة بعض الأُسَر الى الأُحساء من جهات مختلفة بعضها قبيل القرن الحادي عشر . والبعض بعد ذلك وقد ساهمت أصول وفروع هذه الأُسَر في انماء الحركة الثقافية مثل :

أسرة آل عبد القادر الذين ينتهي نسبهم الى بني النجار من الخزرج أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وقد قدموا من المدينة المنورة في القرن العاشر الهجري وبرع في الفقه والحديث والأدب أفراد منهم .

وآل الملا : وقد قدموا في معية جدّهم الأكبر الشيخ علي الواعظ آل ملا

(١) الشعر في الجزيرة العربية ص ٦٢ .

من تركيا في منتصف القرن العاشر وقد برز منهم أفراد تبحروا في علوم
الفقه واللغة والحديث والنحو والصرف .

آل غنام ، وهم من الأُسُر العربية التي اشتهرت بالاقبال على
العلم بالتوارث أباً عن جد و خلد التاريخ أسماء علماء منهم لكن لم يبق
من آثار علمهم إلا مؤلفات الشيخ حسين بن أبي بكر آل غنام الذي رحل
إلى الدرعية وتعلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ،
وعلى يديه تتلمذ ابن مشرف .

آل مبارك : وهم من الأُسُر التي حافظ أفرادها على دراسة علوم
الحديث والفقه واللغة والنحو والصرف والأدب وقد اشتهر منهم أفراد كثيرون
منهم : الشيخ مبارك بن علي بن محمد وقد تخرج على يديه الكثير من
العلماء ومنهم أبناؤه ومنهم الشيخ عبد الرحمن ويلقب (مالك الصغير) .

آل عبد اللطيف : وهم من أعرق الأُسُر في العلم حتى كاد جميع
أبنائها في عصر مضى يكونون كلهم علماء ومن أشهرهم الشيخ عبد الله
ابن محمد آل عبد اللطيف الطقب بالشافعي الصغير في وقته ، وكان
معاصراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب وعندما حضر الشيخ إلى الأحساء
اتصل به ونزل في بيته وأخذ عنه العلم (١) .

المكتبات :

وهي مكتبات خاصة لأُسُر معروفة بالعلم والتعليم كال عبد القادر
والمبارك ، وبيت أبي بكر الملا ، والعلمجي وغيرهم . (٢)

(١) علماء الأحساء ومكانتهم العلمية . جريدة

المدينة / ع ٥٥٢٧ / سنة ١٤٠٢ هـ .

(٢) الشُعْرَفِي الجزيرة العربية ص ٦٦ .

حركة التأليف :

يتخذ التأليف في الأُحساء النهج الذي عبّده أهل القرون المتأخرة حين الشرح والتبسيط والايجاز والتلخيص والنظم ، ثلاث طرائق اتبعها العلماء منذ عصر الانحطاط من ناحية الشكل ، أما من ناحية المضمون فان كتب الفقه المذهبية تأتي في المرتبة الأولى ثم تليها كتب الحديث ، والتفسير ، ويلي ذلك النحو والصرف من علوم العربية ويكثر التأليف في الوعظ والرقائق (١) .

فمن كتب الفقه المذهبي تلخيص (المنظومة الهاميه) في الفقه الحنفي لأبي بكر الملا (٢) ، نظم (كتاب العبادات) لابن مشرف (٣) ، ومنظومته في مسألة الطلاق (٤) وكذلك العلجي ينظم أحكام العبادات في فقه مالك (٥) وتدريب السالك في مختصر فقه مالك لعبد العزيز ابن حمد آل مبارك (٦) .

ومن الملخصات لأبي بكر الملا (هداية المحتذى في شرح شمائل الترمذی) ومختصر شرح ابن رجب على الأربعين النووية ، وتلخيص شرح العلامة أحمد القسطلاني على صحيح البخاري (٧) ، ومختصر ابن مشرف لصحيح مسلم (٨) .

(١) الشمر في الجزيرة العربية ص ٦٧ .

(٢) تحفة المستفيد ج ٢ ص ١٠٧ .

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٩٣ .

(٤) تحفة المستفيد ج ٢ حاشية ص ١٠٩ .

(٥) المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٦) شعراء هجر ص ٢٨٩ .

(٧) تحفة المستفيد ج ٢ ص ١٠٧ .

(٨) الديوان ص ٨ .

(١) ومن كتب النحو والصرف حاشية المدون على شرح الفاكهي للبيتوشي ،
ونظم غرته الزنجاني للعلاجي (٢) ومنظومة محمد بن عمير في النحو
وبلغت سبعمائة بيت (٣) .

ومن المؤلفات في الوعظ كتب أبي بكر الملا الذي أغرم بكتب أهل
الزهد وله اتحاف النواظر بمختصر الزواجر ، وقرة العيون المبصرة في
شرح كتاب التبصرة (٤) وكتاب (طريقة البصائر إلى حديقة السرائر)
للبيتوشي (٥) .

(٦) وفي الأخلاق والسلوك يشارك ابن مشرف بأرجوزته الأخلاقية
وأبو بكر الملا بمنظومته (منهاج السالك) (٧) وكذلك العلاجى بمنظومته
في مكارم الأخلاق (٨) .

-
- (١) شعراء هجر ص ٢٠-٢١
 - (٢) تحفة المستفيد ج ٢ ص ١٣٠
 - (٣) شعراء هجر ص ٦٠
 - (٤) تحفة المستفيد ج ٢ ص ١٣٠
 - (٥) شعراء هجر ص ٢٠
 - (٦) الديوان ص ١٠٥
 - (٧) شعراء هجر ص ٦٠
 - (٨) تحفة المستفيد ج ٢ ص ١٠٧

الشعر الأُحسائي

قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري

لا بد لنا قبل المضي في دراسة الشعر الأُحسائي من منتصف القرن الثاني عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري من الالمام بحالة الشعر قبل هذه الفترة وهي وإن كانت متقدمة فهي ضرورية لفهم الفترة التالية المعنى بدراستها وتقدير ما حدث فيها من تغيير وستكون ابتداءً من ما بعد القرن العاشر .

والمراجع التي بين أيدينا عن هذه الفترة من الشعر الأُحسائي يسيرة إضافة إلى أن المذكور من أشعار أكثر أولئك الشعراء قليل ، وما يدل على ذلك أن الشاعر إبراهيم بن حسن الأُحسائي المتوفي سنة ثمان وأربعين وألف يشير له صاحب (خلاصة الأثر) بأن له أشعارا كثيرة ولكن صاحب كتاب (تحفة المستفيد) يشير إلى أنه لم يقف له الا على بيتين من الشعر على كثرة شعره التي أشار إليها صاحب الخلاصة !؟

وهي :

ولا تك في الدنيا مضافا وكن بها

مضافا إليه ان قدرت عليه

فكل مضاف للعوامل عرضة

(١) وقد خص بالخفض المضاف إليه

أما الموضوعات التي طرقها شعراء هذه الفترة فهي لا تخرج عن
الفنون الشعرية السابقة من مديح و تهنئة وراثاء واخوانيات ، وحفل شعرهم
بالمحسنات والزخارف اللفظية .

ومن شعراء تلك الفترة القاضي (محمد بن خليل الأحسائي المكي)
المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ ويصفه صاحب السلافة بقوله :

" قاض قضى من الأُدب الأُرب وحظي بارتشاف الضرب
من لسان العرب ، وما زال بكعبة الفضل طائف (١) حتى
تقلد القضاء بالطائف ... " (٢)

قال الشاعر مهنثا الشيخ عبد الرحمن المرشدي بالتدريس في المدرسة
السليمانية :

لقد سرنى ما قد سمعت فهزني
بلذاته هز المدام فأسكرا
وذلك لما أن غدا الحق راجعا
لا هليه من بعد الضلال مكبرا
فدونكها مفتي الأُنام حقيقة
وأنا لترجو فوق ذلك مظهر (٣)
ونراه يضمن بينه الأُخير الشطر الأول من بيت النابغة الجعدي :

(١) كذا بالأصل وهي (طائفا)

(٢) ابن معصوم ص ٢٢٧

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(بلغنا السما * مجدنا وجدودنا) (١)

ثم نجد الشاعر الـامير أبوبكر بن علي باشا المتوفى سنة ١٠٧٦ هـ
يمدح الشريف زيد بن محسن صاحب مكة :

زوت لعز مقامك العليـا

وعليك فضت راحها الجوزا

فالبدر كاس والشموس عقارها

فاشرب بكاس شمسها الصهبـا

وحبايبها نجم السما فكانهـا

ذات وذاك بشكـه الاسما

خضعت لعزك فاستقم في عرشها

يا ظاهرا لا يعتريه خفـا

وانصب لوا العدل منتشر الثنا

قد ضوعت بعبيـره الارجا

فالدهر سيفك فاتخذـه مجردا

متوشحا بالنص وهوردا

وعلاك قد شهد الحسود بفضله

والفضل ما شهدت به الاعدا (٢)

و تستوقفني في هذه الابيات هذه المبالغة غير الموفقة في قوله :

(يا ظاهرا لا يعتريه خفا) وما كان لبشر أن ينزل هذه المنزلة .

(١) شعر النابغة الجعدي ص ٥١

(٢) تحفة المستفيد ص ٤٢

وأما ما نراه من تضمين في البيت الأخير فأمر مألوف وقد رأيناه عند سابقه
الشاعر محمد بن خليل الأحسائي وهو نهج سار عليه الشعراء في العصر
العثماني فلا تكاد تخلو قصيدة من تضمين أو اقتباس أو تاريخ شعري وهي
مع كل ذلك ترفل في أثواب من المحسنات المعنوية واللفظية وكثيرا ما كانت
تخرج عن الحد المقبول .

ويتابع الشاعر الأثير أبوبكر مديحه للشريف زيد بن محسن :

ملك اذا وعد الجميل وفى به

واذا تعد شأنه الاغصاء

ملك اذا كتعت رعود سمائنا

فعلى انسكاب ندى يديه ندا

ملك اذا ما القرن أوقد نـاره

فسيوفه لخمود هـنا أنـوا (١)

ومع ما في الأبيات من تكرار فإن التقابل بين معانيها اكسبها جمالا .

وأحيانا تكون المدائح في صورة مراسلات متبادلة .

يقول الشاعر يمدح العلامة عيسى بن محمد الجعفرى :

يا من سما فوق السماء مقامه

ولقد يراك الكل أنت إمامه

حزت الفضائل والكمال بأسره

وعلوت قدرا فيك تم نظامه

لوقيل من هاز العلوم جميعها

لا أقول أنت المسك فض ختامه

(١) تحفة المستفيد ج ٢ ص ٤٣ .

فيجيبه الشيخ عيسى :

لله درك يا فريد محاسن

أربى على البدر التمام تمامه

قد صفت من سر البلاغة مفردا

فاق الفرائد نثره ونظامه

وكسوته من جزل لفظك سابفا

وشيت بكل لطيفة أكمامه

وجلوته يخال تيبها أمنا

من أن يشابه في الوجود قوامه

أعربت فيه عن اعتقاد خالص

ومكين ود أحكت أحكامه (١)

وفي الغزل نقف أمام أبيات للشاعر السيد علوى بن اسماعيل المتوفي سنة ١٠٧٩ هـ يقول عنه صاحب السلافة :

"... وهو اليوم شاعر هجر ومنطقها الذي واصله
المنطق الفصل وما هجر . يفسح للبيان مجالا ويوضح
منه غررا وأحجالا ، ويطلع في آفاقه بدورا وشموسا
ويروض من صغابه جموحا وشموسا" (٢) .

(١) تحفة المستفيد ج ٢ ص ٤٣ - ٤٤

(٢) ص ٥٧٧ .

ويقول يهث جواه :

وكابدت الأسى والحزن اذلا أخ يدري بذاك ولا حميم
زعمت بأن وجدك فوق وجدى وذاك لانني صب كسوم
اعرض ان بكيت بذكر حزوى ولا حزوى عنيت ولا العميم
ولولا المنجدون لما شجيتني طول بالغوير ولا رسوم (١)

ومن ألوان النظم التي شاعت في تلك الفترة التاريخ الشعري للمناسبات
والأحداث فهذا الشاعر محمد بن خليل الأحسائي يوثخ لخطبة
خطبها القاضي تاج الدين المالكي (٢) يقول :

لله در خطبة بها العقول تستطب
قصر عنها كل من أنشا ووشى وخطب
يريك عيد الفطر عيد النحر فعلها العجب
كم فطرت فيه فوارا بث حقدا فالتهب
بوصفها ووعظها السحر الحلال المنتخب
لم لا وبحر درها حبر العلوم والآدب
تاج العلا حائزها بالارث عن أم وأب
من انتمت خطبته به الى أعلى نسب
فحيث عزت نسبا ومطلبا عن طلب
وكان من أنشأها . تاجا لأرباب الرتب

(١) السلافة ص ٥٢٨ .

(٢) أديبا فاضلا وكان امام المالكية بالمسجد الحرام وقد توفي سنة ١٠٦٦ هـ .

المرجع السابق ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

قال لسان الحال لبي تاريخها تاج الخطيب (١)

بل لقد تبادل بعضهم الشعر في مطالب غير ذات قيمة ، وذلك يدل على فراغهم الذهني فهذا الشاعر محمد بن خليل يكتب للقاضي تاج الدين المالكي مستقضيًا منه ارسال نعل كان طلبها منه وهو بالطائف .

يقول :

قاضي الشرع فقت هذا الأناما	بحجى ثابت وعز فداما
ونكا* يفيد كل ذكسي	واطلاع يخجل النظاما
مذ حلات بالحجاز* ومذ	غبت رأينا عليه حينًا ظلا ما
كل وقت لم ننسى ذكرك فيه	فاحفظن للمحب منك الذاما
واذكرن حاجة المحب وان رك	اد كاري لها فحاشا المقاما (٢)

فراجعه القاضي بقوله :

وصلت رقعة الحميم ولكسن	اقتضى النظم أن أقول الحماما
وصلت يقظة عيانا وكاننت	وصلت قبل ذا مرارا مناما (٣)

وقد يراها البعض من باب الظرف والمداعة ، ولكني أقول ما لمثل هذا وجد الشعر .

(١) السلافة ص ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

الشعر الأُحسائي خلال قرنين

من سنة ١١٥٠ هـ إلى ١٣٥٠ هـ

وهي فترة خصبة في تاريخ الأُحساء الأدبي ، فقد ظهر فيها شعراء جادت قرائحهم بأعذب الشعر وأفصحه عبروا به عن خلجات نفوسهم حيناً وعن مشكلات مجتمعهم حيناً آخر ، فكان منه ذلك الغزل الذي يستهوى القلب ، وذلك الشعر السياسي الجاد الذي يشحن الهم ويقويها .

ومن أهم الشعراء الذين سنعرض لشعرهم عبدالله بن عبد القادر وعبد العزيز العلجي وعبد العزيز بن حمد آل مبارك ، وعبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك .

أما الفنون الشعرية التي شدا بها الشعراء الأُحسائيون فهي لا تخرج عن الفنون التي عرفت في العصر العثماني والعصور السابقة لـه في مجملها ، وهي شعر الأُخلاق والدعوة إلى العلم ، والشعر السياسي والرتاء ، والهجاء والنقائص ، والمديح ، والأخوانيات ، والوصف والغزل . وسنتناول كل فن من هذه الفنون بشيء من التفصيل .

شعر الأَخلاق والدعوة إلى العلم

ونقف أمام شعر الأَخلاق والنصح في الشعر الأَحسائي فتطالعنا
في أول الركب قصيدتان للشيخ محمد سعيد الدولة آل عمير (١) أرسل
الأولى إلى الأمير داحس بن حميد الرشيد أمير الأحساء في وقته يحفظه
وينصحه وفيها يقول :

فأصلح السبل وانوا الخير مدرعا

تقوى الاله ولا تعباً بن عتبا

فمن وليت من عباد الله فارعهـم

وزاعهـم واجتهد حتى تكون أبـا

ان أنت راع فلا تتركهـم همـلا

يعدو على الرأس منهم من يرى ذنبـا

بل رد كل جار وانصر كل مهتضم

وحاول الأمن فيما شط واقتربـا

وجانب الظلم ان الظلم ذو وخـم

لمن أتاه وداۛ قاتل ووبـا

فان ترد طيب عيش في نسا أجـل

وهيبة تشمل الأُدنـى ومن غربـا

عاصمة

(١) ولد في قلعة الكوت من الهفوف/الأحساء عام ١١٦٠ هـ وتثقف على يد
والده وشيوخ عصره في علوم الدين والعربية ثقافة هائلة للتدريس فسي
مدارس والده في ذلك العهد تولى القضاء في عهد الأمير داحس بن حميد
الرشيد وكان لصلته بالقضاء أثر كبير في إنتاجه العلمي فقد كان أكثره فتاوى
فقهية ، ومساجلات علمية (شعراء هجر ص ٥ ، تاريخ الأحساء ج ٢ ص ٧٥) .

فراقب الله واعدل في برئته

(١) فالعدل أقرب للمسنى اذا وضيها

ويقول في قصيدته الثانية يهبط المنور بدنيا فانية :

فواعجبا لموه شر حظ دنيا

ومبتاع بصفتها اعتلاله

ومن يهني السلامة بالاماني

ولم يصرف لوجهتها اعتقاله

اذا عرض بلوح فانت ذيب

وفي الطاعات أروغ من شماليه

(٢) نهارك كله لهو ولغو
وليك بالكرى تلقى انسداله

هذه حقيقة المنور بالدنيا المفتون بمهاجها الزائلة .

وهذا الشاعر عبد العزيز الملجي تلميذا أحد طلابه :

ولا تنزع الاوقات في غير صالح

فمن ضيع الاوقات نال بها خسرا

فمصر الفتى ماعاش مزرع سميه

فمن لم يراع الوقت لا يجمع الاخرى

ولا تصعبن الناس الا بمال

تصيب جلال الرزق أو تكسب الاجرا

(٣) وفي كل عقد أنت مجر به فابنسه
على الشرع حتى لا تصيب به وزرا

(١) شعراء هجر ص ١٠-١١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

(٣) ص ٤٦٢ .

وفي نصيحة أخرى لتلميذه الشيخ محمد بن أبي بكر الطال يقول :

وجانب للفضول وكلّ لفسو ففي هذا اضاءة كل حـ
وأعط الجار والقربى حقوقا قضاها الله في آيات ذكـ
وصفّ النفس من حسد وبغي ولاق الناس في لطف وبشـ
وبالمعروف فأمر لا تبالي وقم بالنهي عن فحش ونكـ (١)

وانا تابعتا مسيرة الشعر الاّ خلاقي فان للعلجي أرجوزة أخلاقية
ولعلها مستوحاة من أرجوزة ابن مشرف الاّ أخلاقية ، وهذا يؤكّد تأثر
العلجي به و سنرى صدى سياسات ابن مشرف في شعره السياسي فقد
كان ابن مشرف لسان قومه والمدافع عنها عند ولاية الأمر وكان العلجي
كذلك .

لكن أرجوزة العلجي لم تملنا كاملة ، وهي تسير على نمط أرجوزة
ابن مشرف في تقسيمها الى فصول ، منها فصل في الحث على الآداب
وأخرى في الحث على القرآن ، يقول في الأولى :

ثم تقرب لمولاك العلبي بالمنجيات من صفات الكمل
من ترك ضحك مفسد للعقل ومذهب الهيبة من ذى فضل
كذاك اكثار الكلام الساقط فهو قبيح جالب المساخط
ولا زم الفقه من العلوم بعلمك في منهجه القويم
ملتزما أربعة قد عرفوا بالعلم والايمان ممن سلفوا

أحمد والنعمان ثم الشافعي ومالك شيخ الجميع الأعمشي
أعلام حق للمريد الساري داعية لسنة المختار (١)

ثلاثة أمور أشار إليها العلجي للمتأدب وهي ترك الضحك وهو معنى
نبوى أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

” ... ولا تكثروا الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب ” (٢)

ثم ترك فضول الكلام وهو أيضا معنى نبوى كريم فقد جاء عن المصطفى
قوله : معاذ : (تكف عليك هذا) يشير صلى الله عليه وسلم
الى اللسان فيقول معاذ .. وانا لمؤاخذون بمانتكلم به فيرد عليه
الرسول بقوله :

(شككت أمك يا معاذ ! هل يكب الناس ، على وجوههم في النار
الا حصائد ألسنتهم ؟) (٣) .

ثم يدعوه الى دراسة الفقه وملازمة نهج الأئمة الأربعة الفقهاء فمن يرد
به الله خيرا يفقهه في الدين .

ثم نقف أمام فصل في (الحث على قراءة القرآن) .
واتل كتاب الله في أوقات ملاحظا تدبر الآيات
تهديك للبارى فترجو رحمته حيننا وحيننا تخاف سطوته

-
- (١) شمرا هجر ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .
(٢) الأئب المفرد للإمام البخارى ج ١ باب الضحك ص ٣٥٢ .
(٣) سنن ابن ماجه كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة ص ١٣١٤ .

فهو العلوم والكمال والشرف لا يمتريه باطل ولا جنـف
والحظ الى الجنة في القرآن تزك في عبادة الرحمـن
والحظ الى النار تجدها ناهية

عن طرق الى الفساد غاويـه

وانظر الى نفسك في دنياكا تجدك منقولا بها لذاكـا
فابذل من الاسباب ماينجيكا فتدرك الرحمة من باريكـا (١)

فالموء من يتأمل نعيم الجنة وما أعده الله لعباده المتقين فتقفو نفسه اليها
ويضاعف العمل الصالح ليحظى برضوان الله ، ويتأمل عذاب النار فتتردع
نفسه عن المآثم والذنوب ، فهو لنفسه اما معتق أو موبق .

ومنها في مواضع متفرقة :

وباشر المسلم بالتحية أو كلمات عنده مرضية
وانصح له نصح الصديق الصادق ولاقه في الأمر كالموافق
الا اذا أتى الردى أو قال به فرد به باللفظ حتى ينتبه
ولا ترد من جليساك الخبير ولا تضعفه فذاله ضرر
وان أتى بهفوة في المجلس فاستر عليه سترخل موء نس
ولا تعقه بذكرها أبدا فالحرلم يشمت ولم يفضح أحد (٢)

هذه الآداب التي حث عليها الشاعر آداب حث عليها الدين الاسلامي

(١) شعراء هجر ص ٤٧٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٨٠ .

فتحية المسلم أخاه باب لمودته ، فإذا تواادا تناصحا وصار أمرهما على
وفاق ، فإن جانب الحق أحدهما فعلا أو قولاً فلا بد من رده إلى
الحق برفق ، وهو أمر أدعى إلى قبول النصيح والعمل به .

ثم يقف أمام آداب المجالس وهي ترك تكذيب الجليس ثم الستر
على هفواته وتناسيها فمن حسن الخلق ترك الشماتة والستر .

ثم يقف العلجي أمام الصديق المختار :

واصحب اذا صحبت كل فاضل مستكلاً للدين والفضائل
ان الجليس يفرس الأَخلاقاً وان ينافق أورث النفاقاً (١)

أولم يمثل لنا الهدى النبوى الكريم الجليس الصالح والجليس السوء
بحامل المسك و نافع الكير (٢) وفي الصورتين من التباين ما فيهما .

وترددت أصداء الدعوة إلى العلم في الشعر الأَحسائي ، ومن الذين
دعوا إليه في شعرهم الشاعر عبد العزيز العلجي وعبد اللطيف آل مبارك .

يقول العلجي حاثاً تلميذاً له على العلم :

تفنن في العلوم فكل فضل حواه العلم في بروبحة
ولا تسأم ولا تطلب سواه وقابله بتقرير وفكر
فقد سجد الملائك حينما أرى عليهم آدم بالعلم فادرك
وكم بالعلم نال العز قوم وكم بالعلم أثرى (٣) بعد عسر (٤)

(١) شعراء هجر ص ٤٨٢-٤٨٣ .

(٢) انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافع الكير . .

سنن أبي داود ج٤ باب من يؤمر أن يجالس ص ٢٥٩ .

(٣) كذا بالأصل ولعلها أثروا (٤) شعراء هجر ص ٤٦٨ .

وتتجلى دعوته أيضا للعلم في قوله :

أفتيان قومي وجهوا الهم كله الى العلم معمولا به وذروا الكسل

فما المزفي الدارين الا مدينة مشيدة الاركان بالعلم والعمل (١)

والشاعر عبد العزيز بن عبد اللطيف ينادى قومه للنهل من موارد العلم :

وتعلموا فالعلم معراج العلا ومفاتح الاغصاب والإمـسـراع

العلم ليس لنفـعـه حـد ولا حد لضر الجـهـل بالاجـمـاع (٢)

وفي قصيدة أخرى يقول :

العلم العلم تسودوا به (٣) فان بالعلم حياة الشـمـوب

الى متى في الجهل هذا الثوى وفي حضيض الجهل هذا الرسوب

لا خير في زهو قضيب (٤) اذا خلا من الاثمار ذاك القضيب

فالعلم مفتاح لكل المنى وسلم يرقى عليه الطلـوب (٥)

واذا نظرنا في الدعوة الى العلم نجد أن كلا الشاعرين دعوا اليها لكن

الشاعر العلجي كان ينادى بالدعوة لعلوم الدين ونبذ كل ما سواها

من علوم الغرب وحضارته ، بينما الشاعر عبد العزيز بن حمد ينادى بالاستفادة

من علوم الغرب وحضارته ، ولكل شاعر مؤيدون وأنصار .

(١) شمراء هجر ع ٤٨٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٩ .

(٣) كذا بالأصل والصواب نحويا وعروضا تسودون .

(٤) كذا بالأصل ولعلها (القضيب) ليستقيم الوزن .

(٥) شمراء هجر ص ١٨٥ .

يقول العلجى :

عذ بالمهيمن من هوى فتان ما تلك الا فتنة الشيطان
من كل عصرى هواه مرسل ما قيدته ربة الايمان
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ولسنة المختار من عدنان (١)

ويخاطب الاخذين بحضارتها المبهورين ببريقها :

أنتم تنورتم بقول باطل له بل تدمرتم على خسران
أتري أربا علمت أمثالكم آلات حرب أم علوم هوان
انى أخافك ان بليت بعلمهم أن تخدم الدهرى والنصرانى (٢)

ولعل الشاعر مو' يديه ممن يرون الاقتصار على علوم الدين ساء هم
ما عرفوا عن أوروبا من فساد ديني وخلقى فصدوا عن حضارتها ورفضوها
ونجد قريبا من هذه الدعوة في شعر ابن مشرف ، مع ملاحظة الفارق
الزمني والحضارى بينهما ، فمع مولد العلجى تطوى صفحة ابن مشرف
القائل :

فكل علم سوى القرآن زندقه الا الحديث وفقه الدين فانتبه (٣)
ونجد العلجى يدعو الملك عبد العزيز الى اغلاق تلك المدارس التسي
تدرس فيها علوم مستوردة ، يقول :

وثم لنا شكوى من الوقت فارعها تكن بدعا' المسلمين مو' يدا

(١) شعراء هجر ص ٤٧٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧٥ .

(٣) ديوان ابن مشرف ص ٤٤ .

صنائع اعداء تسمى تمدنا تثبت على الاسلام شرا منضدا
مدارس قامت فتنة وخديعة فتعليمها زور وتهذيبها ردى
فغروا بها الحمق الى أن تجاذبت

وعمت عموما لا يقاس له ——— ردى

فنأمل بسط السيف حتى تزيلها

وتقطع منها أصلها المتمسدا

وتحرق تأليفها فهي قد سمرت

وتزجر عن تقويمها وتهدد (١)

وهي نظرة قاصرة للعلم فنحن في أول المسيرة ويموزنا العلم بحضارته
المادية لتساند حضارتنا الروحية والمادية في بناء أمة قوية .

وينطلق صوت الشاعر عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك مؤيدا

هذا :

خذوا من الغربي خير علومه وذروا قبيح خلائق وطبائع

هبوا لطرد الفقر عن أوطانكم جيشا من الزراع والصناع (٢)

(١) شعراء هجر ص ٤٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨٠ .

الشعر السياسي

واذا وقفنا أمام ديوان الشعر الأُحسائي في هذا الغرض الشعري
الهام فإننا سنجد ميدانه يكاد يخلو لولا عدد قليل من فرسان لكتهم
أجادوا فيه وأكثروا فسدوا ثغرات كادت تكون في هذا الغرض .

وهؤلاء هم : الشاعر ابن مشرف ، والشاعر عبد العزيز العلجي
وثالث هو عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك .

وسنقف أمام الأخيرين فقط لأن ابن مشرف سوف نستوفي دراسة
هذا الغرض عنده مستقبلا .

ولعلنا نستطيع أن نقول ان الشاعر العلجي في سياساته نصح
الخلف لنصح السلف وهو ابن مشرف ، فاذا كان ابن مشرف قد حمل راية
الاستنهاض والدعوة الى ردع الظلمة المفسدين وكان لسان قومه عند الامام
فيصل بن تركي في كل مظلمة وشر يلحق بهم ، فان الشاعر العلجي كانت
له قصائد وجهها للسيد طالب النقيب يشكو فيها اضطراب الأُمن
في البلاد وتكرر المظالم من حكومة تركيا على الأُحساء ومطالبتها
أهل الأُحساء بضرائب باهظة .

يقول في قصيدته الأولى بعد مقدمته الغزلية ومديحه للسيد
طالب :

من لا يبالي ان عراه العار	فعلام تتركها وأنت أميرها
حارت به الآراء والأُنظار	قد عاد للأُحساء داء معضل
من لا يبالي ان عراه العار	وبغى عليها من ولاية أمورها

كنا نخاف من البغاة خرابها والآن قاد خرابها العمار

في كل يوم للنكاية والأذى يبدو بها من حالهم أطوار (١)

حكاها رجلان اما مسلم واه ، واما مسرف جبار

ان دام هذا فالحساء مصيرها

خبر تقوم بنقله السمار (٢)

وهي لهجة شديدة يخاطب بها العلجي رجلا مسئولا في الدولة
العثمانية والشاعر يلقي التبعية على ولاية الأحساء فما أصابها هو
تهاون منهم بل انهم معاول لهدمها ، وانهم بين حاكم ضعيف أو ظالم
وكلاهما خلنا سوء .

ثم نقف أمام قصيدة قالها عندما أصبح السيد طالب متصرفا
على الأحساء من قبل الدولة العثمانية وكانت الأحساء في فزع وهلع
من البوادي فأجرى الله على يديه تأمين البلاد فقال العلجي هذه
القصيدة عرفانا بذلك :

همام أتى الأحساء وهي مريضة

يظن بها أن الشفا لا يعود هـا

فعاد شفاها مذ أتاها وأصبحت

منعمة يربد غيظا حسود هـا (٣)

(١) شعراء هجر ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥٥ .

ولكن كانت هناك أيد مفسدة تحاول النيل من أمن البلاد ، يقول
العلجي :

فجرد سيوف البأس واجعل غمادها

لثاما طغى من طول أمن عنيدها

قبائل سوء بالاهانة عودوا

وقد طال عن لقيا الهوان عهدها

ويقول معرضا ببعض من سبق من حكامها :

وظنوا بأن الملك ليس لرميه

أسود ولا يحوى رجالا تسودها

فهان مولى الحكم فيهم وقدره

ولم يحترمه وغدها ورشيدها

فلا بد فيهم من عظيم نكايمة

تذوب احتراقا من لظاها كبودها

وأجج بهذى الدار نارا عظيمة

(١) من الحرب أشلاء الأعادى وقودها

وهي نفس النخمة القوية التي يخاطب بها ابن مشرف الامام فيصل في
استنهاضه لصدف اذى المعتدين فكلا الشاعرين عاصر في حياته
فترة اضطربت فيها الامور وساءت فكانت قصائد هما نغاث مكلوم.

(١) شمراء هجر ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

وعندما يستقر أمر الأحساء للملك عبد العزيز ويأتي عبد الله بن
جلوى أميراً على الأحساء نرى الملجي في إحدى قصائده يطلب منه
ويدعوه إلى أخذ الحذر والحزم في أمر الرعية :

فيا ضيفما بل يا شهابا إذا انجلي

تنحت شياطين الضلال على كـد

ألا ان للشيطان جندا من السورى

فحافظ على التمزيق في ذلك الجند (١)

ونقف أمام الشاعر الأحسائي الفذ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك
في دورته الفريدة التي قالها بمناسبة تفسير الأوضاع في البحرين حيث أسند
حكم البحرين للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة بعد عزل والده الشيخ
عيسى بأمر من بريطانيا الدولة المتسلطة على الأمور في وسط الخليج
ولعلها أرادت في خلفه عوناً لها في نفوذها .

يقول :

هل من يجيب إذا دعوت الداعي

ويمي الخطاب و أين مني الواعي ؟

ذهب الرجال وخلفوا أشبالهم والماء يخلفه سراب القـاع

كم ذا أنادى فيرمسوع الندا وأحث للإصلاح غير مطـاع

ويتحدث الشاعر عن ضياع الإسلام وما ذلك إلا لخلافهم فيما بينهم :

ضيعت الإسلام شراذمة علمت فضعت بعد شـر ضياع (٢)

(١) شعراء هجر ص ٤٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧ .

ساد الخلاف برأينا وتغلّبت في جمعنا الفوضى فما من راع
فبكل دار منبر وخليفة يدعولبيعته على أوضاع
أوليس مفزانا جميعا واحدا فعلام هذا الخلف في الاتباع
فالهنا وكتابنا ونبينا وبلا دنا والأصل غير مشاع (١)

ثم التفاته الى الاسلام في أيامه المشرقة أيام صحابة الرسول صلى الله
عليه وسلم تلك الصفوة المؤمنة الزاهدة المحاربة .

لله در عصابة قد أحرزوا قصب السباق بحلبة الابداع
دانت لأمر الله أنفسها لذا دانت لها الدنيا بلا استمناع
ملكوا جميع المشرقين وأخضعوا الب

اغين فيها أيما اخضاع
ومشوا على البحر الخضم فما اشتكوا

بلا بأقدام ولا أذراع

ملأى الصدور من المكارم والتقى

ومن الحطام فوارغ الأضلاع (٢)

والشاعر يدرك أن سلاح الأمة يتمثل في تمسكها بدينها ومحاربتها
الجهل بالعلم والجوع بالعمل ، دعائم ثلاث دعا إليها الشاعر :
وتعلموا فالعلم معراج العلا ومفاتيح الاخصاب والاهوار

(١) شمراء هجر ع ١٢٨٠

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

واذا علمتم فاعملوا فالعلم لا يجدى بلا عمل بحسن زماع
وابنوا على التقوى قواعدكم فما يبني على غير التقى متداع
هبوا لطرد الفقر عن أوطانكم جيشا من الزراع والصناع (١)

ثم يحذر الفافلين عن كيد المستعمرين :

يا أيها النومان بين مغالب الد يث الهصور ونابه القلاع
ارحم شبابك وانتبه من قبل أن تضحي ضحية حلقة البلاع
فاخش المدو وان أراك تلطفا فله بذاك اللطف نهش شجاع
لا تحسبن وفاق شعب أجنب شعبا ضعيفا غير محض خداع (٢)

ويتمنى أن تجتمع راية العرب والمسلمين على الحق والخير ، ويرى في الملك
عبد المزيـز الرجل المنشود لتحقيق ذلك :

يا ليت عرب المسلمين وعجمهم

عقدوا عليه عقدة الاجماع

واستخلفوه فهو خير خليفة

ففي نصرة الدين المظهر ساع

لا زال كوكب جوده وسعوده

ينمو بطيب ندى وحسن شماع (٣)

(١) شمراء هجر ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٠ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٢ .

وله قصيدة أخرى يندر بهذا المستعمر الذي يهدد أمن الخليج :

أليس قد شابت بريطانيا
بل ففرت فاهها لبلغ الورى
وقام منهم آمرنا ناهيا
ببقوة المدفع منهم خطيب (١)

لكن هذه الغفلة لا بد أن تعقبها
تقضي على الغربي عما قريب
فقد أفاق الشرق من سكره
وهب من نومه ثائرا
مضيعا في سالفات الحقوب (٢)

(١) شمراة هجر ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥.

فن الرثاء

وقد طرق الشعراء الأحماسيون هذا الفن فرثوا أقرابهم وعلماءهم

وصحبتهم .

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك يرثى والده حينما بلغته وفاته سنة ١٣٤٢هـ .

أضحى له في كل ناد مأتم	د هم الورى نبأ عظيم موء لم
والليل أليل والنهار مسهم	حالت به الاكوان فهي حوالك
أفواه خرس والقلوب تكلم	ظللنا حيارى والعيون تسبح وال
ومجالس بمدامع لا تفهم	تبكي عليه مدارس و مساجد
منه القصور بل الصدور الهيم (١)	أنست بمقدمه القبور وأوحشت

واستوقفتني أبيات يقول فيها :

ربا كريما جاره لا يهضم	أبتي و ليهنك أن غدوت مجاورا
وضاعرى للقاك هيم حوم	عجبا تشقيك الغيوث محاجرى
أو نفحة من عرفه تتنس	من لى بمسك من ثراك أشمه
منه حبيب للفؤاد معظم	كل الثرى لما نزلت بأذرع
أمشي عليه أو يطاه منسم (٢)	صعب عليّ وقد حواك بأننى

و نلمس في هذه الابيات بنوة بارّة ومشاعر صادقة لابن يوارى أباه التراب .

(١) شعراء هجر ص ٢٠٢-٢٠٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥

وتتخلل هذه المراثية أبيات تفيض بالآيمان من مثل قوله :

سلم أمورك للمهيمن كلها فالله يفعل ما يشاء ويحكم
لله أن يقضي بما شاء في الورى

وعلى الورى الصبر الجميل محتسب
شينا بقاء وربه اختار اللقا والله منا بالمصالح أعلم (١)
ولا تخلو مراثيته من وعظ ونصح في مثل قوله :

والناس سفر والزمان مطية والعمر بيد والقور مخيم
هذا قصارى ملغ الدنيا فكن يقظا ولا يضررك منها مبسم
والعمر رأس المال فاحفظه فما قد ضاع من عمر الفتى لا يفرم
واعمل لنفسك صالحا تجزى به يوم الحساب فان عمرك موسم
واجمل من العلم الشريف المرتضى

علما يدلك أن دهرك مظلـم (٢)

ونقف أيضا عند مراثيته لعمه راشد بن عبد اللطيف بن مبارك :

عزاء فما يفني الأسى والتفجع وان دهم الخطب الجليل المزعزع
ولو كان سكب الدمع يفني أخا شجا

(٣) بكينا دما لكنه ليس ينجـح

(١) شعراء هجر ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٤

(٣) المرجع السابق ص ١٩٧

وهو عالم من علمائها فموتته ثلثة لا تسد ، يقول الشاعر :

سيبيكيه محراب ودرس ومنبر وكتب وأقلام ورأى ومجمع
ووعظ وتذكير الى الله منهض وزجر يلين الصخر منه ويخشع
سيبيكي عليه العلم والجود والحجا

(١) وحسن النهي والعزم والعزم أجمع

وهي أيضا تزخر بنظرات موءنة صائبة للحياة والأحياء :

فلو شفع الدهر الحياة لميت شفعا له لكه لا يشفع
ولو كان ريب الدهر يدفع بالقوى

دفعناه عنه بالتى هي أمنى

ولكن حكم الله لا شك نافذ وما لا يرى عما قضى الله مدفع
ومن كان في كف الزمان زمامه أينفمه أن اللجام موسع
لقد قصرت عن كه كف قيصر كما كسرت أجناد كسرى ومزعوا

(٢) ألا انما الدنيا هباء بكموة وآل على أفنان صحراء يلمع

وفي رثاء العلماء نجد مژنية الشيخ عبدالله آل عبد القادر للشيخ عبدالله
ابن عبد اللطيف آل مبارك ويرثي فيها العلم والعلماء حتى ليسي اسمي أهل
الأهساء هذه القصيدة مرثية العلم :

لقد عفت من ديار العلم آثار فأصبح العلم لا أهل ولا دار
يا زائرين ديار العلم لا تفدوا فما بذاك الحمى والدار ديار

(١) شمراء هجر ص ١٩٨-١٩٩

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩

ترحل القوم عنها واستمر بهم مشر من حداة البين سـيار

قد أورل القوم هاديهم حياض ردى

فما لهم بعد ذاك الورد اصدار (١)

ولعلنا نلاحظ احتفاء الاحسائيين في شعرهم مدحا ورثاء بالعلماء وهذا

يعكس وعيهم وحبهم للعلم وتفانيهم في الحصول عليه .

والشاعر يرثي هنا عالما بل رائدا للعلماء :

يا بين مهلا أتدرى ما الذى صنعت

بنا يداك ويأتى منك اشعمار

سهم تخير في الاحياء كلهم وهكذا كان سهم البين يختار

فجمعتنا بفتى الفتان قاطبة كأنه تحت طي البرد أسوار (٢)

والشاعر يرى في موت هذا العالم موتا للعلم وأهله ، يقول :

قم يا خليلي نقم للعلم مآتمه نبكي عليه فخطب العلم كبرار

لهفي على سرج الدنيا التي أطفئت

ولا يزال لها في الناس أنوار

لهفي عليهم رجالا طالما صبروا وهكذا طالب العليا صبار

مالوا يمينا عن الدنيا وزهرتها لأنها في عيون القوم أقذار

وصاحبوها بأجساد قلوبهم طير لها في ظلال العرش أو كمار (٣)

(١) شعراء هجر ص ٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

يويد هذا المعنى ما جاء في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :
(ان الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء
فيرفع العلم معهم و يبقى في الناس رو سا جهالا يفتونهم بغير
علم فيضلون و يضلون) (١)

و في الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك أيضا نجد مرثية للشيخ
عبد العزيز بن حمد ، وفيها يذكر مصابه في ابن عمه الشيخ عبد الله بن
عبد الرحمن ، يقول فيها :

ورمت خيرنا المنون بسهم وهي قوس سهامها صائبات
فجعتنا ببحر علم و فضل ذى كمال تسموبه المكرمات (٢)
وفي ابن عمه يقول :

غالني الدهر في ابن عم كريم قد علت منه مذنا هـمات
بزني الدهر صاحبي بل شقيقي قريني فأين مني الثبات
فراق الأقران أبلغ شي فيه للحازم الأريب عظام (٣)

لكن نفس الشاعر توءب الى رشد ها وتستشعر الايمان بين جوانحها :

يا قسيمى هذا المصاب ترفق فلربي في حالنا نظرات
غيفض الدمع فالبكاء غير مجد والردى لن ترده الزفـرات
وتعمل من فقدته بالتأسى فالتأسى بمن مضى مسـلاة (٤)

(١) صحيح مسلم ج ١ / (باب رفع العلم وقبضه) ص ٦١

(٢) شعراء هجر ص ٤١٨

(٣) المرجع السابق ص ٤١٨ — ٤١٩

(٤) المرجع السابق ص ٤٢٠ — ٤٢١

حقاً لقد كان التأسّي عن فقد الأُحبة وما يزال شأن النفوس المكلومة
فذلك الخنساء فجعلها الدهر في أخيها صخر فلم تجد من التأسّي بداء
وقالت:

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزى النفس عنه بالتأسّي (١)
وتفويض مراثي الأُحسائيين بشعر الوعظ والتذكير كما في هذه المراثية .
يقول الشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك فيها :

وازجر النفس وانهبها عن هواها قبل أن تسترقها الشهوات
واعمر العمر بالتقى وتجنب سيئات مآلها حسرات
وتأهب لرحلة ليس فيها لك بدء عنوانها السكرات
فلنا بعد ذى الحياة مات ولنا بعد أن نموت حياة (٢)
وفي الموت عبرة لمن يعتبر ولكنها نفوس غافلات أو متغافلات .

(١) ديوان الخنساء ص ٨٤ .

(٢) شعراء هجر ص ٤٢١ .

الهجاء والنقائض

قد يظن الناظر في الشعر الأُحساني - ما لم ينعم النظر - خلو
ساحته من فن الهجاء والنقائض ، وما ذلك الا لضرورة هذا الجانب قياسا
الى ما حفلت به هذه البيئة من فنون شعرية أخرى ، بل أنه أوسع
كتاب عن شعراء هذه المنطقة وهو كتاب " شعراء هجر " الذي ترجم فيه
لشعراء على مدى الثلاثة قرون الماضية يشير الى أن هؤلاء الشعراء لم
يطرقوا هذا الفن (١) .

لكن غفوت هذا الصوت في فن الهجاء ينهفي أن لا يدعونا الى نفي
وجوده .

فهذا الشاعر عبد الميزز الملجي يرد على أمين الريحاني (٢)

بقوله :

ولقد عجبنا والمجائب جمّة من فرية جاءت عن الريحاني
زعم الجهول بأن اخفاء النسا من موجبات الذم والنقصان
فاذا أقول مخاطبا هذا الذي يروى خرافات عن الشيطان
وأصون آيات الكتاب وقدرها من أن أجيب بها ذوى الطغيان

(١) المقدمة : ص

(٢) هو أمين بن فارس البجاني وعرف بالريحاني ولد عام ١٢٩٣ هـ في
لبنان كان خطيب ، يعد من المؤرخين له مؤلفات " ملوك
المرب " و (تاريخ نجد) وتوفي عام ١٣٥٩ هـ (الاعلام
ج ٢ ص ١٨) .

لكن بمقول أتى عن فطرة قد نورت بالشرع والبرهــان
ان النساء مواضع لودائع نطف تكون لا شرف الا كـوان
فاذا برزن وخالطت من تشتهى

ضاعت لديهمات نسبة الانسان

فافهم لحكمة محسن صنع الورى

لا ما تقول بجهلك الفتــان

ما كان أشبه جهلكم بطباعكم

وطباعكم وعلومكم ســـــيان

أنتم خفافيش وجمالان على

طيب الروائح أو سنى النيران

فعلى الظلام مسيركم وحياتكم

تنمو على الاقدار والا تنتـان (١)

ويسدو كما جاء في أبيات الملجي أن الريحاني كان من دعاة خروج المرأة
الى العمل مختلطة بالرجال ويرى أن اعتمادها عن تلك المواطن سبة
تزرى بها ولعمري ان ما يراه الريحاني وأمثاله هو عين الذم والنقصان .

وقد كانت للشاعر الملجي أيضا نظرة قاسية للعلوم الوافدة من
الخرب وقد كان ذلك لسوء المرض وما عرف عن أوربا من خلاعة ومجسـون
أثر في أن لا يطلع علماء الاسلام في ذلك الوقت على الحقائق اطلاعا
كاملا يمكنهم من الحكم الواعي (٢) .

(١) شمراء هجر ص ٤٧١-٤٧٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٦٨ .

وها هو ذا يندد بالمناصرين لتلك الحضارة :

عذ بالمهيمن من هوى فتان ما تلك الا فتنة الشيطان
من كل عصري هواه مرسيل ما قيدته ريقة الايمان
نمقت شياطين فليت صوتها لسخافة الا حلام والا نذهان
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ولسنة المختار من عدنان
لما رأى حمقى الورى في عصرنا

في طمعهم عنها نفور تواني
صدوا صدود المعجبين برأيهم وتكبروا كتكبر السـكران
هم شابهوا في حالهم جملا اذا

أرداه طيب عاش بالانتـان
حكوا خفافيش^(١) تطير بظلمة ان كان يعيشها سنى النيران
الى أن يقول فيها :

وهم دعوكم للهوى فأجبتهم أين الهدى يا مدعي الايمان
هم أورثوا تباعهم في دينهم كسلا يؤء ديهم الى خسـران
هم زندقوهم شككوهم فى الهدى هم أولعوا بالزور والبهتان^(٢)

لكن من عرض لهذه القصيدة وللابيات السابقة لها في الرد على الريحاني من
الباحثين — فيما قرأت — لم يشر الى ما فيها من أبيات تصلح أن تسلك
في شعر الهجاء فأحدهم أشار لها في شعر المواعظ والزهديات^(٣)

(١) كذا بالأصل والصواب عروضيا (وحكوا خفافيشا)

(٢) شعرا هجر ص ٤٧٢ الى ص ٤٧٤

(٣) المرجع السابق من ص ٤٧١ الى ٤٧٤ .

وأخر أشار إليها في الشعر التبرؤى في الأُحساء^(١) مناقشا مواقف الشاعر من الحضارة الغربية والرافض لكل خيرها وشرها .

أما بالنسبة للنقائض في الشعر الأُحسائي فإن الشعراء كانت لهم جولات فيه وذلك يتضح من استعراضنا لديوان ابن سحمان وهو أكبر شعراء الدعوة في النقائض^(٢) والمهاجاة ففيه ردود على بعض الأُحسائيين الذين كانت لهم مواقف تخالف مبادئ الدعوة حتى أن ابن سحمان يشير إلى خلو الأُحساء من العلماء والمهتدين للنهج القيم الذي دعا إليه القرآن الكريم والسنة المطهرة من أمثال ابن غنام وابن مشرف ، يقول :

ولو كان فيها عالم أو موفق لا بصر نهج الحق كالشمس قيحا
كمثل ابن غنام وكابن مشرف ومن قد نحا منحاهما وتقدمـا^(٣)

ولكننا لانجد من قصائد الشعراء الأُحسائيين الذين رد عليهم ابن سحمان إلا بضعة أبيات أو إشارة لبیت منها في رده عليها أو الرد عليها فقط .

فهذا الشاعر أبو بكر عبد الرحمن بن عمر الأُحسائي يهجو شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، يقول :

بدت فتنة كالليل قد غطت الأفقا

وشاعت وكادت تبلغ الغرب والشرقا

فأظلمت الأرجاء من شرها الذي

ربما أغوى جهارا وما أشـقا

(١) الشعر في الجزيرة العربية من ص ٢٧٥ الى ص ٢٧٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧

(٣) ديوان ابن سحمان ص ١٩٢ .

تزلزل منه الدين أى تزلزل وكادت تهوي من شرها الصروة الوثقا
وظامت على ساق الغواية وانبرت تثير ققام الكفر في وجه من تلقا
أغارت بأوهام الضلال وانجذت وعاتت بأهل الدين توسعهم وشقا
على فترة في الدين جاءت فشبهت

كشهد مذقت السم في بطنه مذقا

بدت من غوى خامر الكفر قلبه وأتباعه الجلف السواسية الحمقا
بدا شرها من شر أرض وبقمة وابشعها مراة وأكثرها فسقا (١)
وأحيانا كثيرة نرى رد ابن سحمان على الشعراء الأحماسيين فقط مثل رده
على منظومة من الأحمساء لعبد اللطيف بن عمير يهجو فيهما الشيخ
عبد الله الخرجي (٢).

ورده كذلك على أناس من أهل الأحمساء نالوا من أحد أنصار الدعوة
وذموا كنبه وهو (صديق بن حسن الهندي) يتزعمهم أولاد عبد اللطيف
ابن مبارك الأحماسي وأتباعهم (٣).

ولا نجد من شعر هذه النقائض شيئا منشورا أو مذكورا عدا ما أشار
إليه ابن سحمان في معرض رده عليه .

لكن بعض المصادر تورد أبياتا يشم منها أنها قيلت في النقائض قال
عبد الله بن عبد القادر :

-
- (١) ديوان ابن سحمان ص ٨٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥٦ .
(٤) الشعر في الجزيرة العربية ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

يا قبح الله بدعيا يحاول
من اثبات بدعته ما كان ينهار
أخوهدى مولع بالحق يدفعه
له على أهله رد وانكسار
يقول هذى فروع ضل أخذها
وانما هي قرآن وآثار
وضلل الناس في تقليد هم سلفا
هم الهداة الأولى للدين أنصار
يقول قد عبدوا الأخبار ، واتخذوا لله ندا فحسب الأبعد النار

وهي توضح أن قوما اتهموه بمباداة الأخبار والشرك ، ونعوا تقليده في
الفروع وضلوه في تقليده الأئمة ، ومعروف أن هذه التهمة جاءت من
أنصار الدعوة (١) .

وقد أرجع أحد الباحثين اختفاء قصائد خصوم الدعوة وعدم
انتشارها لأسباب هي : ظهور الدعوة على مناوئتها بحيث لم يبق
لأصحاب تلك القصائد مناصرون في العلن فذهبت بذهاب أهلها
واضمحلال أنصارها .

وجود أكثرها عن أصحاب المكتبات الخاصة والذين يضمنون بها لبعض
الأسباب ، وسبب آخر وهو أن أهل الدعوة لا يحرصون على اثبات
شعر معارضيه ، ولا على روايته إلا ما ندر كما رأينا في شعر ابن
سحمان .

وربما كان الشاعر قد وثق من معرفة جمهوره للقصيدة أو أنه
أغفل قصائد المعارضين خيفة أن يدخل كلامهم في نفوس العامة
أو أن قصائد المعارضين قد حذفت عند طباعة بعض الدواوين والكتب .

(١) الشعر في الجزيرة العربية ص (٢٨١ - ٢٨٢) .

والا فما معنى أن ينشر شاعر كابن سحمان قصائده دون معرفة
أجوائها ومناسباتها ودون أن يحرف القارئ ما هي الحجج التي عنى
بنقضها وما هي أشعار هذا الفريق وذاك ، لكي يستطيع - سواء
كان عالما أو متعلما - أن يدرك الحقيقة كاملة (١) .

وإذا اتيح لتلك الأوراق المخطوطة أن ترى النور فستكون
مجموعة شريرة في النقائص والهجاء الديني والمذهبي (٢) .

(١) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٠٦-١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

فن المديح

وهو باب واسع في الشعر الأُحسائي وقد رأينا طرفاً منه في شعر
الاخوانيات ، وقد مدحوا الأُحرارَ والحاكمين كما مدحوا أصدقاءهم
وأقرباءهم .

ومن مدائحهم للأُمراء والحكام مديح الشيخ عبدالله الكردي (١)
يمدح سعدون بن عرعرة (٢) :

جباه المعالي قد سجدن لمـزـه
إذا ما تجلى في أجل المظاهر
توسط من شم المكارم منـزـلا
تقاصر عنه كل باد وحاشـر
وأحمد نار الفقر عن لهيبها
أضربه بالجائزات المواطـر
حليم على الجاني ولكن بقـدرة
صفوح عن الزلات غير مـسـادر (٣)

وهذا الشاعر عبد العزيز الحلبي يمدح الملك عبد العزيز في تهنتته
له بفتح مكة المكرمة .

-
- (١) ولد سنة ١١٣٠ هـ في كردستان وعاش متنقلاً بينها وبين الأحساء ، وتوفي
سنة ١٢١١ هـ . تحفة المستفيد ج ٢ ص ٨٣ و ٨٩ .
(٢) من بني خالد حكم الأحساء سنة ١١٨٩ هـ (المرجع السابق ج ١ ص ١٣٠)
(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٩٧ .

يقول فيها :

بعزم امام ثبت الله أمره وأورثه حلما ورأيا مسددا
وقلده المولى رعاية خلقه فأعطاه علما كافيا ما تقلدا
فكانت ملوك الأرض شاهدة له بأن كان في فن السياسة أوهدا
حكيم بأطراف الأمور اذا التوت يفك بحلم ما التوى وتعقدا (١)

والواقع التاريخي يشهد بالمعنية الملك عبد العزيز وتفوقه السياسي ، فضلا
عن انه كان فوق ذلك ناصرا للشريعة ، يقول الملجي :

وأعظمهم عند الحفاظ حفيظة

وأكثرهم عند الاله تعبدا
وانصرهم للشرع من غير مريسة
وأقومهم سيرا على سنن الهدى
به حرس الله الجزيرة فاغتدت
أعز على الأعداء نبلا وأبمدا (٢)

وهذا الشاعر عبد الله بن عبد اللطيف آل عمير يمدح المغفور له الملك عبد
العزيز :

أنهت خلافته للناس شاملة
باليمن والأمن أدناهم ومن نزها
تا الله ما مثله في العرب من ملك
زان الخلافة منهم غيره ونحنا

(١) شعراء هجر ص ٤٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٦ .

قد حكم السيف في هام البغاة ضحى
فأذعنوا ان غدوا من بأسه جرحا
لذلك الخطب أبدوا توبة صدقت
بها استقاموا على نهج الهدى صلحا
أمدّه الله بالنصر المبين فلا
(١) يخشى العواقب من باغ بغي ونحسا

ولعلنا نلاحظ أن الشاعر وقف أمام معنيين هامين وهما : اليمن والامن
فأهم ما تحرص عليه القيادة الرشيدة في الأمة تحقيق هذين الأمرين
فإذا عمّ اليمن وساد الامن تحقق بعد ذلك للأمة ما تنشده وتتطلع
اليه من تقدم حضارى ، يشير الى ذلك المصنى القرآني الكريم :

* فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم
من خوف * (٢)

ويستعرض الشاعر في قصيدته معان عظيمة وهامة في بناء الدولة منها :
تحكيم السيف في رقاب البغاة فكان منهم الانذان ثم التوبة ثم
الاستقامة على نهج الهدى والحق ، والتدرج من الشاعر في هذه المعاني
دقيق ، انذان ثم خضوع ثم توبة فاستقامة على الحق .

ويقول أيضا :

قوم هم ورثوا للملك منزلة	وأحسنوا الرمي فيما استرعوه ضحى
خيل اذا ركضوا أسدا اذا وثبوا	غرا اذا برزوا يمن معا سمحا

(١) شعراء هجر ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٢) قریش آية ٣ .

لهم من الملك أعلام بهم رفعت فوق الثريا تمارى في السما قزها
شادوا بها الدين حتى قام قائمه على المنابر ان ما طيبه نفعا (١)

ويرتفع الشاعر بمدوحيه ، فيهم يشرف الملك ، هم خيل اذا ركضوا وأسدا اذا
وثبوا وغرّ اذا برزوا وأخيرا يمن وسمح هم شجعان مهابون كرماء
بذلك كله أعلوا راية الدين .

ويمدح العلجي صاحب المعظمة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة :

أليس الى خير الملوك وفخرهم
ومحيي لنا شخصي الندى بعدما بنفي
الى ملك ينمى لآل خليفة
سراة لهم في المجد أشرف موضع
أسود اذا خاضوا الفمار وانهم
بدور اذا جلتوا الصدور بمجموع
بآدابهم يرتاض كل مهذب
وعند نداهم ينتهي كل مطمع
ولا سيما عيسى الهمام الذي به (٢)
"أوال" تناهت في العلا والترفع
هو الجبل الراسي وقارا وهيبه

(٣) وهزما وعزما مع سياسة المعني

وقد عرف عن هذه الأسرة الحاكمة كرمها وحبها للعلم والعلماء .

(١) شعراء هجر ص ٥٢٠-٥٢١ .

(٢) في الأصل بدون واو ، وبغيرها ينكسر البيت .

(٣) شعراء هجر ص ٤٤٤-٤٤٥ .

وخص الشاعر الشيخ عيسى بن خليفة وامتدحه وقد رأينا الشاعر عبد العزيز ابن عبد اللطيف في قصيدته السياسية الهامة التي قالها عند عزل الشيخ عيسى عن الحكم من قبل الانجليز لا أنهم رأوا فيه رجلا عربيا لا تليين قناته لمستعمر ، يقول الشاعر عبد العزيز بن عبد اللطيف :

ان يستطيعوا عزل عيسى فانعزوا
لعل عيسى ليس بالمضطرب (١)
ملك أشاد له الندى ذكرا ملاً أفا
ق بالاضواء والأضواء (٢)

ويقول في قصيدة أخرى :

فان يوما عزل عيسى جرى فيه على الاسلام يوم عصيب
هل بمد عيسى المرتضى المرتضى وأله العيش لحريطين (٣)
فتى حماه الرهب للملتجى حصن وللمافين مرعى خصيب

ومن مديحهم لآل خليفة قصيدة الشيخ عبد الله آل عبد القادر ، يقول
مادها لهم في قصيدة لخالد بن عبد العزيز آل عبد القادر وهو
في (أوال) :

قوم لهم في كل هي نعمة كالغيث يسقي سائر البلدان
مسح الاله على النواصي منهم فهم الملوك بمسحة الرحمن
واذا مدحت وليدهم في مهده أعطى التمام ضاحك الأسنان (٤)

(١) كذا بالاصل وهي المستطاع .

(٢) شعراء هجر ص ١٨١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٣٤ .

ومن مديحهم لا صدقائهم قصيدة الشيخ محمد بن الشيخ صارك
يمدح الشيخ أبي بكر الملا ، يقول الشاعر :

فشيدت ربيع العلم بعد دروسه
ومثلك من قد كان للعلم شـيـدا
وصنت جناب العلم بالنسك والتقوى
كذاك يكون العالم التارك الردي
فقل للأولى قد قدوا لابن ثابت
أبويوسف فيكم لعمري مجـدا
ذكى له بكل المعاني خضـما
إذا هو ناداها أجابت له النـدا
نبيل له في المضلات نتـائج
فتعطيه طوعا شاء مثنى وموحد (١)

وتخلو القصيدة من المديح بغير الصفات المعنوية .
وهذه قصيدة في مديح الشيخ عبدالله بن أبي بكر وآل الملا نظمها
عبدالله آل عبد القادر ، يقول :

هم كانوا نجوما في الدياجي	وهم كانوا رجوما للأعداء
يكاو الدهر يخفيهم وتأبى	بدور التمام أن تخفى بنـاء
لنا من سلكهم قطب رفيع	عليه مدار أقطار البـلاء
يدير الكأس فينا كل حين	فيطفي حرا أكباد صـواء
شراب ينهض الأرواح حتى	سمت صعدا على السبع الشـداد
ويوقد للقرى نارا ضياها	تقدس أن يحور إلى رمـاء (٢)

(١) شعراء هجر ص ٦٨
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٢ .

شعر الاخوانيات

وقد احتل هذا اللون من الشعر جزءاً كبيراً من ديوان الشاعر
الأحسائي ، وهو يضم التهنئة ، والاعتذار والعتاب وشعر التزاور وما إلى
ذلك من المعاني الاجتماعية الواسعة التي تربط الناس بعضهم
ببعض .

وينضوى تحت لواء الاخوانيات :

التهنئة والعتاب :

فهذا الشاعر عبد العزيز بن حمد آل مبارك (١) يهني بمولود
على لسان أصحابه يقول :

ليهن بني العليا طلوع هلال
به ازداد في الاشراق أفق هلال
وقل لربوع الفضل بشري مقدم
لفيث نوال وليث^(٢) نزال

(١) ولد في الهفوف عام ١٢٧٩ هـ وبدأ حياته بحفظ القرآن ثم انتقل الى
مكة وتلقى قسطاً طيباً من مبادئ العلوم الشرعية والتاريخية
واللغوية فيها ، ثم عاد الى بلده وعكف على الدرس والتحصيل ، وأكمل
دراسه على مشايخ أسرته وكانت له رحلات الى الخليج العربي ،
واماراته والعراق ثم الكويت بدعوة من أميرها ، وكانت هذه الرحلات
تستهدف الدعوة الى الله ومحاربة البدع وتدريس العلوم الشرعية ، وقد
توفي سنة ١٣٥٩ هـ (شعراً هجر ص ٢٩٣ الى ص ٢٩٩) .

(٢) هكذا بالأصل والصواب عروضياً (لفيث نوال أو لليث نزال) .

ولم لا وينميه الى المجد والود

هـام لسوم المكرمات مفالسي ٩

هلال الذی باهت مطیر به السوری

فلا زال للعافين خير ثم قال (١)

قله مولود به استبشر الندی

کما غیظ أعداء و سر موالی

وأحب به من قادم في جيبه —

نه سنا مسحة من بهجة و جمال

ألم تر أن السعد جاء مؤرخا

ألا ان هذا الطفل مرء معالي

وهذه التهنئة هفلت بما نراه في شعر المديح من أوصاف تقليدية

للممدوح فهو غيث أوليث وبينهما جناس لطيف ، وفي اجتماع النقيضين

ففي قوله : (كما غيظ أعداء و سمرمالي) تقابل مناسب .

ثم ختم الشاعر أبياته بالتأريخ لمولد هذا الغلام بقوله :

(ألا ان هذا الطفل مرء ومعالى) ودلالته الرقيية

• عام (۱۳۳۲ هـ)

وتهنئة أخرى للشاعر عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك (٣) ،

(١) شمال القوم : بكسر الشاء غياشهم الذي يقوم بأمرهم (لسان العرب مادة شمل)

(٢) شعراء هجر ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٣) ولد في الأحساء عام ١٣١٠ هـ، ونشأ محبا للعلم والأدب ومكارم

الأخلاق ، وعرف عنه الارتجال على البديهة وولعه بالبديع ، وقد

طرق اكثر اغراض الشعر العربي وأجاد فيها وقد شارك بشعره

السياسي وهو جانب لم يشارك فيه من شمر الاحساء الا قلة وقد توفي

سنة ١٣٤٣ هـ. (المراجع السابق من ص ١٤٥ إلى ص ١٤٨).

وقد قيلت في (أحمد خلف) (١) بمناسبة عيد الفطر :
يقول :

الى كم فؤادى في هواك عميد
وأيسر ما ألقاه منك صدود
أيحسن أن تمسي بوصلك باخلا
علي وجفني بالدموع يجود
خليلي كعابن ملا مي واسعد
ولا تعذلاني فالفرق شديد
ألا يا لقومي لا فتاني بشادن
سباني منه مقلتان وجيـد
له خلق كالروخ باكره الحيا
ولحظ لحبات الطوب يصيد
وخصر كجسمي قد شكا ثقل ردفه
وشر نفيس الدرفيه نضيـد
سقى داره غيث حكى كف أحمد
إذا نزلت يوما عليه وفود
فتى فاق أبناء الزمان سماحة
وقضلا ونبلا والأنام شهود (٢)

فالأبيات كما نرى بدئت بذكر الهجر والصدود ثم غزل ثم مديح ، ولا نرى فيها ذكرا لمناسبة هذه التهنئة ، فلو لم ترد في سياق التهناني لما عرفنا ذلك .

(١) وهو أحمد بن خلف بن عتيبة من أبي ظبي في عمان تاجر لواء
من زعماء أبي ظبي وتجارها . (شعراء هجر ص ١٦٣) .
(٢) المرجع السابق ص ١٦٤ .

وفي المصتاب : يقول الشاعر عبد العزيز بن عمر بن عكاس (١)
مصتابا عبد العزيز بن حمد آل مبارك على عدم زيارته لمحلته :

ساطع الفحل من علاك شهيد
أنك الدهر في تقاك فريد
ما سبرنا صفاتك الفخر الا
وشهدنا أن الصباح خفيـد
فاضل كامل أديب سـرى
لوزعي حلا حل^(٢) صنديـد
صهوة المجد قد تمطى وسارال
مجد يسمى وما عليه سميـد
ذا المعالي ما بال حظي تحضى
لي منكم هجرا وحي أكيد
ألا أني لوصلكم لست أهـلا
أم لا أني من الكمال بعيد (٣)

وقد حظي المصتاب بفضائل جمّة امتطى بها صهوة المجد وهي
صورة جميلة والبون كبير بين الاثنين صهوة خيل ، وصهوة مجد .

(١) من أهل الكوت " محلة بالهفوف " حنفي المذهب تفقه على يد
الشيخ عبد اللطيف الملا ، وهو الان (سنة ١٣٧٩ هـ) رئيس هيئة
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأحساء (شعراء هجر ص ١٥٤)

(٢) الحلال : السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه (لسان العرب
مادة حل)

(٣) شعراء هجر ص ٣٦٨ .

وبعد هذه الجولة مع فارس المجد نرى الشاعر يود هذه المحبة
بقوله :

بيد أني على البعاد أوالي شكركم منه طارف وتليد
فحنوا منكم علي فاني بكم مفرم ولي تسهيـد
وختامي على النبي صلاة تنسخ الصد والوصال تشيد (١)

وهي لا تخلو من تتابع المحسنات كما نرى في البيتين الأول والثالث ولا غرابة
في ذلك فالشعراء يسرون في ركاب أسلافهم في ولعهم بالمحسنات .

وفي اجتماع الأصدقاء :

يشدو الشاعر عبد العزيز بن حمد آل مبارك في اجتماع الأسترتين
آل مبارك وآل عبد القادر بدعوة من الشيخ راشد بن عبد اللطيف آل مبارك
في النخيل :

وفيهما يقول عبد العزيز بن حمد :

لطائف الأنس في طي المقادير
فاغنم اذا لاح منها وجه تيسير
فان رأيت ثمار الوصل دانية
فلا أراك أذا عجز وتقصير
يا حبذا ليلة جاد الزمان بها
حسبتني نلت فيها ملك سابور (٢)
الأنس يبسم في أرجائها
طربا والسعد يهتف فيها بالتباشير

(١) شعراء هجر ص ٣٦٩ .

(٢) سابور : ملك مصر شاه بور (القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة سبر) .

وميض البرق من غرب العيوني
أفاض الدمع من غرب العيون
ونوح الورق أوري ناروجدي
وأذكي لوعة القلب الحزيبين
عجبت لها ثنوح وعن شمال
تخاطب الفها وعن اليمين
وقد باتت من الأوراق تملهي
وبت أمل من بحر الفنون
إذا صدحت وحقك لم تجد من
يجابها سوى دمعي الهتون
هو بتكم فطمت نحو غيـرى
كذاك من الهوى ميل الفنون
أكتبكم وأنتم في فـؤادي
(١) وأطلبكم وأنتم في العيوني
وقد ازدانت هذه المقطوعة بحلى لفائية غير متكلفة ، فالشاعر أحسن
التجنيس بين قوله " العيوني " و " العيون " و " فطمت " و " فيل "
الثانية مع اختلاف مقصود الشاعر في كل منهما ، وكذلك ورى عن
العين بذكر محلة (العيوني) ،

وقد أجابه الشيخ محمد آل عبد القادر بمقطوعة شعرية منها :

سلام صيخ من سحر العيون يسلي لوعة القلب الحزيبين

يحكي نسمة الاصبح طيبا وعتب أخي العودة والشجون
لقد أوقدت نارا بقلبي ولن تطفئ بمدمي الهتون (١)
وانما سميتها مقطوعات لأنها في أغلبها اتسمت بالقصر .

وقال الشيخ عبدالله بن عمير (٢) كُتبت للشيخ عبد العزيز بن
عكاس بعد وصولي الى بيته فلم أجده :

نهضنا قاصدين أبا المعالي كريم الطبع والحسب الجسيم
فوافق أنني بعد اتصالي بربيع لم أجده فيه نديمي
فأجمعت الآياب الى أهلي وفي قلبي الكيب لظي الجليم (٣)

فأرسل اليه الشيخ عبد العزيز بن عكاس بهذه الأبيات :

شوقي اليك وان نخست زيارتي شوق الظليم لفرخه (٤)
أنا من علمت بحبه فأعمل به
ما قد أردت فلن تراه يشوره

-
- (١) شمراء هجري ص ١٦٥-١٦٦ .
(٢) ولد في الاحساء سنة ١٢٩٣ هـ وتلقى علومه الدينية والعربية ثم
اشتغل بالتدريس في مدارس جده ، وحصلته الشعرية تنقسم الى
مدائح ومراسلات وفي وصف الطبيعة ومجاملة الأصدقاء ، ومواعظ
وزهديات ومراثي ، وقد توفي سنة ١٣٧٧ هـ .
المرجع السابق ص ٥١١ الى ص ٥١٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٥٤٧ .
(٤) الذكر من النعام (اللسان مادة ظلم) .

(١)

ان كنت راضى فالصدود عذابه

(٢) عذب لدي ووصلكم لي أحسنه

ولعلنا نلاحظ أن الشاعر أوجز الرد في ثلاثة أبيات وقد حمل البيت الأول صورة جميلة وهل هناك شوق أعظم من شوق الطائر لفرخه بل أحسنه أراد أن يصور عمق هذه العاطفة وصدقها فرآها متجسدة في هذه الصورة أنها محبة فطرية محبة الأحياء جميعا لفلذاتها .

وفي قوله (فالصدود عذابه عذب) ابداع لفظي مناسب .

وأيا ما ينظم في عقد الإخوانيات هذه الأبيات التي أرسلها الشيخ عبد العزيز العلجي (٣) الى عبد العزيز بن حمد آل مبارك مع هدية له :

أيا سيدا ما زال يولي جميله

ومن فضله أن خصني منه بالتحف

سلكت من الاحسان بي كل وجهة

سوى خصلة كلمتها الآن بالظرف

(١) ولعلها ترضى .

(٢) شعراء هجر ص ٥٤٨ .

(٣) وينتمي الى قريش ولد في أواخر القرن الثالث عشر اشتغل في أول شبابه بالتجارة ثم انصرف عنها لطلب العلم واشتغل به متعلما ومعلما طيلة حياته . وله شعر جيد في السياسة و مكارم الأخلاق وغيرهما وقد توفي سنة ١٣٦١ هـ .
(تحفة المستفيد ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣٣) .

تنازلت احسانا بها وتفضلا

كما هي عادات الكرام ذوى الشرف

فزن بقبول ما بها من طرافة

فلا زال لي من بحر عليك مفترف (١)

هذه الأبيات التي يبعثها الشاعر العلجي الى الشيخ عبد العزيز آل مبارك مع هدية وقارىء الأبيات قد يعجب لمضمونها فهي تشعير بفضل المرسل اليه على المهدي ولكن العجب يزول حين نعلم أن الشاعر العلجي ما هو الا أحد طلاب الشيخ المبارك ومن أخذوا العلم عنه فهو وان كان يرسل اليه بأبيات شعرية وهدية فما هذه اليد الا بعض من أيادي الشيخ المبارك وأفضاله وهي أبيات تنم على وفاء العلجي لأستاذه .

ويرد عليه الشيخ المبارك بأبيات :

مشت وعليها شارة الحسن والظرف

ربيبه بيت المز والملم والشرف

حكى طيبة القناص حين تشبوقت

ولوء لوء الفواص ميزت من الصدف

وبين يديها قدمت لي مطلبيا

تطلبتنه من قبل فاعتاص وانحرف

فلم أراجلا له أن جعلتـه

على الرأس اجلالا لمن بالتقى اتصف

(١) شمراء هجر ص ٤٦١ .

ومن يتعرض لاستماعة خضـسـم

تفرش من نسج المكارم والتحنف

بقيت لنا عزا وكنزا وبهجة

ونهر علوم من زواياه يفتـرـف (١)

وكان لتلك الأبيات وقع حسن في نفس الشيخ المبارك وانزلها من نفسه منزلا حسنا بل ان قوله : " تطلبته من قبل فاعتاص وانحرف " ليدل على أنه كان يتشوق اليها ثم يمدح تلميذه الملجي بالتقى والكرم بل ويمتدحه بعلمه العزيز فهو نهر يفترف من زواياه وهذه الدقة في المديح تجعلنا نكبر فيه هذا التواضع فقد تعودنا الاعتراف من النهر لكن /زواياه أدل على اتساع وفيضه .

وأرسل الشيخ عبد العزيز الملجي أيضا بهذه الأبيات الى الشيخ هـر بن عكاس :

دع الناس ان الناس توسي وتو لم

وربك يقضي ما يشاء ويحكم

يسرى عبده احسانه متنوعا

شهيا ولا يشهى وربك أعلم

فكم حالة بالمبد ظنت غسـارة

فلما تعدته اذا هي مفنـم

ولا حظ كراما سالفين هم هم

على فضلهم في الناس ريموا وألـموا

على أن بعض الصالحين مفضل
خلاف هواه حكمه ومقدم
ولله الطاف بطي قضاؤه
أخوالهم في أسرارها يتفهم
فموسى بقذف الصيم تم علوه
ترقى الى أعلى الذرى وهو مكرم
ويوسف بعد الجب والسجن حقة
حوى الطك وهو المستفاد الممظم
وبالصبر والتقوى تنال هباته
وأتقى الورى عند المهيمن أكرم

الى أن يقول مادحاه :

عهدناك ذا فهم ذكي وذا حجا
وأنت بحمد الله حبر مقدم
فلا تكثر مما قضى الله انسه
هو الذخر والباغي سوى الله يقدم (١)
واستوقفتني أبيات الملجي فقد أودعها سلافة النصح وهي تنم على
إيمان قائلها فهي في معظمها مستمدة من معاني القرآن الكريم ليس
قوله :
فكم حالة بالصد ظنت خسارة
فلما تمدته اذا هي مضم

(١) شعراء هجر ص ٤٦٣ .

مستمد من قوله تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١)
ولكنها نظرة البشر القاصرة عن ادراك حكمة الله في ابتلائه لخلقه بل ان
المبتلين من عبادہ هم الاُخيار والمصطفون بل وأعلى درجة في الخليقة
وهم الاُنبياء ابتلوا ثم يضرب المثل بموسى ويوسف وما أعقب محنتهم
من فرج ويسر .

ولنستمع لبعض رده الشيخ عبد العزيز بن عكاس على هذه الابيات:

فبوركت من شيخ صدوق مخلص
توءد نهج السالفين و تبرم
ولكنني والحمد لله صابر
وراض بما يقضي عليّ ويحكم
فظنني به الظن الجميل مؤيد
(٢)
بلطف يواتيني اذا حل بمهرم

وما ينضم في عقد الاخوانيات أبياتا نظمها صاحب السمو الشيخ محمد
ابن عيسى آل خليفة في الشيخ عبد العزيز بن حمد وقد اشتكى ابن
حمد من ألم في عينه :

يقول الشيخ محمد :

وقيت بعمون الله من كل علة
وفزت بأجر من إله البرية
لئن بت يا عين الا فاضل شاكي
فقد خصك المولى بفضل ونعمة

(١) سورة البقرة آية ٢١٦

(٢) شعراء هجر ص ٤٦٤ .

قدم في سرور واعف عني فانسي

مقر بتقصيري ووضف القريحه (١)

وهذه الأبيات تدل على صلات أخوية تربط بين الشعراء والحكام كما
تدل على أن لهؤلاء الشعراء منزلة سامية عندهم ،

ولذلك نرى الشاعر عبد العزيز بن حمد يرد التحية بأحسن منها
في قصيدة فاقت قصيدة الأمير نظاماً وأريت عليها عدداً ، يقول :

جلت ظلم الأقدار حين تجلست

ولم تبقي للآلام لما ألفت

ومذ سفرت عن سافر الحسن سافرت

ركاب هموم في الفؤاد استقرت (٢)

وتبرز مقدرة الشاعر الفنية في قوله ، جلست وتجلت ، وسفرت وسافرت ،
ويمتدحه بقوله :

له نفس حر لا تزال مفردة

لمجد فان تسبق اليه اطمانت
لحن اذا المكرات الغر انبرى لها

كأن لم تكن الا له تصددت
نفور عن الفحشاء حرب لذي الخنا

حليف تقي منه الضمائر عفت (٣)

ولنو لم يقل ابن حمد في مدح الأمير محمد الا بيته الا خير لكاه .

(١) شعراء هجر ص ٣١٥ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق ص ٣١٦ .

فن الوصف

وهو من الأغراض التي حفل بها الشعر الأُحسائي ، ولا غرابة في ذلك فبيئة الأُحساء عرفت عنها جمال طبيعتها وغازة مياهها فلا عجب أن تجود قرائح شعرائها بما يعجب عن تلك الطبيعة الممطاء التي نعموا في ظلالها ، فكان أن جمعت الأُحساء بين الجمال والفن الشعري .

ونقف أمام بعض عيون الأُحساء التي تغنى بجمالها الشعراء ، يقول الشيخ أبو بكر الملا فيها (١) :

(٢)
يا عين نجم فقت آبار الحسا بحرارة وبخار ماء يصعد
زنت البلاد لأن فيك دلالة عظمى على توحيد رب يعبد (٣)

وكانت عين نجم متنزها جميلا يقصده أهل الأُحساء ، ومنهم الشعراء ليروحوها عن أنفسهم بمراعيها الجميلة ومياهها الدافئة . وفيها يقول

(١) ولد سنة ١١٩٨ هـ وتلقى علومه على يد علماء عصره ، وأجازته كثير منهم وله مؤلفات كثيرة منها (اتحاف النواظر بمختصر الزواجر) و (الأزهار النضرة بتلخيص كتاب التذكرة) وكانت وفاته بمكة المكرمة سنة ١٢٧٠ هـ .

(شعراء هجر من ص ٦١ الى ص ٦٤) .

(٢) عين نجم التي هدمت في عهد فيصل بن تركي لما انتشر حولها من خرافات .

(٣) شعراء هجر ص ٧١ .

الشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك :

فله عين جلّ مدع صنعها

ومن خلقه سبحانه الجن والانس

تفكر أخي في صنع ربك واعتبر

أنارا ترى في الماء يدركها الحس

عجبت لشيخ^(١) راح يعكس مدحها

بذم ويأبى الله ماحقها العكس^(٢)

والشاعر عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك وقد دعي للاجتماع مع

اصدقائه عند عين " أم سبعة " وما أكثر العيون في الأُحساء يصف

ذلك اليوم :

ألا ربّ يوم كان من فرص الدهر

نهيناه منه خلصة وهو لا يدري

ونحن من الغيم الندي بخيمّة

ومن كُتب الأنقا على سرر حمير

وهبت علينا نسمة يمنيّة

شذى عرفها يشفي السقيم من الضر

روت من حديث بيننا طاب فانبرت

تعثّر في تلك الهضاب من السمر

(١) يقصد بالشيخ ابن مشرف وانما ذمها لما كان يقع فيها في وقته

من المنكر والى ذلك أشار بقوله : (وكم فعلوا فيها من الرقى

والاثم) .

(٢) شعراء هجر ص ٤٠٦

تطوف علينا من جنى البن أكسوس

(١) شفاء الهموم المدلهفات في الصدر

صورة جميلة أتوبها الشاعر خيمة من الغمام وسرير من الرمل . والنسيم عليل ،
وكؤوس البن تدار ، حق للشاعر أن يعتبره من فرص الدهر .

ويقف الشاعر عبد العزيز بن حمد المبارك أمام أترجة يريد قطفها
لكن من معه من الرفاق يمنعون ذلك الا أن يصدقها أربعة أبيات
مها ، فيرتجل ابن حمد هذه الأبيات :

وأترجة خضراء ماست غصونها

بها ثمر قيد النواظر أصفـ

لها الله أغصانا كأن ثمارها

قناديل لاحت في دجى الليل تزهـ

تذكرت لما أبصرتها نواظـ

وهل ينفع الصب الكتيب التذكـ

عروساتها دى بيننا في حليها

عليها رداء مذهب الوشي أخضـ (٢)

وقد وصف ثمار الأترج في أغصانها بقناديل مضيئة في حالك غير أن
العاشق الصب أبى الا أن يفردا بوصف فكانت عروسا مزدانة
أما القهوة فقد حظيت بالكثير من شعر الأُحسائيين حتى أننا لنرى
بعضهم يبدأون قصائدهم بذكرها .

(١) شعراء هجر ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٠ .

وممن وصفوها في شعرهم الشيخ عبدالله آل عبد القادر بقوله :

أدراها على قبيل الصباح

يمانية واسقنيها صباح

سلاف من البن تذكى البليد

وتنطقه نطق قس الفصاح

مشعشة مثل نار الهوى

(١) قد اهتبت من خدود الملاح

ويقول ابن عبد العزيز بن حمد فيها :

قم فاسقني البن صرفاً وأملاً القدحا

فان زند الهنا والسعد قد قدحا

وعاطنيها سلافا سلسلا عطرا

كخرد خود بمسكي الندى رشحا

لوذاقها ما در سحت أناطه

(٢) أو شم عرف شذاها باقل فصحا

ووصفوا الشاى أيضا ، يقول الشيخ عبدالله بن على آل عبد القادر :

فقرب صافي الشاهي كوء وسـ

من البللور مترعة غرامـ

اذا نالت شفاه القوم منهاـ

اقامتهم من الحسننى مقامـ

(١) شعراء هجر ص ٢٧٣ .

(٢) تحفة المستفيد/ كس ١٣٣ (مادر مضرب للمثل في البخل ، وباقل مضرب المثل في الصي والحصر) .

(١) يصافح كل حوزان ورند

(٢) ويتتاب المحرق والمناسا
فنعم شراب أنس حين نلهمو

(٣) على الأخرى اليمانية السلا ما

ويبدو أن الشاعر لم ينس القهوة حتى وهو يصف الشاي فذكرها، ونقف
أمام الشاعر عبد العزيز بن حمد في وصفه الشاي :

وللا بريق بينهم بريق

للليل الهجر والأكدار جالبي
إذا استسقىه أكوا سقاها

مجاج النحل أو شهد الوصال

(٤) حكى الجادي لونا أو مذابا

من الياقوت أو قدم الفسزال
يرى/الجام نارا وهونور

يكأس القلب يهدي للفصال
إذا حيا به السامي شككا

(٥) أبا الكاسات جا أم بالفوالسي

(١) الحوزان : نبات طيب الطعم زهره احمر في أصله صفرة (لسان العرب
مادة (ح و ن)) والرند : الآس وقيل هو العود الذي يتخربه
(المرجع السابق مادة ر ن د)

(٢) المحرق : جزيرة في البحرين ، والمنامة : عاصمة البحرين .

(٣) شعراء هجر ص ٢٧٦ .

(٤) الجادي : الزعفران (لسان العرب مادة ج و د) .

(٥) شعراء هجر ص ٤٠٩ ، والفوالي : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر
وعود ودهن (اللسان مادة غ ل) .

ونقف أمام وصفهم للساعة ، يقول عبدالله آل عبد القادر :

وساكنة في بيوت الزجاج

ممنعة بمنيع الحجاب

وما سمعت قط من عالَم

ولا نظرت في ضروب الحساب

تسير ولكن على اثرها

كما سار في التيه أهل الكتاب

وبين يديها مثال العصا

إذا قرعت لحليم أناب

ولم ترعيني سواها فصيحاً

يدير لسانين عند الخطاب

عجت لها مع ما قد وصف

ت إذا اشتبه الوقت يوم السحاب

إلى علمها رجعوا في الهدى

ومن عندها رغبوا في الصواب

سلام على منزل هازها

لقد جانب الشك والارتياب (١)

لكن ساعة الشاعر عبد العزيز بن حمد حدث بها خلل استدعى إرسالها

إلى مصلح الساعات في البحرين فأرسل معها هذه الأبيات :

هاك رعاك الله محبوباً لها فويق القلب مني مقام

شمسية الشكل لذاك انبرت تتلو لها في سرها المستدام

وفي صلاتي وصيامي غدت عوناً وفي اليقظة بل والمنام
وقد عراها مرض حاد حتى لقد خفت عليها الحمام
فجس بالرفق أخي نبضها واكشف على أعضائها بالتمام
واعمل لما يصلحها دائماً واستأصل الداء فأنت همام (١)

ويصف الشاعر عبد العزيز بن حمد الأحساء في مدحته لوالده وأسرته
وعلماء الأحساء ، ومن خلال وصفه نرى الأحساء بلد العلم والعلماء
والماء والخضرة :

فتريتها مسك وسلسل مائها
نمير ومعتل النسيم بها يهـرى
وأيسر ما فيها جنان تنظمت
من النخل والاشجار والنبت والزهر
فمن باسقات راسيات ضوامن
لنا الخصب ان غن السحاب بما القـر
وخوخ وتفاخ وكرم منضـد
وتين وورمان يشف من القشـر
وبين ترنج كلقناديل ناـضر (٢)
كما أنه يحكى النوافج في النـشـر
ووزد وريحان وجني جنـاؤه
الى غير ذـا ما يجـل عن الحصـر
يعلل مسقوم الهوى نفسه بهـا
لما اشبهته من حلـى ربة الخـدر (٣)

(١) شعراء هجر ص ٤١٠ .

(٢) النوافج : جمع نافجة وهي وعاء المسك اللسان مادة (ن ف ج)

(٣) شعراء هجر ص ٣٢٧ - ٣٢٨

وهو وصف شامل للأحساء بتربتها ومائها وبساتينها بثمارها وورودها
ورياحينها ، ثم يتم وصفه فيقول :

وقد خللتها للميون جداول

يجعدها من النسيم الذي يسرى

توهمها النظار بيضا صوارصا

تعاهد قدما صقلها القين ذو الخبر

تمانقت الأغصان في جنباتها

معانقة العشاق خصرًا إلى خصر

على ضفتيها الكرم مرج سجافه

فما هي عن شمس الظهيرة في ستر

كأن خيالات الغصون بسطحها

(٢) فرند جرى فوق السريحية البشر

ونلاحظ أن الشاعر يطك قاموسا لغويا متميزا حافلا بالألفاظ الغريبة ،
كما قد يحلو لبعض الشعراء أن يوشوا قصائد هم ببعضها .

لعلنا نلاحظ تعاقب الشعراء على موصوفات واحدة ، فمين نجم مثلا

تكرر وصفها والقهوة والشاي والساعة كذلك عند الشاعرين عبدالله آل

عبد القادر وعبد العزيز بن حمد آل مبارك ، وننتسأل لماذا وقف كلا

الشاعرين أمام هذه الموصوفات ، ههنا

خللت الطبيعة من سواها ؟ ! لا بلا شك .

(١) الفرند : وشى السيف وهو دخيل وفرند السيف وشيه (لسان
العرب مادة (فرند) .

(٢) شعراء هجر ص ٣٢٨ .

لكن ذلك يوقفنا على حقيقة هامة وهي حب هؤلاء الشعراء للتقليد
والسير على خطا سابقهم من شعراء العصر العثماني ، الأمر الذي قلد
بهم عن التجديد وتلمس الجمال في مراثيات جديدة ، مع ما حبا الله
به بيتهم الأُحساء من جمال الطبيعة ،

كذلك رأينا الشعراء فني هذا الفن يعتمد أحدهم الى وصف
الساعة مادحا لها ، ثم يعتمد في أخرى الى وصفها ذاما لها وهو
ما فعله الشاعر عبد الله آل عبد القادر (١) ، ولانجد لذلك تعليلا
الا أن الشاعر يحلوه أحيانا أن يختبر مهارته في الوصف فيمدح مرة
ويذمها أخرى ،

وهذا الشاعر محمد آل عبد القادر يصف وردة بأبيات منها :

رعى الله أيام الربيع فانها بابرار حسن الورد تم جميلها (٢)

فيأخذها الشاعر عبد الله آل عمير ويخمسها ، ومنها قوله :

سقى الله روضات الربيع وحسنها

بماطرة تهمني اذا الليل جنبها

بنفسي ظبيات بها قد ألفتها

رعى الله أيام الربيع فانها

بابراز حسن الورد تم جميلها (٣)

(١) شعراء هجر ص ٢٦٧ - ٢٦٨

(٢) المرجع السابق ص ٥٥٧

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٨

فن الفزل

ويكثر الفزل في الشعر الأحماسي ويأتي في قصائد مستقلة أو في
مطالع القصائد +

ومن القصائد الفزلية قصيدة الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم
المبارك (١) :

لقد طال ليلي والأنا مرقود	وظلت عيوني بالدموع تجود
وما ذاك إلا من رشا متجنب	حوى الحسن طرا فهو فيه فريد
رشا يفضح البدر المنير أبادا	ويزرى قضيب البان حين يمسد
مليح يرى بين الملاح كأنه	لهن مليك والملاح جنود (٢)

وفي قصيدة غزلية أخرى يقول يرجو الوصال :

تذكرت أحابسي وطيب زمانسي
وأنس مضى صاف من الحدثان
فزاد غرامسي واستطال توجمسي
وأصبح طرفي دائم الهملان
فياليت ماضسي الأنس عاد كما مضى
ويا ليتني والحب مجتممان

(١) ولد في الأحماس عام ١٢٨٨ هـ وتنوع إنتاجه بين المراسلات وهو أشهر
ثم الفزل ثم الرثاء وله فيه قصيدة واحدة ، وقد توفي سنة
١٣٤٢ هـ (شعراء هجر ص ٨٩ - ٩١) .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٩ .

له مسم يحكى المدامة ريقه
وقد كخوط البان ذو مـ
رشا قد رمانى أسهما من لحاظه
ولو كان سهما واحدا لكفانى
أحدث نفسي منه بالقرب والمنى
(١) وما منهما شيء سوى الهذيان
وانا نظرنا الى هذين النموذجين من شعر الغزل فانهما من الغزل
الحسي التقليدى ، وأوصافه لا جديد فيها فالمحبة هي رشاء
وهي بدر ، لحاظها سهام وقدّها غصن بان .
ويقول واصفا اللقا :

تفديه نفسي ان أتاني زائرا
وهنا وقد أمسى الحواسد هجما
بتنا كلاً لا يسين من الحيا
ومن التعف والصيانة أدرعا
ما حدثتني شيمتي شيئا سوى
(٢) طيب التحدث غيره لن أطمع
ونلاحظ في البيتين الأخيرين ألفاظا تدل على تحفظ الشاعر وهي
الحيا ، والتعف ، والشيمة ، فالشاعر بالرغم من اباحته لنفسه أمورا
وتساهله معها فانه لم يتخل عن حياؤه وعفافه .

(١) شعراء هجر ص ١٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٠ .

ولعل هذا البيت يذكرني ببیت غزلي للشاعر الحجازي أحمد بن ابراهيم
الغزوي :

فاغضض الطرف ان عقلت وخالس

نظرة الحبيب واستدم آثامك (١)

وهذا الشاعر عبد العزيز بن حمد بن عبد اللطيف يتفضل :

سلوها لم تمنعنا الوصالا	وفيم تثيبنا منها العنالا
ألم تعلم بأن الهجر قتل	فكيف رأيت لها قتلي حلالا
أتيها والجمال بذاك يقضي	لها أم أعرضت عنا دلالا
لتصنع ما تشاء فذاك حلو	لنا ما لم تكن هجرت ملالا
غزال لم نجد منه التفاتا	وباللفتات قد وصفوا الغزالا
وغصن لم يطله هوى الينا	ورب هوى لفصن قد أمالا
وبدر لم نجد منه طلوعا	لنا والشأن روء يتنا الهلا (٢)

ومن جاء غزله في قصائد مستقلة الشاعر عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك (٣):

هل في الهوى العذرى لى من عاذر
ان بحت بالشكوى وهل من ناصر
يا للرجال غدا بمقتلي شاد ن
وسبى سويدائي وهل من ثائر

(١) الشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم ابو بكر ص ١٤٨ .

(٢) شعراء هجر ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٣) ولد بالاحساء سنة ١٣١٠ هـ وكان شاعرا ذكيا مطبوعا تشهد بذلك أشعاره
الرائعة ، وتوفي سنة ١٣٤٣ هـ (تحفة المستفيد ج ٢ ص ١٣٣ - ١٣٨)

عجبا لنا نفشى السيوف فواتكـا

ونراع من جفن كحيل فاتـر

وأشد ما يلقي المحب اذا دنت

دار الحبيب ولم يكن بالزائـر (١)

ومن الشعراء الذين افتحوا قصائدهم بالديباجة الفزلية جريا على عادة
القدامى الشاعر حسين بن غنام فقد مدح الشيخ عبدالله الكردي البيتوشى
وبدأها بالغزل:

حكى أدمي يوم الوداع الفمائم

وشابه نوحى في الرباع الحمائم

رحل من الأحساء فشب لظى الجوى

نقى داخل الأحساء منها مياهم

تجود بهم هوج النواحي لدى السرى

مهامه نهج السير منهن طاسم

ولكن مع الأظمان هاد سـناوم

عن البدر للسارين في البید قائم

على أنه بدر له الخدر هالـمة

ونور له زاهي الحدوج كائـم

أرادت تحاكيه الفزالة ان بـدت

ولكن أبت عما تروم المعاصـم

وفرع يضل الخلق داجي ظلا مـه

وفرق اليه بالهداية حاكـم (٢)

(١) شعراء هجر ص ١٢١.

(٢) الموسوعة الأدبية ج ٢ ص ١٠٥، ١٠٦.

والشاعر عبدالله آل عبد القادر (١) يعتذر بقصيدة للشيخ حمد بن
عبد اللطيف المبارك ويبدأوها بمقدمة غزلية :

فيا زائراً أنعمت بالي بقربه
قليلاً فلما سار ودعت مهجتي
لك الخير عاودني ويا عيني اهجمي
ولا تسأمني يا عين من طول هجمتي
فيالك من صيد بأشراك محرم
أذود الهوى عنه بكل تعلقه
سقايني بكأس العاشقين وعلّني
من البارد البسام صافي الأشعة
يمج نكي المسك منه مقلج

كنور الأتاهي أودار نضيدة (٢)

وله أيضاً يمدح الشيخ عبدالله بن أبي بكر الملا ويعزبه في بعض
أقاربه :

ألا زمن يبلغني مرادى	ويسعدني بيوم من سعاد
خليلي لا بصرتك في ثيابي	أسيراً ماله في الناس فساد
ألا يا ظبية بالباب ترعى	أما قد آن أن ترعى فوادي
رمتني من لواظها بنصل	تصول به على الأسد السوراد (٣)

(٢) ولد في المبرز من الأحساء عام ١٢٧٠ هـ تولى القضاء في المبرز بعد
والده ، وأخذ عنه العلم جماعة كثيرون من أهل الأحساء وغيرهم وتوفي
سنة ١٣٤٣ هـ (تحفة المستفيد ج ٢ ص ١١٢) .

(٢) شعراء هجر ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢١ .

والملاحظ على الشعراء الأحمسيين أنهم يبدأون بالفزل أى غرض
فهم قد يبدأون التعازى بالفزل كما هو الحال عند الشيخ عبد الله
آل عبد القادر في مدحه وتمزيته للشيخ عبد الله بن أبي بكر الملا في
بعض أقاويله (١) ، وكذلك الشيخ عبد العزيز الحلبي يبدأ منظومته
لعتن عزيزة الزنجاني في الصرف والتي سماها "مباسم الفواني في
تقريب عزيزة الزنجاني" والتسمية أيضا فيها من طرافة الفزل ، يقول :

وافعل كاحمر احمرارا خدها
من خجل حتى تبدى عقدها (٢)
وابن مشرف أيضا يبدأ بعض أهاجيه بالفزل وهو أمر وجد فـي
الشعر العربي .

وتزدان المراسلات بقلائد من الفزل من مثل قول الشيخ عبد اللطيف
ابن ابراهيم المبارك في قصيدة أرسلها للحلبي :

سرى طيف من أهوى فيا طيب مسراه
وزج على بعد المزار مطاياها
فأكرم به من زائر زار موهنا
فحياء فؤاد المستهام وأحياها
فيالك من طيف سرى بعد هجمة
يذكرني عصر الصفا لاعد منى (٣)

(١) شعراء هجر من ص ٢٢١ الى ص ٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٠ .

(٣) الفرجع السابق ص ١٠٢ .

وبعث أيضا قصيدة الى الشيخ العلجي يقول :

أفدى بنفسي شادنا قد زارني

ليلا وقد نامت عيون الحسـد

وافى فالفانسي أراقب وقـد

أرعى السوارى ساهرا لم أرقـد

بدريغار النيران لحسـد

كلا وحاشا مثله لم يوجـد

بدريضا هي الورد ناعم غـد

لونا ويزرى حسنه بالخـد (١)

ولعلنا لاحظنا من خلال عرضنا لبعض الفزل في الشعر الأحماسي أنه
من قبيل الفزل الحسي في أوصافه وصوره قديمة مألوفة .

(١) شعراء هجر ص ١٠٤ .

الباب الثاني

حياته وآثاره

- * نسبه وقبيلته .
- * مولده ونشأته .
- * ثقافته ، شيوخه وتلاميذه .
- * مكانته في قومه .
- * وفاته .
- * آثاره العلمية والأدبية .
- أ - مختصر صحيح مسلم
- ب - شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني .
- ج - نظم كتاب عبادات ، ومنظومة في مسألة الطلاق .
- د - الديوان وطبعاته .

نسبه وقبيلته

هو الشاعر العالم الفقيه أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي
التميمي السلفي المالكي الأحسائي .

قبيلة تميم :

وهي قبيلة تغني شهرتها عن الحديث عنها ، ولسعة فروع هذه القبيلة
وكثرتها كثر المنتسبون اليها حتى قيل في المثل :
(من ضيع أصله قال أنا تميمي)

وتحتل هذه القبيلة أوسع رقعة في جزيرة العرب منذ ظهور الاسلام
وقد بدأها التحضر في عصر مبكر بالنسبة للقبائل الاخرى (١) . وقد أشار
ابن مشرف لانتمائه لهذه القبيلة بقوله :

فما بالها تصبو الى كل يافع

وتهجر شيخا والداه تميم ؟ (٢)

ومن فروع هذه القبيلة " الوهبة " بضم الواو وفتح الهاء (٣) .
ومنهم آل مشرف :

ومشرف هو ابن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي
بن وهيب ، الذي تنتهي اليه الوهبة .

(١) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد لحمد الجاسر ص ٧١، ٧٣ .

(٢) الديوان ص ٩٤ .

(٣) جمهرة الأنساب ص ٩٤٧ .

ومنهم آل الامام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن أحمد بن مشرف .

ومنهم أسرة شاعرنا ابن مشرف (١) ويشير الى هذه القرابة في قصيدته لعبد اللطيف آل الشيخ :

أوينكرون أخوة قد أكدت
بقرابة ومناقب لا تحسب (٢)
ومنهم آل رشيد وآل مهنا أيضا (٣) .
مولده (٤) ونشأته :

ولد في الأحساء ودرس على علمائها ، ودرس المذهب المالكي حتى شدا فيه وفي علوم عصره الدينية والعربية وخاصة الفقه والحديث (٥) .
وسافر الى نجد طلبا للعلم واتصل بعلمائها الأعلام ، كما كانت له رحلات أخر غير ان اقامته كانت في الأحساء ، وقد تولى قضاءها في آخر عهد الامام فيصل بن تركي وأول أيام ابنه عبد الله (٦) .

ثقافته :

كانت ثقافة الشاعر كغيره من شعراء العصر ، لغوية أدبية دينية تستمد مقوماتها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة من مثل قوله في جوهرة التوحيد :

-
- (١) جمهرة الانساب ص ٨٢٠ .
 - (٢) عقد الدرر ص ٨١ .
 - (٣) جمهرة الانساب ص ٨٢٠ .
 - (٤) لا نعلم عن سنة مولده شيئا .
 - (٥) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٦٣ .
 - (٦) المرجع السابق ص ١٦٣ .

اليه تصرّج الملائك العـلا
والروح والأُمر ومنه أنزلا
والمصطفى به اليه أسـرى
فجاوز السبع الطباقي فـاد ر (١)
و هذا المعنيان مقتبسـان من قوله تعالى :
(تصرّج الملائك والروح اليه) (٢)
وقوله : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الأقصى) (٣) .
ثم تحدث عن معجزة القرآن :
وقد تحدى الله سائر البشر
والجن من ذاك بأقصر السور
فأحجموا عن ذلك الميـدان
ولم يكن لهم به يـمدان (٤)
وهو أيضا مقتبس من قوله تعالى :
(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٥)

-
- (١) الديوان ص ١٢ .
(٢) سورة المعارج آية ٤ .
(٣) سورة الاسراء آية ١ .
(٤) الديوان ص ١٣ .
(٥) سورة الاسراء آية ٨٨ .

ومن اقتباساته من السنة النبوية الخرا* قوله :

وأفضل القرون قرن المصطفى

(١) فمن قفاهم ثم من لهم قفنا

وهو مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم :

(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . . .) (٢)

وقوله مشيراً لأحداث تاريخية هامة في عهد النبوة :

ولما قضى سعد الرضى في قريظة

بأن يسترقوا والرجال تقتل

وأمر رسول الله في القوم حكمه

لقد قال ما معناه ان يتأمل

ألا ان سعدا قد قضى فيهم بما (٣)

قضى الله من فوق السماوات فافعلوا

يشير بذلك لتحكيم سعد بن معاذ رضي الله عنه بين المسلمين وبين يهود

بني قريظة وأشارته بأن تقتل مقاتلة وتقسّم الأموال وتسبى الذرية

والنساء . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الحكم قال لسعد :

(لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة) (٤)

ويشير أيضاً الى تزويج الله زينب بنت جحش لرسوله صلى الله عليه وسلم :

وزينب زوج المصطفى افتخرت على

بقية أزواج النبي بلا غلو

(١) الديوان ص ١٤ .

(٢) صحيح البخاري ج ١ (باب فضائل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ص ٢-٣)

(٣) الديوان ص ٢٥ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام . ج ١ ص ١٤٦ .

فقال تعالى الله عقدى بنفسه

فزوجني من فوق سبع من العلو

وان سفيرى روحه . وكفى بها

لزينب فخرا شامخا فهو أطول (١)

يشير الى قول الله تعالى بشأن هذا الامر :

(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين

حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر

الله مفعولا) (٢) .

وتفيض أشعاره بالكثير من التأثر القرآني والهدى النبوي والتاريخ الاسلامي
في عهد النبوة .

وان للشاعر ثقافة عميقة في تاريخ الخلافة الاسلامية فهو القائل عن
علم التاريخ :

وبعد فالعلم بالتاريخ أنفع ما

له اللبيب اعتنى أو همه صرفا (٣)

ويتضح ذلك في إشارته لأحداث هامة في عصر الخلفاء وما بعده فهو
القائل عن خلافة الصديق ثم ابن الخطاب :

سل الحسام على من زاغ حين أبوا

عن الزكاة وللخرق العظيم رفا

حتى استقام به دين الهدى وسما

ورد من كان مرتدا ومنحرفا (٤)

(١) الديوان ص ٢٤-٢٥ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٣) الديوان ص ٧٧ (٤) المرجع السابق ص ٧٨ .

وفي عمر رضي الله عنه يقول :

بعدله ضرب الأُمّثال ساكنها

ورأيه وافق التنزيل ان وصفا

وهو الذي سلب الأُمّلاك ملكهم

أبان كسرى وأجل قيصر ونفى (١)

يشير الى أمر عمر رضي الله عنه نساء النبي بالحجاب وموافقة القرآن له بقوله تعالى :

(واذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) (٢)

والقضاء على ملكي كسرى وقيصر .

ويتابع حديثه عن العصور الاسلامية فيقف أمام نهاية العصر العباسي وأقول شمس على أيدي التتار ويتحدث عن تلك الفاجعة التي حلت بالمسلمين سنة ست وخمسين وستمائة بقوله :

فأقبلوا نحو بغداد بزحفهم

فلم يروا دونها الجند الذي كشف

فحكوا السيف فيها أربعين فلم

يبقوا عليما وأفنوا سائر الخلفاء

وقتلوا وعثوا بالسبي وانتهبوا

كل النفائس ، يا لهفا ويا أسفا

وأودعوا الكتب والقرآن دجلتها

حتى جرى ماؤها بالجبرحين طفا (٣)

(١) الديوان ص ٧٨ .

(٢) سورة الاحزاب آية ٥٣ .

(٣) الديوان ص ٨٠ .

أيضا ويشير إلى بعض حلما وكرماء العرب وشجعانهم بقوله في إحدى مدائحه
للامام فيصل :

أخي مكارم عن معن بن زائدة

تروى وعن فارس الهيجا أبي دلف (١)

وعن برامكة كانت أكرمهم

تجنسي على سائر الأموال بالتلف (٢)

وللشاعر أيضا ثقافة أدبية وشعرية فهو يشير في شعره إلى أعلام من
الشعراء والأدباء من مثل قوله في الغزل :

فلوبرزت يوما لغيلان (٣) لم يهيم

بمي ولم يبد القريض لمنشد (٤)

وقوله :

تذكرنا قسا فصاحة لفظه

وتخبر عن سحبان فوق المنابر (٥)

(١) الديوان ص ٨٣

(٢) هو القاسم بن عيسى بن ادريس أحد بني عجل ومحل في الشجاعة وعلو
المحل عند الخلفاء وعظم الفناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة
الشعر محل ليس لكبير أحد من نظرائه . الأغاني لا بي فرج
الأصبهاني ج ٧ ص ١٥٣

(٣) هو غيلان بن عقبة العدوي ويلقب بذي الرمة و (بي) محبوبته وقد
ذكرها في قوله :

ديارمية أذمي تساعفنا * ولا يرى مثلها عجم ولا عرب
ديوان ذو الرمة ص ٣

(٤) الديوان ص ٦١

(٥) الديوان ص ٧٤

ويدل على سعة اطلاعه أيضا تضمينه لكثير من أشعارهم كقوله :

ولولمحت بالطرف طرفة ما بكسى

لخولة أطلالا ببرقة شهيد (١)

والعجز صدر لبیت طرفة بن العبد ، يقول :

لخولة أطلال ببرقة شهيد (٢)

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد (٣)

وقول ابن مشرف أيضا :

وخريدة زفت اليك بدلها

تشفي الضجيع ببارد بسام (٤)

والعجز مأخوذ من بيت حسان بن ثابت :

تلت فواءك في الضام خريدة

تسقي الضجيع ببارد بسام (٥)

وقوله :

تعود بسط الكف طبعا ، وانما

لكل امرئ من دهره ما تعودا (٦)

والعجز مأخوذ من بيت المتنبي :

لكل امرئ من دهره ما تعودا

(٧)

وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(١) الديوان ص ٦١

(٢) برقة شهيد : موضع معروف في بلاد العرب (لسان العرب مادة شهيد) .

(٣) ديوان طرفة ص ١٩ .

(٤) الديوان ص ٩٩ .

(٥) شرح ديوان حسان بن ثابت الأندلسي لعبد الرحمن البرقوقي ص ٤١٨ .

(٦) الديوان ص ٥٥ .

(٧) ديوان المتنبي بشرح العكبري ج ١ ص ٢٨١ .

شيوخه و تلاميذه :

و من شيوخه الشيخ حسن بن غنام وكانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه وله معرفة في الشعر والنثر (١) .

ولد في (المبرز) من بلدان الأحساء ونشأ بها وقرأ على علمائها وقد انتقل الى الدرعية في نجد وزاول فيها التدريس ، ولقي من الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب كل اكرام . وتلقى كثير من علماء الدعوة من أهل الدرعية علم النحو على يديه ومن فضلائهم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد العزيز بن ناصر بن عثمان بن معمر .

من أهم مؤلفات ابن غنام :

كتاب (العقد الثمين في أصول الدين) وكتاب (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات الاسلام) (٢) .
ويعد ابن غنام أيضا اللسان المدافع عن الدعوة قرابة ربع قرن ولكنه لم يجمع شعره في ديوان ، ولذلك ضاع كل ماله من شعر ولم يبق الا ما يتصل بالدعوة الاصلاحية مما أثبتته في تاريخه للنقائص ، والتهنئة بالنصر والثناء ، وحصيلة ما وجد له في تاريخه وغيره تسع قصائد ست في تاريخه وثلاث من مصادر أخرى (٣) .

(١) عنوان المجدد ١ ص ١٩٩ .

(٢) حاشية المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٠ .

(٣) الشعر في الجزيرة العربية ٦ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

من تلامذته :

الشيخ عيسى بن عبدالله بن عكاس ، وينتهي نسبه الى قبيلة سبيع
المعروفة بنجد ، وكان أجداده يسكنون في عنيزة بنجد ثم رحلوا الى الأحساء
عام (٩٥٦ هـ) .

وكان مولده بالأحساء عام (١٢٦٨ هـ) وبها نشأ .

حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ثم تلقى علومه الدينية على شيوخ
عصره بالأحساء وقد تلقى الفقه المالكي على الشيخ أحمد بن مشرف ، والفقه
الحنبلي وعقائد السلف الصالح على الشيخ عبدالرحمن الوهيبي .

مكانته العلمية :

بعد أن نهل من معين المعرفة جلس لطلاب العلم
في الأحساء يقرأون عليه في الموطأ وفقه الامام مالك وفي النحو والحديث
والتفسير وعلم العقائد وكان نادرة في الحفظ والاستحضار (١) .

وقد زاعت شهرته العلمية فوفد اليه الطلبة من كل صوب ، وقد
طلبه الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر ليقم عنده في الدوحة لنشر العلم
والدعوة والارشاد هناك وامامة جامعه والخطابة فيه ، فسافر الى قطر
وأقام فيها عاما نفع طلاب العلم بعلمه ثم عاد الى الأحساء (٢) .

وقد نظم (باب الحيف) وكان قد سقط من منظومة شيخه ابن مشرف
(لكتاب العبادات) (٣) .

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ ص ١٩١ .

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان ص ١٣٤ .

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٩٣ .

توليه القضاء : ولما استولى الملك عبد العزيز على الأحساء سنة

١٣٣١ هـ عينه قاضيا لها في سنة ١٣٣٣ هـ واستمر في القضاء مدة حياته
وكان رحمه الله يأبى أن يأخذ على القضاء أجرا زهيدة وتورعا (١).

وفاته : وقد كانت سنة ١٣٣٨ هـ (٢).

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٩٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤.

مكانته في قومه

كانت لابن مشرف صلة بكبار عصره ووجهة عند آل سهود يكبرون فيه
الرجل العالم والشاعر الجريء ، فقد كان مع الوفد المرسل الى الامام
فيصل لا بقاء الا مير محمد بن أحمد السديري أميراً على الأحساء وكان
الامام قد جعله أميراً في بريدة فأجابهم لمطلبهم (١) ، فمدحه الشاعر
ابن مشرف بقصيدة مطلعها :

لقد لاح سعد النيرات الطوالع

وغابت نحوس من جميع المطالع (٢)

والشاعر في إحدى قصائده يشير الى صلاته بال سهود ، فيقول :

ألم تدر أن المقرنين شيعتي

ولي عهد ود بالامام قديم (٣)

وكانت بينه وبين (عبد اللطيف آل الشيخ) (٤) صحة أكيدة فقد كتب
اليه رسالة يعتب عليه فيها وضمنها هذا البيت المنسوب (لضمرة بن ضمرة
التميمي) وهو قوله في قصيدة :

واذا تكون كريهة أدعى لها

وان يحاسن الحيس يدعى جندب

(١) عقد الدرر لابن عيسى ص ٤٢٠ .

(٢) الديوان ص ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٤ .

(٤) ولد سنة ١٢٢٥ هـ وكان عالماً فاضلاً بارعاً محدثاً فقيهاً أصولياً وقد أخذ
العلم عن والده وعدد كبير من العلماء النجديين مثل الشيخ عبد الله بن
عبد الوهاب ومن المصريين الشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ أحمد الصعدي
وقد أخذ عنه العلم خلائق كثيرة ، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ (عقد
الدرر ص ٧٦ الى ٧٨) .

وبعضهم ينسب القصيدة التي منها هذا البيت (لمعرو بن الفوث بن طي)
فكتب اليه ابن مشرف رسالة ضمنها أبيات نظمها منها :

الود أصدق والتوهم أكذب
فعلام تلحقنا الملام وتعتب
أتظن أنا قد جنوناكم فلا
أدرى أظنك أم عتابك أعجب
الدين يأبى والعروة والاخا
ما قد ظننت فبرق ظنك خللها
أتظن في أهل الحفيظة والنهي
هجر الصديق بغير ذنب يوجب
أو كهرهم بيض الأيادي بعدما
(١)
وجب الجزاء لها بما تستوجب
ولم نعتو على هذه الأبيات في الديوان .

وفاته :

وقد لبس ابن مشرف نداه ربه سنة ١٢٨٥ هـ لكن ما خلفه من آثار
علمية وأدبية هي عمره الثاني وستظل ذكراه باقية خالدة (٢) .

(١) عقد الدرر ص ٧٩ الى ٨١ .

(٢) تحفة المستفيد ج ٢ ص ١١١ .

آثاره العلمية والأدبية

أ - (عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في رسالته في الفقه المالكي
وقد ضم ابن مشرف في هذا الديوان الذي نعكف على دراسته
منظومة لعقيدة ابن أبي زيد القيرواني (١) في رسالته في فقه
المالكية ليسهل على طالبها حفظها .

وقد بدأها بحمد الله والصلاة على المصطفى والاشادة بفضل العلم
لا سيما علم أصول الدين الذي به سعادة العبد في الدنيا
ونجاته في الآخرة :

الحمد لله حمدا ليس منحصرا
على أياديه ما يخفى وما ظهر
ثم الصلاة وتسليم المهين
هب الصبا فأدر العارض المطر
على الذي شاد بنيان الهدى فسا
وساد كل الورى فخرا وما افتخرا
نبينا أحمد الهادى وعترته
وصحبه كل من أوى ومن نصرا
وبعد فالعلم لم يظفر به أحد
الا سما وبأسباب العلا طفرا

(١) هو أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الرحمن القيرواني ولد سنة ٣١٠ هـ
... شيخ المالكية بالمغرب كان اماما بارعا في العلوم واسع الشقافة
متبعاً طريق السلف الصالح ... عني بمذهب الامام مالك فخصه
ونشره وملاً البلاد بموءلفاته القيمة توفي سنة ٣٨٦ هـ (مقدمة
رسالة ابن أبي زيد لعبد الله الغنيان) ص ٣-٥ .

لا سيما أصل علم الدين ان به

سمادة العبد والمنجى اذا حشرا (١)

وبعد هذه المقدمة التي تتفق ومضمون المنظومة ، فقد اشتملت على موضوعات هي : (باب ما تعتقده القلوب وتنطق به الألسن من واجب أمور الديانات) وفيه يشير الى الايمان بالله الخالق الفرد وصفاته ، وعن صفة كلام الله تعالى يستقي من ما ورد في القرآن الكريم عن تكليم الله سبحانه لموسى :

وأن موسى كليم الله كلمه

الهه فوق ذاك الطور ان حضرا

فالله أسمعهم من غير واسطة

من وصفه كلمات تحتوى عـــــــبرا

ثم فصل آخر في الايمان بالقدر خيره وشره (٢) .

يقول ابن مشرف فيه :

وبالقضاء وبالأقذار أجمعها

ايماننا واجب شرعا كما نذكرها

فكل شيء قضاء الله في أزل

طرا وفي لوحه المحفوظ قد سطرنا

وفي عذاب القبر وفتنته :

وكل روح رسول الموت يقبضها

بأن مولاه ان تستكمل العمرا

(١) الديوان ص ١٩-٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠-٢١ .

وكل من مات مسئول ومفتتن

من حين يوضع مقبورا ليختبرا (١)

ثم فصل عن البعث بعد الموت والجزاء ومنه :

حتى اذا ما دعا للجمع صارخه

وكل ميت من الائموات قد نشرا

قال الاله : قفوههم للسوء اللكى

يقتص مظلومهم ممن له قهرا

فيوقفون الوفا من سنينهم

والشمس دانية والرشح قد كشرا

وجاء ربك والائملاك قاطبة

لهم صفوف احاطت بالورى زمرا

وأشار في فصل آخر لوجوب الايمان بالحوض وغيره من أمور الدين

متفرقة من مثل الصراط وطاعة أولي الأمر ، وعن أفضل القرون يقول :

وأن أفضل قرن للذين رأوا

نبينا وبهم دين الهدى نصرا

أعنى الصحابة رهبان بليهم

(٢) وفي النهار لدى الهيكا ليوشرى

ثم يختتم مكشومته بالحمد لله والصلاة على رسوله .

(١) الديوان ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢-٢٣ .

- ب - اختصاره صحيح مسلم :
- وهذا يدل على مشاركة ابن مشرف في دراسة الحديث وتضلعه منه وقد انتقلت هذه النسخة الى المكتبة العلمية بالرياض (١) .
- ج - وله نظم لكتاب العبادات (٢) و منظومة في مسألة الطلاق وقد أورد منها صاحب تحفة المستفيد أبياتا (٣) .
- د - الديوان وطبعاته :
- كانت الطبعة الأولى في مطبعة جريدة أم القرى بمكة المكرمة ، ثم الطبعة الثانية ولم يشر ناشر الديوان الى تاريخها ، ثم يقفز ناشر الديوان الى الطبعة الرابعة دون الإشارة الى الثالثة . وقد كانت الرابعة في مؤسسة مكتبة الفلاح وناشر هذه الطبعة الشيخ محمد الطريزي (٤) .

الطبقات في غير الديوان :

يشير صاحب كتاب (الشعر في الجزيرة) الى أن الطبعة الأولى كانت في الهند ولم يذكر تاريخها ، وأن طبعة أم القرى هي الثانية ويشير أيضا الى طبعة سنة (١٣٧٠ هـ) ثم طبعة أخرى بدون تاريخ ثم طبع أخيرا سنة (١٣٨٦ هـ) في مطبعة السنة المحمدية (٥) .

-
- (١) الديوان ص ٨٠ .
(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٩٣ .
(٣) الحاشية ج ٢ ص ١٠٩ .
(٤) الديوان ص ٨٠ .
(٥) عبد الله الحامد ص ١٦٤ .

وفي كتاب شعراء هجر يشير صاحبه الى طبعتين احدهما في مطبعة
أم القرى سنة ١٣٥٥ هـ وأخرى بمطبعة العروبة بالدوحة بدون ذكر
تاريخها (١) .

الطبعة التي اعتمدنا عليها :

هي الطبعة الرابعة بدون تاريخ وتقع في ست وعشرين ومائة صفحة
من الحجم المتوسط صدرها الناشر بترجمة لصاحب الديوان تحدث فيها
عن نشأته وتلقيه العلم على يد شيوخ عصره من أمثال الشيخ حسين بن
غنام ، وتحدث عن مؤلفات الشاعر ، ثم ذكر سنة وفاته وبعض طبعا
الديوان (٢) .

عدد قصائد الديوان وأبياته :

يضم الديوان بين دفتيه خمسين قصيدة منها اثنتان وعشرون في مدح
الامام فيصل بن تركي ، وخمسة عشرة في شرح العقيدة .

أما قصائده الباقية فتتوزعها أغراض الشعر المختلفة من مدح وهجاء
ورثاء ، فضلا عن الاخوانيات والمنظومات التاريخية وشعر الاخلاق والحكمة
والزهد والفزل كما سنرى .

وعدد أبيات قصائده ٣٠٧٣ كما وردت في الديوان ، اذ بلغت
الأرجوزة الأخلاقية وحدها ستمائة وواحد وسبعين

(١) عبد الفتاح الحلوص ٩٩ .

(٢) الديوان ص ٨٧ .

بيتا (١) ، كما بلغت في شرح العقيدة خمسمائة واثنين وخمسين بيتا .

هذا وقد عثرنا للشاعر على قصيدتين ليستا في الديوان احداهما (٢)
في رثاء الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر (٣) ومنها قوله :

أشمس الهدى غابت أم البدر آفل
أم النجم أمسى لونه وهو هائل
نعم أفلت شمس العلوم وبدرها
لدن غيبت حبر الزمان الجنادل
امام الهدى عبد العزيز بن ناصر
عكم نصر الاسلام منه رسائل
رثته علوم الدين أن غاب نجمه
فأنجمها تبكي عليه أوافل
وظلت ربوع العلم تهتف باسمه
وتندبه للمشكلات مسائل

(١) وقد عدّ صاحب الكتاب (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية)
د . بكرى شيخ أمين حاشية ص ٦٠ أبيات الديوان فبلغت ٢٦٢ بيتا
والأرجوزة الاخلاقية ٦٧٥ بيتا . ولا أدري سبب لهذا
الاختلاف .

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ج ١ ص ٢٥٣-٢٥٤ .
(٣) ولد سنة ١٢٠٣ هـ في الدرعية و تلقى العلم على شيوخ عصره مثل الشيخ
أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي والشيخ عبدالله بن محمد بن
عبد الوهاب وقد صنف مصنفات له هامة من أشهرها كتاب (منحة
القريب المجيب في الرد على عباد الصليب) وتوفي سنة ١٢٤٤ هـ
(من كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم من ص ١٧١ الى ١٧٥) .

فمن بعده للمعضلات وحلها
وكانت له فيها تشد الرواحل
ومن للمدا يرمي بشهب علومه
ومن للهدى يحمي وعنه يناضل
فقد كان للاسلام حصنا ومفرعا
إذا نزلت بالمسلمين النوازل (١)
وعدد أبياتها ستة وعشرون بيتا (٢) وقد أورد منها صاحب (روضة
الناظرين) اثني عشر بيتا ، ولم نجد بقية أبياتها فيما اطلعنا عليه
من كتب تتصل بالشاعر .

أما القصيدة الثانية وهي من شعر الاخوانيات ردّ بها على معاتبة
الشيخ عبداللطيف آل الشيخ وعدد أبياتها واحد وعشرون بيتا منها :

أولم تكن في الحلم طودا راسيا
والعلم بحرا طاميا لا ينضب
وأبوك حبر فاضل من علمه
ترجى الهداية والمقال الا صوب
ولمن مضى منكم فضائل جمّة
كدنا بها فوق المنابر نخطب
فاصفح ولا حظنا بعين للرضى
واقبل اذا اعتذر المحب المذنب (٣)
وقد أوردنا أجزاء منها في أكثر من موضع .

-
- (١) روضة الناظرين ج ١ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
(٢) مشاهير علماء الدعوة ص ١٧٥ ولم يورد مؤلفه من القصيدة الا مطلعها .
(٣) عقد الدرر ص ٨٠ ، ٨١ .

الماخذ على الديوان :

تضمن الديوان منظومات أخرى مثل نونية القحطاني (١) ومثلثة قطرب (٢) وجانبا من شعر ابن عثيمين (٣) ، ونصيحة الاخوان لابن الوردي (٤) وقصيدة (بني نجد الى العليا * سيروا) لفصيل بن المبارك (٥) .

وكان يجب الاختصار على شعر ابن مشرف لأن الديوان يحمل اسمه ولا داعي لذكر هذه الأشعار فلزم التنبية .

مقدمة الديوان :

في ترجمة الشاعر يشير ناشر الديوان الى أن مولد ابن مشرف في أوائل القرن الثاني عشر ، وكيف يكون هذا وشاعرنا متوفي سنة ١٢٨٥ هـ ٤٠٠ ! ونسب لابن غنام كتاب (عنوان المجد) وهو لمؤرخ آخر هو عثمان بن بشر أما كتاب ابن غنام فهو (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام) (٦) .

وفي اشارته لمعركة الدرعية عند ذكر قصيدة ابن مشرف في الرد على عثمان بن سند البصري التي أقذع فيها بسب المسلمين فقد ذكر أن ذلك كان في سنة ١٢٢٠ هـ حين نزل ابراهيم باشا الدرعية (٧) ، ونزول ابراهيم باشا الدرعية كان سنة ١٢٣٣ هـ (٨) .

-
- (١) الديوان من ص ١٢١ الى ١٥٠ .
 - (٢) الديوان من ص ١٥١ الى ١٥٤ .
 - (٣) الديوان من ص ١٦٩ الى ١٨٩ .
 - (٤) الديوان من ص ١٥٥ الى ١٥٨ .
 - (٥) الديوان من ص ١٥٩ الى ١٦٠ .
 - (٦) الديوان ص ٧ ، ٨ .
 - (٧) الديوان ص ٥١ .
 - (٨) عنوان المجد ج ١ ص ٢٧٥ .

كتابته للأراجيز تخالف المؤلف فيها فهو يكتب البيتين منه في شطر واحد مثال ذلك قوله :

صداقة الاخوان الخلس المعسوان
لها شروط عدة على الرخاء والشدة

والصواب ان تكتب هكذا كل شطر يمثل بيتا :

صداقة الاخوان	الخلس المعسوان
لها شروط عدة	على الرخاء والشدة

أو هكذا كل شطر بيتين :

صداقة الاخوان
الخلس المعسوان
لها شروط عدة
على الرخاء والشدة

بعض القصائد الموجودة في الديوان غير مثبتة في الفهرس (فمثلة قطرب)
من صفحة ١٥١ الى ١٥٤ وقصيدة (بني نجد الى العليا سيروا)
من صفحة ١٥٩ الى ١٦٠ ولعل السبب في ذلك أنها لفهر الشاعر
فالأولى لقطرب ، والثانية لفصيل بن المبارك أحد شعراء حريميل بنجد .
عدم مراعاة الترتيب الزمني لانشاد الشاعر لقصائد ، أثناء عرضها في الديوان
مع وجود تاريخ كثير منها .

كان من السهل جعل القصائد في أغراضها المختلفة .

أخطاء في شيا القوائد :

تنوعت الأخطاء في قوائد الديوان فمنها :

أخطاء في المعنى كقوله :

ومن دعاك الى غير الحديث فلا

سمعا لداع الى قلو ط مذهبه (١)

ولعلها (مغلوط) وبهذا يستقيم وزن البيت أيضا .

وقوله :

الى العليا يسمون افتخارا

يفعل المجد للعظيم الرميم (٢)

ولعل الصحيح (كفعل المجد للعظم الرميم) وبهذا يستقيم البيت معنى ووزنا .

أخطاء عرضية كقوله :

اذا أفسد الأعراب أى موطن

أغار عليهم بالجوش وأنجد (٣)

والصواب عروضيا (مواطن) .

وقوله :

فكن صديقا ولا تكن مازقا

والصواب :

فكن له صادقا ولا تكن مازقا (٤)

(١) الديوان ص ٤٤٠

(٢) الديوان ص ١٠١

(٣) الديوان ص ٥٢

(٤) الديوان ص ١١٢

وقد أشرنا لبعض منها أثناء عرض القصائد ودراستها .

أخطاء نحوية واملائية :

ان الصديق الصادقا من فرج المضايقا
وأكرم الاخوانا اذا شكا هوانا (١)

والصواب (شكوا) .

وقوله :

وصلى اله العالمين مسلما

على خير هاد للأنام ومهتدي (٢)

والصواب (وصل) لأنها فعل أمر معطوف على (دم) في
البيت السابق .

وقوله :

كم سقوا حزب العدى كأس الردى

وعسوفي الذوق من العلقم صر (٣)

والصواب املأيا (العدا) .

وقوله :

لجت له ساكنوا الأحساء قاطبة

حتى بكى من نائي عنهم بأقطار (٤)

والصواب (نأى) .

(١) الديوان ص ١٠٩ .

(٢) الديوان ص ٦٤ .

(٣) الديوان ص ٥٠ .

(٤) الديوان ص ٦٤ .

وقوله :

حكى أولوالا^١ أخبار ونقلوا الآثار

عن غادة عطبول تلعب بالعقول (١)

والصواب (ناقلو)

أخطاء مطبعية مثل :

ودونكها منظومة عبقرية

تناسر من أصبهان^٢ أبياتها الدر (٢)

وهي (اصداف)

وقوله :

عليك سلام الله ما نمت الصبا

بصرف الخزامي في الرياض الزواهد (٣)

وهي (الزواهر) .

وقوله :

وأدبهم اذا انتهبوا وعاشوا

بحد المرهقات وبالنكـال (٤)

وهي (المرهقات) .

وكل امرئ^٣ يهدى على قدر وسعه

فدونك ما نهدي ، فهل أنت قابله (٥)

وهي (وسعه) .

(١) الديوان ص ١١٦ .

(٢) الديوان ص ٧٣ .

(٣) الديوان ص ٧٤ .

(٤) الديوان ص ٩٠ .

(٥) الديوان ص ٩١ .

همام فاضل فطن ذكـى

اله الملك قد ألقى الزمانـا (١)

والصحيح (اليه) وليست (اله)

فقلنا : في موتكم أتيناـا

ولو ترك القطا لغفا ونامـا (٢)

وهي (مودتكم) .

اياك والتعفينا والعذل العنيفا

وان ترد عتابهم فلا تسي * خطابهم (٣)

وهي (التعنيفا) .

أن أقبل النقص فما للناس مناص

والفكر في الفكاك من ورطة الهلاك (٤)

وهي (القصاص) .

(١) الديوان ص ٩٣ .

(٢) الديوان نفس الصفحة السابقة .

(٣) الديوان ص ١٠٨ .

(٤) الديوان ص ١١٠ .

واثقفوا في الهمة لهذه الطمة

حتى تطيروا بالشك وتأمنوا الدرك (١)

وهي (الشبك) .

وأخرجوه الاتناعنا فلا يرانا

فدم الأديب وساءه التكذيب (٢)

والصحيح (فندم) .

(١) الديوان ص ١١٠ .

(٢) الديوان ص ١١٩ .

الباب الثالث

الروح الإسلامية في شعره وخصائصه الفنية

- * الروح الإسلامية في شعر الدفاع عن الدعوة .
- * في الشعر السياسي والاجتماعي .
- * في شعر المديح والتهنئة .
- * في فن الوصف .
- * في شعر الأخلاق والحكمة .
- * في مرأثيه .
- * في الإخوانيات .
- * في منظوماته التاريخية
- * في الغزل
- * في زهدياته
- * خصائص شعره الفنية .
- * شخصيته الأدبية .

الروح الاسلامية في شعره

جال ابن مشرف في اغراض كثيرة مثل الدفاع عن الدعوة والشعر السياسي والاجتماعي والمديح والثرثاء وغيرها وفي كل هذه الاغراض تجلت روح اسلامية عميقة .

أولا - الروح الاسلامية في شعر الدفاع عن الدعوة :

تجلى دور الشعر في جوانب كثيرة من الدعوة التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي تدعو الى العودة الى الدين الصحيح ومحاربة البدع التي عمت ديار الاسلام . وجاء ابن مشرف عوناً لهذه الدعوة المباركة فجال وصال في الدفاع عنها وكان أول ما بدأ به شرح أفكارها وأهدافها ثم هجاء خصومها .

(أ) - شرح أفكار الدعوة :

واذا استعرضنا ديوان ابن مشرف فأول ما نجده في بدء ديوانه منظومة (جوهرة التوحيد) وهي في اربع مائة واثنين واربعين بيتاً من الرجز ومما تحدث فيها عن أنواع التوحيد ، ولنستمع اليه يقول :

واعلم بأن أضرب التوحيد
قدر ثلاثة بلا مزيد
توحيد رب الناس في الملك وفي
صفاته وفي العبادة اقتشف
فالأول : اعتقاد كون الملك
لله وحده بغير شرك

وأنه رب جميع الخلق

موجد هم مولى جميع الرزق

والثاني : أن يوحد الله على

أسمائه وفي صفاته المـ

وكل ما به تعالى وصفـ

لنفسه على لسان المصطفى

فان وصفه به جلّ لـزم

والحكم في أسمائه كذا التـزم (١)

وشبهه بذلك أيضا قوله في منظومة (اعتقاد السلف الصالح رضي الله عنهم)
و توضيح موقفهم من صفات الله تعالى :

ولكننا والحمد لله لم نزل

على قول أصحاب الرسول نـصـول

نقرباًن الله فوق عبـاده

على عرشه لكنما كيف نجـهـل

وما أثبت الباري تعالى لنفسه

من الوصف أو ابدأ^(٢) من هو مرسل

فنتبته لله جل جلاله

كما جاء لا ننفي ولا نتأول (٣)

(١) الديوان ص ١٠ .

(٢) كذا بالأصل ولعلها (ابدأ)

(٣) الديوان ص ٢٦ .

ونراه أيضا في (الشهب المرمية . . .) يركز في الرد على المعطلة وموقفهم من أسماء الله تعالى وصفاته ويوضح لهم موقف السلف من هذه القضية مع أنه سبق له الحديث عنها في (جوهرة التوحيد) (١) .

يقول ابن مشرف في (الشهب المرمية) ج

نفيتم صفات الله ، فالله أكمل

وسبحانه عما يقوله المعطل

زعمتم بأن الله ليس بمسـتـو

على عرشه والاستواء ليس يجهل

فقد جاء في الاخبار في غير موضع

بلفظ " استوى " لا غير يا ماول

وقد جاء في اثباته عن نبينا

من الخبر المأثور ما ليس يشكل

فصرح ان الله جل جلاله

على عرشه منه الملائك تنزل (٢)

ومن ذلك نستدل على أن تكرار بعض أفكار العقيدة والحديث عنها مرات ومرات دليل على تكرار المواقف التي تستوجب الدفاع عن الدعوة وشرح أفكارها (٣) .

(١) الديوان ص ٩٠

(٢) الديوان ص ٢٤٠

(٣) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٠٥ .

وتحدث ابن مشرف عن وجوب صرف العبادة كلها لله تعالى بل وكسر الحديث أيضا وهذا يرجع الى ما رآه من انحراف عن العقيدة الصحيحة فقال :

والشرك نوعان فـشرك أصغر
وضده وهو الذي لا يففر
فـلا صغر الرياء والتصنع
للخلق والسمعة من يسمعه
والأكبر : المحبط للأعمال
أعازنا الله من الضلال

ثم يتحدث عن ثالث هذه الأنواع فيقول :
وان أردت ثالث الأنقسام
فالشرك في عبادة المـ
وهي عقيدة وقول وعمـل
والشرك محبط لها كيف حصل
فـالاعتقاد الخوف والرجاء مع
رغبته ورهبة كذا الطمع
والتوب والخشية والتوكل
محلها القلب كما لم يشكـل
يلزم صرفها الى رب الـورى
خالصة له بلا شرك يـرى (١)

وأشار أيضا الى هذا المعنى وهو وجوب صرف العبادة للخالق سبحانه :

و حق أن نـشـرـع المـقـسـال

في واجب التوحيد بالأفعال

وذلك التوحيد في العبادة

وهو بمعنى كلمة الشبهة

فهـي لـه في غاية المحبـه

من دعوة ورغبة ورهبة

والذبح والنذور والتوكل

ونحوه من كل تعظيم جلـي (١)

وإذا كان ابن مشرف قد كرر بعض أفكار العقيدة وشرحها في منظومته
" جوهرة التوحيد " و " الشهب العرمية . . . " كما رأينا فيما عرضنا له فإنه
قد تناول في أكثر من موضع في ديوانه الدعوة الى التمسك بمذهب
السلف " أهل السنة والجماعة " وذلك أمر حتي فالرجوع الى العقيدة
الصحيحة هو التمسك بمذهب أهل السنة والجماعة وهو جوهر ما دعا اليه
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجاء ابن مشرف ليؤكد أهمية هذه
العودة الى الدين الصحيح .

يقول :

فايماننا قول وفعل ونية

في زاد بالتقوى وينقصه الاثم

فنوء من أن الله لا رب غيره

له الملك في الدارين والأمر والحكم

فليس له ولد ، ولا والد ولا
شريك ولا يعروه نقص ولا وصم

اله قديم أول لا بدايــــــــــــة

له : آخر يبقى فليس له جسم (١)

وفي موضع آخر نرى بعض هذا المعنى :

وأنا نرى الايمان قولاً ونية

وفعلاً اذا ما وافق الشرع يقبل

وينقص أحياناً بنقصان طاعة

ويزداد ان زادت فينمو ويكمل

عقيدة أهل الحق والسلف الأئمة

عليهم لمن رام التجارة المعسول (٢)

وقال أيضاً :

ألا ان هدى المصطفى خير مقتضى

وكل صلاح للورى في اقتفائه

فبالسنة الضراء تمسك فانها

هي الذخر عند الله يوم لقائه

ومن يتبع رايات سنة أحمد

يكن يوم الحشر تحت لوائه (٣)

(١) الديوان ص ٤٢ .

(٢) الديوان ص ٢٨ .

(٣) الديوان ص ٣٧ .

ولعلنا نرى مما مرّ أن ابن مشرف كان حريصاً على تحديد معالم الدعوة في أذهان كثير من الناس ، وتطهير العقيدة مما كان قد لحق بها من شوائب وشبهات في عصور الضعف التي مرت بها أمة الاسلام . وهذا الحرص (العلمي) لتحديد معالم الدعوة اضطره كثيراً الى استعمال العديد من الاصطلاحات والتعريفات المتعارف عليها بين علماء الفقه والتوحيد ونشرها بشكل واضح في كل ما نظم من قصائد .^(١)

ولقد أدرك ابن مشرف أن نظم مسائل العقيدة شعراً أمر محتوم ليسهل حفظها وروايتها وسلامتها من التحريف والتشويه ، خاصة وأن الأحساء في ذلك الوقت لم تعرف من وسائل الاعلام شيئاً ، والشعر أقرب الى النفوس من حيث التلقي والحفظ والنقل وأصون للفكرة من النثر (٢) .

(١) اتجاهات حديثة في الشعر السعودي لمحمد الشناوى ، مجلة

الفصل العدد (٦) السنة الاولى عام ١٣٩٧ هـ ص ٦٥ .

(٢) الحركة الأدبية ن . بكرى شيخ أمين ص ٦٣ ، ٦٤ .

ب - مناقضة الخصوم وعجائهم :

وقد كان ابن مشرف من المجليين في الرد على خصوم الدعوة فقد انبرى أيضا للرد على عثمان بن منصور لقصيدته التي يمدح بها داود بن جرجيس ويثني عليه ، فقد ردّ عليه بقصيدتين تعرض لهما ، يقول ابن مشرف في قصيدته الأولى :

وقفت على نظم لبعض بني العصر
تضمن أقوالا بقاتلها تـزرى
عيوبا كساها زخرف القول خادعا
فأضحت بحمد الله مكشوفة السـتر
بها شبه للجاهلين مـضلة
أكاذيب لا تخفى على كل ذي حـجر
فما لابن منصور رأى هجو قومه
صوبا فأزرى بالقريب وبالصـهر
وأثنى على قوم طغام بكونهم
بنوا في القرى تلك المساجد للذكر
كان لم تكن تتلى عليه بـراءة
(١) ولم يتل فيها " انما " سائر العصر

الى أن يقول في هجائه :
فياليت شمري هل تجاهل أو غوى
فشتان ما بين الهداية والكـفر

(١) يشير الى قوله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) في سورة التوبة الاية ١٨ .

ولكنه أبدى موافقة المــــدا
ليثني عليه الخصم في ذلك القطر
فهبه كمن أغوى الشياطين في الفلا
فأصبح حيرانا بمهمة قــــر
وأصحابه يدعونه للهدى : اثتنا
ولا راء أدعى للعناد من السكر (١)
وفيهما أيضا يدافع عن الشيخ ابن عبد الوهاب وأبنائه الذين زادوا عن
الدعوة .

يقول ابن مشرف :

(٢)
تصدى لها حبر الزمان ونجله
فردّا وهذا ما بناه من القــــر
وقد بينا للناس ما في كــــلا
من الزيف والافراط والحيف والنكر
جزى الله عنا شيخنا في صنيعته
فكم قد شفى بالرد والسد للثفر
اذا مظل أجرى من الجهل جدولا
أتاه بتيار من العلم كالبحر
فجلى ظلام الجهل والشك والعمى
بنور هدى يجلو الفياهب كالفجر (٣)

(١) الديوان ص ٢٩-٣٠
(٢) الحبر المقصود هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن
عبد الوهاب وابنه هو الشيخ عبد اللطيف رحمهم الله جميعا -
(الديوان ، الحاشية ص ٢٩) .
(٣) الديوان ص ٢٩ .

ثم تحدث في نقيضته عن انحرافهم العقائدي كالبناء على القبور والطواف حولها وسؤال الموتى وتقديم القرىات ونذر النذور ، يقول ابن مشرف :

ولم ينظر الشرك الذي فيهم فشا
فكم قبة شيدوها على قبر
وطافوا عليها خاضعين تقربا
الى ذلك المقبور بالذبح والنذر
وكم سألوا الالهات كشف كروبيهم
ولا سيما في الفلك في لجج البحر
فزادوا على شرك الالهات وائل ان دعوا
سوى الله في حال الرخاء وفي العسر (١)

ثم أنشأ نقيضة أخرى يناقض بها ابن منصور في مدحته لابن جرجس وقد كانت استجابة لطلب الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، ونرى ابن مشرف يضمنها أيضا مديح الشيخ ، يقول :

وقل : جزى الله شيخ المسلمين بما
أبدى ، فجلى ظلام الشرك بالنور
بالعلم بصّر قوما قد عموا فهدوا
وأنقذ الله منهم كل مفرور
أدلة جامع التوحيد أودعها
من كل نص قرآني ومأثور
لا يستطيع لها دفعا مخصصه
ولا يحرفها تأويل ذي زور

ويمدح أبناءه ، يقول :

فقام أبناؤه من بعده فدعوا

الى الهدى ونهوا عن كل محذور (١)

ونرى ابن مشرف أيضا يتحدث فيها عن انحرافهم العقائدى وقد تحدث
في نقيضته الأولى ، يقول :

قد خالفوا السنة الضراء وأبتدعوا

والشرك جاءوا يحظ منه موفور

لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا

بكل ذى جدث في اللحد مقبور

هذا يطوف . وهذا في تقربه

يأتي اليه بمنجور ومنذور

وذا به مستغيث في شداثه

يرجوا الاجابة في تيسير معسور (٢)

ومن القضايا التي تعرض لها ابن مشرف في شعره قصيدة (الاجتهاد
والتقليد) قال ابن مشرف يزرى بالمقلدين (٣) :

(٤)

وكل فقيه في الحقيقة مدع

ويثبت بالوحيين صدق ادعائه

فواحر قلبي من جهول مسود

به يقتدى في جهله وشقائه

(١) الديوان ٣١ .

(٢) الديوان ص ٣١ .

(٣) الشعر في الجزيرة ص ١١١ .

(٤) في الأصل بدون واو وبدونها ينكسر البيت .

إذا قلت : قول المصطفى هو مذعبي

متى صح عندي لم أقل بسوائه

يرى أنها دعوى اجتهاد صريحة

فواعجبا من جهله وشقائه (١)

ولا نعلم عن القصيدة التي نظمها المهاجم والتي رد عليها ابن مشرف (٢)
وهكذا نرى ان ابن مشرف يسير في شعره الدفاعي على نهج ابن عبد الوهاب
فالشيخ كان يسير على أساسين وهما :

(١) - محاربة البدع وما دخل العقيدة من فساد بالاشراك بالله
ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم والطواف حول قبورهم والتبرك بها
والنذر لها ...

(٢) - فتح باب الاجتهاد الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين (٣)
وقد رأينا ابن مشرف يقف طويلا أمام انحرافهم العقائدي ويدعوهم الى
نبذها ثم أذرى المقلدين الذين يرون الاجتهاد خروجا عن الاقتداء
بالسلف .

ومن أساليبه في ذلك ما جاء في صورة مناقضات مفحمة كما في قوله
يعارض عثمان بن سند النجدي البصري (٤) الذي قال قصيدة استهدف

(١) الديوان ص ٣٧-٣٨ .

(٢) الشمر في الجزيرة العربية ص ١١٢ .

(٣) زعماء الإصلاح لاحد امين ص ٢٥ .

(٤) مؤرخ أديب أصله من عرب عنيزة ولد بنجد سنة ١١٨٠ هـ وسكن

البصرة وتوفي ببغداد عام ١٢٤٢ هـ من مؤلفاته (الغرر في وجوه

القرن الثالث عشر) و (مطالع السعود بأخبار الوالي داود)

الأعلام ج ٤ ص ٢٠٦ .

فيها التشفي من الدعوة وأصحابها الذين سقطوا صرعى تحببت ضربات
ابراهيم باشا حين نزل الدرعية ، يقول ابن سند في مطلعها :

لقد فتحت للدين أغنيته الرمدي

لدى لا ح من بين السيوف له السعد (١)

فأجابه ابن مشرف :

(٢) الليل غشى الدنيا أم الأفق مسود

أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو ؟

أم السرج النجدية الزهر أطفئت

فأظلمت الأفاق إذ أظلمت نجد ؟

نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى

وضضع ركن للهدى فهو منهك

لدن بالسحباء خطب فأوحشت

مساكنها وازور عيش بها رغد

تفرق أهلها وسل على الهدى

سيوف على هامات أنصاره تشدو

بأيدي غواة مفسدين لقد عشوا

وجاسوا خلال الدار وانتثر العقد (٣)

(١) ديوان ابن مشرف ص ٥١ .

(٢) هكذا بالديوان والصواب (أيل) ليستقيم الوزن .

(٣) الديوان ص ٥١-٥٢ .

الى أن يقول يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي نال منه
أعداء الدعوة وهجوه :

أيهبوا ما هاديا أرشد السورى
الى منهج التوحيد فاتضح الرشيد
وبصرهم نهج المحبة فاهتدوا
وآبوا الى السلام من بعد أن صدوا
سقى روحه الرحمن وابل رحمة
وعم هتون العفو من ضمه اللحد (١)

ثم يذكر أبناءه الذين ساروا على نهجه واقتفوا أثره ، يقول :
وابناؤه العز الكرام قد اقتفوا
محجته المثلنى ، وفي نصرها جدوا
فكانوا الى التوحيد يدعون دأبهم
فكم قد أفادوا من يروح ومن يفدو (٢)

ثم يذكر حكام البلاد من آل سعود والذين آزروا الشيخ ونصروه وبفضل
الله وتوفيقه تعاونت الأسرتين آل الشيخ وآل سعود على خدمة الدين
وأعلاء كلمة الله ، يقول ابن مشرف :

ومهما ذكرت الحي من آل مقسرن
تهلل وجهه الفخر وابتسم المجد
همو نصروا الاسلام بالبيض والقنا
فهم للمعدا حنق وهم للهدى جند

(١) الديوان ص ٥٢ .
(٢) الديوان نفس الصفحة .

غطارفة ما ان ينال فخارهم
ومعشر صدق فيهم الجد والحد
فكم مسجل قد أسسوه على التقى

وكم مشهد للشرك بنيانه حسدوا (١)

وفي الهجاء نجد ابن مشرف يوجهه أيضا الى خصوم الدعوة الاصلاحية
ويدعوهم فيها الى العودة الى العقيدة الصحيحة ونبذ الاُمور المخالفة
للدين ولما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم .

يقول ابن مشرف ناعيا على من يفعل التذكير من أهل البحرين وغيرهم :
فسل فاعل التذكير عند أذانه

أهذا هدى ، أم أنت بالدين تلعب ؟

وهل سن هذا المصطفى في زمانه

أو الخلفاء أو بعض من كان يضحب ؟

وهل سنه من كان للصحب تابعاً

اذا قام للتأذين يوما يثوب ؟

ثم يدعو الى الرجوع الى الكتاب والسنة ، يقول :

تخير الاُمور السالفات على الهدى

وشر الاُمور المحدثات فجنبوا

وما العلم الا من كتاب وسنة

وغيرهما صريح ومركب

فخذ بهما والعلم فاطلبه منهما

ودع عنك جهالا عن الحق أضربوا

ويهجوهم بقوله :

(١)

خفافيش أغشاها النهار بضوئه

فوافقها من ظلمة الليل غيب

وظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجى

وان لاح ضوء الصبح للعش تهر ب (٢)

ثم نراه يقف منددا بما يفعله بعض الجهلة عند (عين نجم) (٣) من
التبرك بمائها واعتقاد الشفاء فيها ، يقول ابن مشرف :

فيا طالبا منه الشفاء بزعمه

جهلت فما في مثل هذا سوى السقم

ولو كان في الماء الحميم لنا شفا

لخص به أيوب يا عادم الفهم

و من يعتقد فيه الشفا لم يزل على

شفا جرف الاشراك جهلا بلا علم

وان قال من باب التداوى فلم يصب

فما هي كالحمام في الضبط والحكم (٤)

و يشيد بصنع الامام فيصل حين أمر بهدمها وذلك سنة ١٢٧٧ هـ .

بأمر وال طبيب في رعيته

مبارك الأثر محمود الفعاليين

(١) كذا باليد وان والصواب (خفافيشا)

(٢) الديوان ص ٣٢-٣٣ .

(٣) وتقع على مسافة ميل ونصف غربي المبرز بالقرب من جبل (أبو غنيمة)

المعجم الجغرافي لحد الجاسر ج ٣ ص ١٢٣٥ و ص ١٢٣٧ .

(٤) الديوان ص ٣٤ ، ٣٥ .

ان قام يحيى من التوحيد جانبه
وما أصاخ لأهل الزور والميمين
جزاه ربي بنصر الدين نصرته
ونال من رحمة الرحمن كفيين (١)

ولنا أن نضم ما قاله في مخاصمة الحكيم الكوتي الى شعره في الهجاء ،
وقد سار في القصيدة على نهج حوارى ، محبب ، يقول مخاطبا
الشيخ عبداللطيف آل الشيخ في أمر هذا المحتال x

وبعد ذا يا صفوة الاخوان
طرا ويا نادرة الزمان
ما ذا ترى في رجل لثيم
يدعونه الجهال بالحكيم ؟
أراد ان يسلب وقف المسجد
لقلة التقوى وعظم الحسد
فاحتال مع جماعة في ورقصة
مكدوبة مصنوعة مخترقة (٢) .

ثم يصف لنا ذهابهم الى القاضي الذى وضع الحق في نصابه ، استمع اليه
يقول :

فسيأتنا الشيخ الى القاضي الذى
قدمته أكرم به من جهبذ
أحضرنا واستنطق الخصم فما
رأى لديه حجة واستمع جمعا

(١) الديوان ص ٣٥-٣٦ .

(٢) الديوان ص ١٠٤ .

ولم يزل عن أمره يستغيث
حتى بدا الأمر الذي لا ينكسر
صك عليه ختم قاضي البلد
لا يستطيع جحده من أحد
أثبت أن النخل وقف المسجد
فزال الليل الشك والتردد
وقد أيا نأما الحكيم
مزور وأنه أثبت (١)

ثم يطلب من الشيخ عبد اللطيف أن يوضح له العقاب لهذا المزور :

فما ترى في مثل ذا المزور
هل هو بالتأديب والحبس حري
أو أنه يستوجب النكالا
كما نرى في ديننا محتالا
فامن علينا بالجواب الشافي
في ردكم للظالمين كافي (٢)

ثم ختم القصيدة كمادة بالصلاة على رسول الله .

ولا بد أن نشير إلى أن ابن مشرف ارتجل هذه القصيدة كما أشار
إلى ذلك الديوان (٣)

(١) الديوان ص ١٠٤ .
(٢) الديوان نفس الصفحة .
(٣) الديوان ص ١٠٣ .

سمات شعر النقائص والهجاء

لابن مشرف في نقائضه وأهاجيه خصائص منها ما يتصل بالمضمون ومنها ما يتصل بالشكل .

فمن الجانب الأول تلك الروح الإسلامية التي تفيض بها هذه النقائص والأهاجي ، ولا غرابة في هذا ، فهذه القصائد قيلت في سبيل الدفاع عن الدعوة الإصلاحية التي تنشد العودة الى الدين الصحيح ، وليست مثل ما تعودناه من شعر النقائص والهجاء الذي يقال لأغراض بعيدة عن الدين وتستهدف النيل من الطرف الآخر ولو أدى ذلك الى قلب الحقائق .

ان هدف الشاعر لم يكن مثل أولئك بل كان مرامه أن يبين مدى مجانية هؤلاء الخصوم الحق ، ونراه يوءد ذلك في كل نقائضه وأهاجيه ومن ذلك قوله :

ولم ينظر الشرك الذي فيهم فشا

فكم قبة شيدوها على قبر

وطافوا عليها خاضعين تقربا

الى ذلك المقبور بالذبح والنذر

وكم سألوا السموات كشف كربهم

ولا سيما في الفلك في لجج البحر (١)

(١) الديوان ص ٣٠ .

هو يأخذ عليهم طوافهم حول القبور و تشييدهم القباب عليها وسوء الهم
الأموات ، ولذلك هو يرميهم بالجهل والفواية ، بل قد يصل به الأمر
الى تكفيرهم حيث يقول :

فياليت شعري هل تجاهل أو غوى

فشتان ما بين الهداية والكفر (١)

وقوله في قصيدة أخرى :

فاحكم بتكفير شخص لا يكفرهم

فالحق شمس وهذا غير معذور (٢)

أما فيما يتصل بالشكل في النقائض فان الشاعر سار في نقيضته الأولى
لابن منصور كما يستلزم هذا الفن من مسايرة الخصم في قصيدته وزنا
وقافية فقال :

ركيك قواف صاغها فتكسرت

وحاصلها كالمجل مستوجب الكسر (٣)

وهي من بحر الطويل مثل قصيدة ابن منصور ومطلعها :

سرت من ربا نجد تجر ثيابها

معطرة الأردان كالنفل المشرى (٤)

والقافية واحدة في القصيدتين .

(١) الديوان ص ٣٠ .

(٢) الديوان ص ٣١ .

(٣) الديوان ص ٢٩ .

(٤) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٠٩ .

أما قصيدته الثانية فليست من نفس البحر ، فهي من بحر البسيط
ومطلعها :

يا ظبية البان بل يا ظبية الدور

هل أنت من نسل حوا أو من الحور (١)

ولعل ابن مشرف لم يكن يحفل كثيرا بالشكل من بحر وقافية إنما هو
يعول على المضمون في نقائضه بالدرجة الأولى .

واختار في أهاجيه كذلك بحورا تناسب الغرض كما في هجاء
عين نجم فان القصيدة جاءت من بحر الطويل ومطلعها :

ألا فاتركا عينا تضاف الى نجم

فقيتها بالهدم أولى وبالرجم (٢)

أما قصيدته في مخاصمة الحكيم الكوتى فهي من بحر الرجز .

كما نلاحظ أن قصائده في هذا الفن لا تتسم بالطول كما هو الحال
في شعر النقائض والهجاء ، فأقصى ما بلغته أحداهن ستون بيتا
تلك التي قالها ردا على من يفعل التذكير من أهل البحرين (٣) .

وهو أيضا يبدأ بعض نقائضه وأهاجيه بالغزل التقليدي الذي اعتدنا
أن نراه في فنون الشعر الأخرى كثيرا ولعله في ذلك يذكرنا بقصيدة
الأعشى ميمون بن قيس فموضوعها الهجاء ولكنه بدأها بمقدمة

(١) الديوان ص ٣١

(٢) الديوان ص ٣٤

(٣) الديوان ص ٣٢

غزلية (١) .

يقول ابن مشرف متغزلاً في بدء أهجية عثمان بن منصور :

يا طيبة البان بل يا طيبة الدور

هل أنت من نسل حوّا أو من الحور (٢)

وكذلك شاعت ألفاظ تناسب القضايا الدينية التي كان يرد بشأنها الشاعر على الخصوم من مثل الاثم ، والخبث ، والزور ، والضلال ، والابتداع وغيرها .

أما ما يتصل بالقذف الشخصي وتشبيههم بالحمير والقروء فقليل في شعر ابن مشرف فقد ورد تشبيههم بالكلاب مرة وأخرى بالخفافيش .
يقول :

فمن هجاهم بافك غير ضائرهم

لا ترهب الأسد نبج الكلب في الدور (٣)

وأخرى :

(٤) خفافيش أعساها النهار بضوءه

وان لا ح ضوء الصبح للعش تهرب (٥)

(١) ومطلعها :

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل
ديوان الأعشى ص ١٤٤ .

(٢) الديوان ص ٣١ .

(٣) الديوان ص ٣٢ .

(٤) كذا بالديوان والصواب (خفافيش) .

(٥) الديوان ص ٣٣ .

ولعل ابن مشرف تميز عن غيره من شعراء النقائص في قلة ورود مثل هذه الأوصاف والتشبيهات ، فقد ركز على سلبهم صفات تتفق وغرضه من كل هذه الأهاجبي وهو الدفاع عن الدعوة الإصلاحية التي تنادى بالعودة الى الدين الصحيح ونبذ البدع .

ثانيا : . . . في الشعر السياسي والاجتماعي

حفل ديوان ابن مشرف بالشعر السياسي الذي يحرض على الحروب
ويدعو الحكام الى الحزم والقوة والضرب على أيدي الأعداء وخصـــــــد
شوكتهم وبجانب هذا اللون وجد الشعر الاجتماعي الذي يعرض
مشكلات الأمة امام الحكام ويطالبهم باصلاحها .

ونجد هذا الغرض في قصائد مستقلة أو في ثنايا مدائحه
لفيصل بن تركي الذي عاصره الشاعر ووجه له كل قصائده في هذا المجال ،
ومن ذلك قصيدته التي نظمها سنة ١٢٧٥ هـ تحريضا للامام فيصل
على كف الأعراب عن الفساد والانتهاك :

فكم أفسدوا في الأرض بعد اصلاحها
وكم سفكوا الدم الحرام وأسرفوا
وكم قد أغاروا في الدروب وكم عشوا
وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا
فقال : ادخلوا في السلم طرا وأسلموا
والا فحرب وعده ليس يخلف
وأقسم لا نعطي على ديننا الرشاشا
وما عندنا الا حسام ومصحف
فمن لم يقومه الكتاب أقامه
حدود الأطباء والسهمري المثقف
فهل يستقيم الدين الا بدعوة
الى الله يتلوها سنان ومرهف (١)

ونراه أيضا محرّضا الامام فيصل على الأعراب المفسدين سنة ١٢٧٦ هـ ويدعوه
للحزم معهم والشدة في معاقبتهم :

ما جرد الصمصام ذوهمة
عند اعوجاج الأمر الا استقام
فتب وثوب الليث نحو العـ
وبادر الخصم بسيل الحسام
وجاز ذا الحسني باحسانه
واسق الأعادي من كؤوس الحمام
وحكم السيف بمن قد عتـ
ينقاد للحق ألد الخصام (١)
وفي قصيدة ثالثة نرى شكوى الشاعر من جور عمال فيصل في الأُحساء
سنة ١٢٧٨ هـ .

ثم يبين سبب تمردهم وخروجهم عن طاعته ، يقول ابن مشرف :
أساءوا جميعا في الامام ظنونهم
فقالوا : ضعيف الجند في عزمه حصر
نغير على بلدانه ونخيفهـ
ليعرفنا الوالي و ينمولنا الوفر
فان لم نصب ما قد أردنا فانـه
صفوح عن الجاني ومن طبعه الصبر
وما أنكروا في الحرب شدة بأسه
ولكن بتسويل النفوس لها غـروا (٢)

(١) الديوان ص ٩٨ .

(٢) الديوان ص ٦٦ .

ونراه في أكثر من قصيدة يصور ما كان يحف بالبلاد من أخطار
وعدم أمن كأن يكنى عن هذه الحقيقة بقوله على لسان محبوبته
النجدية التي قطعت علاقتها به لأنه في بلد مخوف ، وهي في
ربي نجد الآمن (١) ، يقول ابن مشرف :

أنا في ربي نجد وأنت ببلدة
أحاطت بها الأعداء من كل جانب
يتيسرون في أطرافها وسروحها
جهارا ولا يخشون سوطا لضارب
يقولون سيروا إن ظفرتم بنهبة
على رسلكم لا تحذروا درك طالب
وان تسفكوا فيها الدماء فانها
لكم هدر لا تحذروا من معاتب (٢)

ويقف ابن مشرف متسائلا أين حماة الديار ، أين الحكام ؟
فياليت شمري هل سراة حماتها
نيام فهم ما بين لاه ولا عاب ؟
أم الحدينهم كل أم زندنهم كبا ؟
أم القوم غروا بالاماني الكواذب ؟
لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرى
فصارت بهم تعثو صفار الثعالب (٣)

(١) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٤١ .

(٢) الديوان ص ٤٧ .

(٣) الديوان نفس الصفحة .

ثم يرسل الحكم والامثال التي اعتاد أن يوشح بها أفكاره في أسلوب الاستنهاز والتحريض (١).

يقول ابن مشرف :

وأني يحوط الطك الا سمينذع
يخوض لظى الهيجا ليس بهائب
ولا دين الا بالجهاد قوامه
ولا أمن الا بعد عدل القواصب
ولا مجد الا بالشجاعة والنسب
وجر العوالي فوق مجرى السلاهب
فكيف تنام العين منك عن العدا
وقد أوقدوا للحرب نار الحبايب
فياالبيض مع سمر القنا تدرك المنى
وبالجود والاقدام نيل المطالب (٢)

وقد كانت هذه القصيدة مؤثرة جدا في نفس الامام فيصل فأرسل اثرها جيشا بقيادة ابنه عبدالله قضى به على العجمان (٣)

وفي قصيدة أخرى نرى المحبوبة تعيش في ديار مخوفه ، يصور الشاعر ذلك في حوار طريف بينه وبينها :

-
- (١) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٤٢ .
(٢) الديوان ص ٤٧-٤٨ .
(٣) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٤٢-١٤٣ .

طرقنا أهلها ليلا فقالت
من الاتي وأعلنونا نياما ؟
فقلت لها : محب جاء ضيفا
فلا تجفني محبا مستهاما
فقلت : كيف زرت دون وصلي
حروب نارها تذكي الضراما
وقومي أشرعوا دوني رماحا
وسلوا البيض وانتشلوا السهاما (١)

وقد استطاع ابن مشرف أن يصور العصر الذي عاشه سياسيا واجتماعيا
بصدق ، نلمس ذلك في كثير من القصائد من مثل أهاجيه لأعداء الدعوة
وقصائده في الشكوى من الأعراب ومن عمال الامام فيصل وفي مدائحه
للإمام فيصل رحمه الله الذي أعاد للبلاد الأمن والاستقرار الذي افتقدته
زمنًا طويلا .

يقول ابن مشرف في قصيدة رد بها على عثمان بن سند أحد خصوم
الدعوة ومن خلا لها رأينا الواقع الذي كانت تحياه نجد :

الليل غشى الدنيا أم الافق مسود
أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟
أم السرج النجدية الزهر أطفئت
فأظلمت الافاق ان أظلمت نجد ؟
نعم كورت شمس الهدى وبدأ الردى
وضضع ركن الهدى فهو منهـد

(١) الديوان ص ٩٢ .

(٢) هكذا بالديوان والصحيح عروضيا (أيل) .

لـدن بالسـمـحـا* خـطـب فـأـوحـشـت
مـسـاكـنـها وازور عيش بها رـغـد
تفرق أهلـوها وسل على الهـدى
سيوف على هـامـات أنصاره تشـدو (١)

الى أن يقول في نفس القصيدة :

ولكن فشا فيها الزنى وبدا الخـنا
فلم تنكر الفحشاء ولم يـقـم الحـد
فكم فـتـنة عمت ؟ وكم طـل من دم
حرام وكم ضلت عصائب وارتدوا
وكم قطع السبل البوادي وأفسدوا
فصاروا بها مثل الذئب التي تعدو (٢)

وماذا بعد نقشي الزنا وظهور الفواحش وعدم اقامة الحدود وافساد الاعراب
السبل ؟ لقد يئس قوم من عودة الأمور الى نصابها فقال ابن مشرف :

وأقسم قوم انها دولة مضـت
وليس لما قد فات عـود ولا رد
وقلنا لهم : نصر الاله لحزبه
به جاء في القرآن والسنة الوعد
فعادت كما كانت بفضل ورحمة
من الله مولانا له الشكر والحمد (٣)

(١) الديوان ص ٥١

(٢) الديوان ص ٥٢ .

(٣) الديوان ص ٥٣ .

ويصور حال رجال العصر أيضا بقوله في إحدى مدائحه له سنة ١٢٦٣هـ

الى الله نشكو حارثات النوائب
ودعنا دهرنا صرفه بالعجائب
يذل أخا علم ويكرم جاهــــــــــــــــلا
ولست على ريب الزمان بعائب
وعيش مشوب لا يزال منكــــــــــــــــدا
فلذاته مزوجة بالمصائب
الى أن يقول :

فلما دهرتنا بالهموم وعسر هــــــــــــــــا
وصاح بنا الأعداء من كل جانب
لبست لها ثوب التجلد منشــــــــــــــــدا
إذا لم يسلكك الزمان فحــــــــــــــــارب (١)
ويصف ما حلّ بالبلاذ بعد معركة الدرعية ، يقول :
وفلّ حسام الدين ، بل ثل عرشه
لذن غاب من آفاقه الطالع السعد
قضاء من الرحمن جار بحكمــــــــــــــــه
ولله من قبل الأمور ومن بعــــــــــــــــد (٢)

ويصور حال البلاذ بعد تولية بن تركي زمام الأمور ، يقول :
ولولاه في هذا الزمان لما بــــــــــــــــدت
من الدين في جل الديار معالمه

(١) الديوان ص ٤٥-٤٦

(٢) الديوان ص ٥٢

ولا أمت طرق الحجيج ولا انتهى
عن الظلم ، للمظلوم بالسيف ظالمه
ولكن أخاف المفسدين فسالموا
وسفك الدما بالحق للدم عاصمه (١)
ويصور أهل العصر ويدعو فيصل للشدة معهم :
علامات النفاق بهم تراها
ثلاث هن من شر الخلال
خيانتهم واخلاف الوعد
وكثرة كذبهم عند المقال
فسل على البوادي سيف عزم
وقاتلهم على منع العقال (٢)

(١) الديوان ص ٩٦ .

(٢) الديوان ص ٨٩ .

خصائص شعره السياسي

والاجتماعي

أهم سمة نلاحظها في شعر ابن مشرف السياسي تلك الروح
الاسلامية والتي تتمثل في مواطن كثيرة من هذا اللون ومن ذلك ما يتجلى
في قصائده من النصيح للحاكم وهو أمر دعا اليه الاسلام وأمر به وإن كنا
في عصرنا الحاضر لا نجد من الناصحين لولاة الأمور الا قلة ولعل ذلك
يرجع الى أن المواجهة بالحق قد تعرض صاحبها للأذى فقاتلها
لا بد أن يكون ممن لا يخشى في الحق لومة لائم يقول كلمة الحق جهاراً
بيتفي بذلك ارضاء الله تعالى واعلاء كلمته .

وكان ابن مشرف من هؤلاء القلائل يقول داعياً للجهاد :

فلادين الا بالجهاد قوامه

ولا أمن الا بعد سل القواضب

فقم واستعن بالله وانهض الى العلا

فكسب الشنا والأجر خير المكاسب

وان كره الناس الجهاد بدايعة

فآثاره محمودة في العواضب

واشاره نصر وأجر وغفر

وان عميت عنها عيون الفياهب

فشمربعزم للجهاد ولا تهبن

فتدعو الى سلم العدو المجانب (١)

ويقول في قصيدة أخرى :

فهل يستقيم الدين الا بدعوة

الى الله يتلوها سنان و مرهف

وقد فرض الله الجهاد على الوري

لمن كان عن نهج الشريعة يصدق (١)

و يتجلى نصحه لفیصل بقوله :

عليك بتقوى الله سرا وجهرة

ففيها جميع الخير حقا تأكدا

وخذ بيد المظلوم قد حق نصره

ولا تترك الباغي معيثة مفسدا

وكن حافظا لله فيمن رعيتاه

وناصحهم في القول والفعل جاهداً (٢)

ونراه في نصحه للإمام يبدأ برأس الأمر وهو تقوى الله فهي قوام الخير ،
ثم نصرة المظلوم ، والضرب على يد الظالم ، ثم القيام بمسئولية الرعيّة
والنصح لهم ، ولعمري انها أبيات ثلاثة لكنها تضمنت كل ما ينبغي
للحاكم المسلم التمسك به ، ثم لننظرهم أردف هذه الثلاث الفوالي ؟
بقوله :

لتجزي من الله الكريم بفضلـه

مبوءاً صدق في الجنان مخلصاً (٣)

وماذا بعد الجنة من جزاء ؟!

(١) الديوان ص ٨١.

(٢) الديوان ص ٥٤ .

(٣) الديوان الصفحة السابقة .

ونراه في قصيدة أخرى يدعو إلى العدل وحسن اختيار
الرجال :

وبالعدل سس أمر الرعية وأحمهم
عن الظلم كي ينعوك الخير ولا جبر
وألف بني الأحرار في زمن الرخا
تجدهم إذا الهيجا شدت لها الأزر
ولا الذخر جمع المال في السلم للوغي
ولكن أحرار الرجال هم الذخر (١)

وهذا المعنى نجده في قوله :

فلا ملك إلا بالرجال ، وأنما
يولقها بالمال من شأنه الندي
ولا مال إلا بالرعايا إذا نمت
وانصفها الوالي بعدل وأرشدا (٢)

التي تدعو إلى العدل في كثير من قصائده سواء في شعره السياسي أم في
مدائحه وحق للشاعر ذلك فالعدل بين الرعية دعامة قوية لا حياة
لمجتمع مسلم بدونها .

يقول في نصح فيصل من مدحة له سنة ١٢٨١ هـ :

بعدل ولا إلا أمر ترسو دعائمه
وتأمن في قفر الغلاة سوائمه

(١) الديوان ص ٦٢ .

(٢) الديوان ص ٥٦ .

وبالحزم والكتان والجند والحجا
يقال أخو العليا ما هورائمه
وحكمك محمود المواقب ان يكس
له صارم ينفي الذي لا يلائمه
وأوس أهل الملك من ساس من رعي
بترفق فان لم يفن أغناه صارمه (١)
ويقول فاصحاله أيضا :

واجعل بطانتك الخيار تدوى النهى
واحذر من مخالطة السفه الا رذل
كم دولة فسدت بأراء المدا
اذ لا طفوا قاداتها لتحيل
لا تستشر الا لبيبنا ناصحا
بالعقل يختبر الأمور ويجتلي
وأسوء ظنونك في الزمان فانه
من فطنة الرجل النبيه الا نبيل (٢)
فالشاعر هنا يدعو الامام فيصل الى حسن اختيار خاصته ومقربينه ويدعوه
الى المشورة وهو أمر هام أكد عليه الدين الاسلامي والمستشار هو اللبيب
الناصح المختبر للأمر ، ثم يحذره من الزمان .

(١) الديوان ص ٩٥ .

(٢) الديوان ص ٨٨ .

وهكذا نرى ابن مشرف ينصح امام المسلمين عملاً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) (١) ، وفي التأكيد على هذا المبدأ الاسلامي يقول ابن مشرف :

ومن أعظم التقوى النصيحة انهما

من الدين أضحت مثل أس بنائه (٢)

(١) صحيح مسلم ج١ كتاب الايمان باب بيان انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون وأن محبة المؤمن من الايمان وافشاء السلام سبب لحصولها ص ٥٣ .
(٢) الديوان ص ٣٦ .

ثالثا : ... في شعر المديح والتهنئة

ونرى ابن مشرف في هذا الفن يخلق في ذراه حتى أنه ليشغل
هيزا كبيرا من الديوان ، مثله في ذلك مثل غيره من شعراء العربية
في عصورها الزاهرة .

وهذه المدائح فيها ما هو في المديح الخالص من المناسبات
ومنها ما قيل في مناسبات كالتهنئة بفتح أو نصر على عدو أو غير ذلك .

أما ممدوحوه في اللون الأول ، فعلى رأسهم الرسول صلى الله عليه
وسلم الذي يذكره يزدان عقد المديح ويحمله ، ثم من الدعاة الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب وأبنائه الذين حملوا راية الدفاع عن الدعوة من بعده ،
ومن الحكام آل سعود وفي مقدمتهم الامام فيصل بن تركي الذي حظى
بجل مدائح الشاعر فقد عاصر فترة حكمه والفتوحات والانتصارات التي تحققت
في عهد الامام فيصل مما يجعلنا نستطيع ان نقول ان ابن مشرف كان شاعر
الدولة السعودية في عهد فيصل ، ولا نجد في الميدان صوتا قويا
مثله .

ثم مدائحه لابنائه وخاصة عبدالله الذي كان عضد والده في كثير
من الفتوحات كما يعكس ذلك ديوان ابن مشرف .

وأغلب هذا اللون من المدائح يأتي في ثنايا قصائد لأغراض شعرية
أخرى أما شعر المناسبات فكان يقتصر على الامام فيصل ، فهو قد ذكر
في ثنايا قصائده كما أنه أفرده بالكثير منها .

ومما قاله في مديح المصطفى عليه الصلاة والسلام :

جاء بالدين الحنيف وقـد
طبق الأرض من الاشراك جنـح
فأرى الناس الهدى بعد الردى
فإذا الحق تجلى منه صبـح
فانجلي الشرك وولى دبـره
وعلت للدين أطام وصـرح (١)
وبعد مدحه بما يليق بمقام النبوة والرسالة نراه يمدحه بأفضل الاخلاق
وأحسن الشمائل ، يقول :

فاق في حلم وحكم وحجـا
زانه صدق وصبر ثم صفـح
عزمه ماض ، وأما علمـه
فهو كالبحر فلا يزيده نـزح
فهو في يوم الوفى ليث عـدى
وهو في يوم الندى غيث يسـح
كفه عارض جود هاطـل
جاد بالجود فلا يصروه شـح (٢)
ويقول في مدح أصحابه رضوان الله عليهم :
وهم القوم اذا ما عبست
واكفهرت أوجه للحرب كلـح

(١) الديوان ص ٤٩٠

(٢) الديوان ص ٥٠٠

- لا ترى فخرا اذا نالو ولا
جزعا ان نالهم في الحرب قـ
بذلوا الا نفس والا نفس مـ
مالهم لله ماضنوا وما شـ
حسبهم من مالهم سابعـ
جواد ثم صمصام و سـ
برسول الله قد نالوا المـ
(١) وبه تم لهم نصرو فـ
ويقول في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه :
وأكرم بني الشيخ الرئيس الذي نهى
عن الشرك لما شاع في الأرض باطله
وألف في التوحيد تأليفه الذي
شجت في حلق المشركين دلائله (٢)
كذا عبد الرحمن أعني : حفيده
بنور الهدى يهدي ، فمن ذا يعادله ؟
ينافح عن دين الهدى كل مبطـ
فيبطل تمويهات ويناضلـ
وعبد اللطيف الحبر لا تنس فضله
امام هدى بالملم تزهو محافلـ (٣)

(١) الديوان ص ٥٠ .

(٢) الديوان ص ٩١ .

(٣) الديوان نفس الصفحة .

ويقول في قصيدة أخرى :

جزى الله عنا شيخنا في صنيعته
فكم قد شفى بالرد والسد للثغر
إذا ميطل أجرى من الجهل جدولا
أتاه بتيار من العلم كالبهر
لئن كان أهل العلم كالشهب في السما
فما لنا بين الكواكب كالبهر (١)

وقال في قصيدة ثالثة :

وقل : جزى الله شيخ المسلمين بما
أبدى ، فجلى ظلام الشرك بالنور
بالعلم بصر قوما قد عموا فهدوا
وانقذ الله منهم كل مفرور
أدلة جامع التوحيد أودعها
من كل نص قرآني ومأثور
لا يستطيع لها دفعا مخاصمه
ولا يحرفها تأويل ذي زور
فقام أبناؤه من بعده فدعوا
إلى الهدى ونهوا عن كل معذور (٢)

وهكذا نرى ابن مشرف في كل مدائحه للشيخ محمد بن عبد الوهاب
وأبنائه يدور في فلك واحد وهو أنهم دعاة كان على عاتقهم تخليص

(١) الديوان ص ٢٩

(٢) الديوان ص ٣١

الدين ما علق به من شوائب الشرك ، وعلما * نشروا العلم بين الناس .

ثم نكف أمام مداعبه لآل سعود فقد تردد ذلك في قصائد عدة
فهم الذين آزرُوا الدعوة ونصروها فبلغت ما بلغت بتوفيق الله لهم .

يقول ابن مشرف في مديح آل سعود :

(١)
ومهما ذكرت الحي من آل مقرن

تهلل وجهه الفخر وابتسم المجد

همو نصروا الاسلام بالبيض والقنا

فهم للعدا حثف وهم للهدى هفد

غطارفة ما أن ينال فخارهم

ومعشر صدق فيهم الجد والحد (٢)

ويقول في قصيدة أخرى :

فأكرم به فرعا سلالة مقـرن

وآباؤه الغرا الكرام أولوا الهدى

لقد نصروا دين الاله وقوموا

من السنة الغراء ما قد تـأودا (٣)

(١) ومقرن هو الجد الثامن للملك فهد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن

ابن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن

مقرن واليه تنتمي الاسرة السعودية (جمهرة انساب الاسر المتحضرة

في نجد ج ٢ ص ٨٦٠) .

(٢) الديوان ص ٥٢

(٣) الديوان ص ٥٣

و فيهم يقول أيضا :

هم نصروا دين الهدى ، بعد أن عفت

له بين سكان البلاد رُسُوم

أحبوا بأطراف الأُسفة سنْـسَـة

لخير الوري منها العظام رميم (١)

وإذا انتقلنا من مديحه لآل سعود نراه يخص فيصل بن تركي

بجل مدائحه ومنها قوله :

أخو همة في شامخ المزقد علت

فمن مثله في الفضل والبأس والندی

أبو المجد وابن المجد والمجد أصله

حليف العلا من كان في الفضل أوحدا

امام همام باسل بانخ العـلـا

له بسطتا فضل وفصل على العدا (٢)

وفي المقطع الأخير من البيت الثاني مبالغة مألوفة اعتدنا ان نرى أمثالها

عند غيره من الشعراء .

ويقول أيضا في الامام فيصل :

حليف المعالي " فيصل " من سمت به

مناقبه فوق الثريا وفرقـــــــــــــــــد

(١) الديوان ص ٩٤

(٢) الديوان ص ٥٣

تفرع عن روح المكارم وانتـمـى

من الحسب السامي الى خير محتد

كريم السجايا ماجد من أـمـاـجـد

بنوا في المعالي كل فخر وسوء

ولكنه أضحى بأعلا أروـمـة

يقصر عن ادراكها كل سـيـد (١)

فالامام فيصل كما قال ابن مشرف وريث مجد وسليل آباء وملوك فخير الناس

كما قيل له ومجد قديم أقام لنفسه مجدا جديدا.

ويمتدحه أيضا :

كناه كف قد كـت أـعـدـاء هـ

والراحة الاخرى كمن مطـر

أعراقه طابت قطاب فروعها

تمزى اذا نسبت لا طيب عنصر (٢)

ويقول في قصيدة أخرى :

رفعت لا أعلام الشريعة في القرى

وحكمت حكم الشرع في البدو والحضر

وصيرت للعلم الشريف محافـلا

أحاديث ترويه الرواة عن الخدري

لئن أمنت نجد بملكك وازدهت

فقد فخر الأُحساء به وقرى هجر

(١) الديوان ص ٦٣

(٢) الديوان ص ٧٠

فأنت حسام الدين والله ضارب

بحدك هافات الضلال والكفر (١)

ففيصل كما وصفه ابن مشرف قد جمع بين خيري الدين والدنيا لأنه يحكم
الشرع ويدعو العلم النافع وكفى بها من مدحة ،

ومدائحه لفيصل رحمه الله كثيرة وإنما اكتفينا بذكر بعضها .

ونقف أمام مدائحه لأبناء فيصل/عبدالله ومحمد خاصة ؛

أعد لمن رام الخلاف سليله

أبا النجم "عبدالله" كالليث مرصدا

واخوانه مثل النجوم زواهر

ولا تنس منهم من يسمى محمدا

فروعا كساها أصلها المجد فانتمت

إلى منصب عال أعز وأمجدا (٢)

ويحظى عبدالله بن فيصل أكثر من اخوته بمدائح ابن مشرف ، فعبدالله
شارك والده في أكثر معاركه وهروبه ، يقول :

يسير أعلام الجهاد خوافقا

على نجله لا زال للدين منجدا

أبو النجم "عبدالله" ليثا أعده

أبوه لمن أخطأ الصواب أو اعتدى

(٣)

إذا أفسد الأعراب أي موطن

(٤)

أغار عليهم بالجيوش وأنجدا

(١) الديوان ص ٧١-٧٢ (٢) الديوان ص ٥٥

(٣) الصواب مواطن ليستقيم الوزن (٤) الديوان ص ٥٧

ويقول في عبدالله بن فيصل بعد وفاة الامام والده سنة ١٢٨٢ هـ :

فقد ورث المجد الموءثل والندى

لنجل زكت اخلاقه وشمائله

أبو النجم "عبدالله" حامى حمى الهدى

بفطرته بشرى الندى مخائله (١)

بنجد حثا المال الجزيل تبرعا

فعاشرت به أيتامه وأرامله

وكم غارة شمواء شن على العدا

وكم فارس منهم نعتة حلائله

فأثنى حربا بالحروب فسالمت

ودانت له نجد وذلت قبائله (٢)

واذا أخذنا بالطرف الثاني من شعر المديح وهو شعر المناسبات كالتهنئة

بفتح أو نصر على عدو فاننا نجد ابن مشرف يخلد هذه المناسبات

بشعره ، وقد سبقه في هذا الطريق الشاعر حسين بن غنام الذى واكب

فتوح الدعوة وحروبها منذ فتح الرياض سنة ١١٨٢ هـ وله قصيدة

مطاميرها :

كشف الحق ظلمة الاغسل

ومحا الدين جملة الاسرجاس (٣)

(١) كذا بالاصل والصواب (ومخائله)

(٢) الديوان ص ٩١ (٣) روضة الافكار ج ٢ ص ٨٦

وقال أيضا مهنثا الأمير سعودا بقتل ثويني وفتح الأحساء ويصف معاركها
عام ١٢٠٦ هـ :

تلاؤاً نور الحق وانصدع الفجر

وديجور ليل الشرك مزقه الطهر (١)

ونقف مع ابن مشرف في هذا اللون من الصدائح فقد عاصر الدولة السعودية
في دورها الثاني وشهد عصر الامام فيصل الذي حقق للدولة الكثير
من الانتصارات الامر الذي اطلق لسان الشاعر فجادت شاعريته بهذه
القائد الجياد والتي تعجبون من اروع ما قاله ، وهي تدل على ان الشاعر
عاش أحداث بلاده وهروبها وتفاعل معها .

يقول مهنثا الامام فيصل بانتصار ابنه على العجمان سنة ١٢٧٦ هـ

فمن ذلك الفتح السبين الذي له

تهلل وجه الدين وابتسم الشفـر

تفتح ابواب السماء لمثلـه

ويعلو بسيط الارض أثوابها الخضـر

فناهيك من فتح به أمن العـلا

وأسفرت البلدان وابتهج المصـر

تسامى به نجد الى ذروة العـلا

وأسفر وجه الحظ وافتخرت هجر (٢)

ثم يذكر القبائل التي حاربت الامام ، يقول :

(١) روضة الافكار ج٢ ص ٢٣٧ .

(٢) الديوان ص ٦٦

قبائل (عجمان) و منهم (شوامر)
ومن (لحسين) ينتمون وما بسروا
وظائفه (مرية) غير عذيفة
خلاثقها بل كل أفعالها مـــــ
أساءوا جميعا في الإمام ظنونهم
فقالوا ضعيف الجند في غزوه حصر (١)
وما أنكروا في الحرب شدة بأسه
ولكن بتسويل النفوس لها غروا
وقد قسموا (الأحمساء) جهلا بزعمهم
لعجمانهم شطر وللخالدى شـــــطر (٢)
ويخاطب هذه القبائل قائلا :
فعودوا الى الاسلام واجتنبوا الردى
والا فلا يؤؤوكم السهل والوعـــــر
وننذركم من بعدها أن من عصى
فأفسد أو شق العصاة دمه هـــــدر
فمن لم يكن عن غيه الوحر زاجرا
له كان في ماضي الحديد له زجر (٣)
ونراه يحمد الله مهنثا الإمام فيصل بانتصاره سنة ١٢٧٧هـ يقول هـ

-
- (١) الديوان ص ٦٦
(٢) الديوان ص ٦٦-٦٧
(٣) الديوان نفس الصفحة .

لك الحمد اللهم يا خير ناصر
لدين الهدى ما لاح نجم لناظر
على الفتح والنصر العزيز الذى سما
فقرت به منا جميع النواظر
وعدت فانجزت الوعود ولم تنزل
معزلاً رباب التقى والبصائر
فهنسيت بالميدان بالفتح أ ولا
وعيد كمال الصوم احدى الشمائر
وشكر الأيادى بالنواصي بالتقى
بترك المناهى وامثال الأوامر
صبرت فقلت النصر بالصبر والمنى
وما انقادت إلا مالاً لصابر (١)
ونرى ابن مشرف يقرن التهنئة بحمد الله على نصره وقد فعل ذلك في
قصيدة سابقة عملاً بقوله تعالى (ولئن شكرتم لأزيدنكم) (٢) فقال :
لك الحمد اللهم ما نزل القطر
وما نسخ الديجور من ليلنا الفجر
وما هبت النكبا رخاء وزعزعا
على نعم لا يستطيع لها حصر (٣)
ويقول في فيصل لما كتب لمامله بادخال نخيل الأحساء الى بيت المال :
خليفة قائم لله متقياً
يخشى الله ويرجو عفواً

(١) الديوان ص ٦٧ - ٦٨ - ٦٩

(٢) سورة ابراهيم آية ٧ (٣) الديوان ص ٦٦

أنباء سيرته الحسنی قد انتشرت
شرقا وغربا وفي اعمال بلغار
يصلی العدو بتيران الحروب كما
يشب نار القرى للطارق الساري
أعطى الحسا ، وهي نزر من عطيته
يوم السبية حقا دون انكار
لما استباح من الأعراب بيضتهم
بعسكر من بني الاسلام جرار (١)
ومن الذين مدحهم الشاعر الأمير احمد السديري لما تولى عمان ،
يقول :
هناك له قادات الجيوش يقبلون
إذا جاني بالابطال يشبهه البحر
فأوطأهم جمعا عانا فأذعننت
ودان له من أرضها السهل والوعر
وحلت بها الخيل السوابق بالقنا
وسلت سيوف الحق فانهزم الكفر
وطهرها من كل سوء وياطل
وكانت تبدي بالقائح والسهحر (٢)
ثم يدعو الأمير ان يهنئ الامام فيصل بهذا الفتح ، فيقول :
فهنّ امام المسلمين وقل له
هنيئا لك الاقبال والفتح والنصر

(١) الديوان ص ٦٥

(٢) الديوان ص ٧٢

لئن لبست نجد بملكك مفخرا
فقد زانت الدنيا بوجهك والمصر
فما هي إلا نعمة جل قدرها
فله فيها يعظم الحمد والشكر (١)

وهكذا فان كل المدائح التي قيلت في التهنئة بالفتح والنصر والتي حفلها
الديوان كانت موجهة للامام فيصل باستثناء قصيدة واحدة قالها مهنئاً
الامير احمد السديري بمناسبة توليه عمان وقد حرص الشاعر فيها كما رأينا
على تهنئة الامام فيصل أيضاً.

سمات مدائح ابن مشرف وخصائصها

بعد أن عرضنا لجانب من مدائح الشاعر لا بد لنا أن نتعرف على بعض سمات هذا الفن عنده خاصة وان قصائده في هذا الغرض قد جمعت بين الكثرة مع الجودة اذا قيست بأغراضه الأخرى وهما معياران ضروريان لتقييم أى نتاج فكري .

ولعل أول سمة اتسمت بها مدائح ابن مشرف تلك الروح الإسلامية التي سرت في كل قصائده بدون استثناء .

ومن ذلك قوله في مديح آل سعود :

فكم مسجد قد أسسوه على التقى

وكم مشهد للشرك بنيانه هـدوا

بهم أمن الله البلاد وأهلها

فهم دون ما يخشونه الردم والسد (١)

ويقول أيضا فيهم :

من عصابة صبروا على نصر الهدى

وأذى العدا أكرم بهم من محشر

آووا الى امام المسلمين محمدا

لما جفاه رئيس آل محمدر

فدعا الى التوحيد ضلال الورى

جهرا ، ولولا منعهم لم يجهروا

وحموه من اعدائه بسيوفهم

مع ضعفهم ، وكفى بها من مفخرة (١)

وله أيضا :

من عصبة نصروا الاسلام وانتهبوا

منهاج صعب رسول الله والسلف

أحيوا من السنة الفراء دارسها

كما نفوا وأماتوا بدعة الخلف

لولا دفاع اله العالمين بهم

لا أصبح الدين بين الناس كالهدف (٢)

ومن مدائحه للامام فيصل والذي تتضح فيه الروح الاسلامية جليلة قوله :

ما زال يققو الاثر من أسلافه

بالنصر للشرع الاغر الاطهر

أفلا ترى أعلامه منشورة

للفزوبين سرية أو عسكر

فيفير في غور البلاد ونجدها

فوق النجائب والجياد الضمر

حتى أعز المهيم دينه

وأذل كل معاند متجبر (٣)

(١) الديوان ص ٧٠

(٢) الديوان ص ٨٣

(٣) الديوان ص ٧١

قوله أيضا :

أوضحت للسنة الفراء رسوم هدى

عفت فأحييت للاسلام أطــــلا

أتى بك الله من مصر لملتــــنا

نصرا وقهرا لمن عادى وان لا لا (١)

وما ذكرته من مدائح تتضح فيها هذه الروح غيض من فيض فقائده
في هذا الفن تحفل بالكثير .

وتبرز هذه الروح أيضا لو تتبعنا مدوحي الشاعر فهم الشيخ
محمد بن عبد الوهاب وأبنائه الذين حملوا لواء الدعوة للمسلمين
الى أصول الدين الصحيح ، ثم آل سعود الذين آزرُوا الدعوة وساندوها
من بدء قيامها ، ثم مدائحه الكثيرة للامام فيصل بن تركي الذي حقق
الله على يديه الكثير من الانتصارات للدولة السعودية ثم أبنائه وخاصة
عبدالله الذي كان عضدا لوالده الامام فيصل في كثير من حروبه (٢) .

أقول لو تتبعنا مدوحيه لوجدنا انهم دعاة مخلصون وحكام
عادلون وهذا ما تؤيده الحقائق التاريخية فيما نقرأ عنهم .

ولعلنا نلاحظ ان الصفة التي تجمع بين هؤلاء المدوحيين
هي انهم نصروا الدين وأعلوا كلمة الله ، وان اتصف بعضهم بعدد من الصفات
أفناها كـالكرم والشجاعة والعدل والحلم ————— من مثل

(١) الدين ص ٨٧ .

(٢) كما في انتصاره على الأعراب سنة ١٢٧٥هـ وانتصاره على الأعراب
أيضا سنة ١٢٧٦هـ (عقد الدرر ص ٢٤ - ٢٦) .

قول ابن مشرف في مديح فيصل :

تراه لفعل المكرمات مشـمرا
إذا الجود والاقدام للناس أقـمدا
يخوض لظى الهيجا فردا وكفه
سحاب ندى يهني لجينا وعسجدا
يعامل من يرعى برفق ورحمة
ويقمع منهم من طغى وتمردا
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم
فعاشوا بخير كلما راح أوغـدا (١)

ويقول في عبدالله بن فيصل :

يقودهم شبل الامام وانسه
لبالجود والاقدام والمجد يوصف (٢)
ولا بد أن نشير الى أن صفة الكرم في مدائحه لفیصل لا تكاد تخلو منها
واحدة فقد ركز الشاعر عليها يوءيد هذا ما أشار اليه صاحب كتاب
الشعر في ظلال حركة الامام عندما قال في معرض حديثه عن اجازة
الأُمراء من آل سعود للشعراء الذين كانوا يفدون ولكن ليس هناك
نص يثبت ذلك كما يقول :

" لكن لكثرة مديح الشعراء لفیصل بن تركي ، توهي

(١) الديوان ص ٥٥

(٢) المرجع السابق ص ٨١

بذلك فضلا عن وفود شعراء من خارج الجزيرة للمديح . .
وكان فيصل معروفا أيضا عند شعراء النبط بالكـرم
حتى سموه "أبا هلا" وهي محرفة عن أهلا وسهـلا
لبشاشته وترحيبه بهم وبالمحتاجين والفقراء " (١)

ولا بد أن نقف امام ظاهرة تكررت في كثير من قصائده وهي طلب الجائزة
والعطاء ، وهي ليست مستغربة في شعر المديح فقد تعودنا أن نسمع
هذه النغمة عند كثير من الشعراء ، ولكن الأولى بشاعر كابن مشرف
أن يترفع عن الطلب ، وهو أمر لو عرض مرة واثنين لقلنا انه سار على
نهج الشعراء المداحين في طلب العطاء لكنه تكرر كثيرا .
يقول طلبا للعطاء :

لقد أوجفت قصدا اليك مطيتي
وأعملت عيس اليعملات جواهرها
لا تبلغ من جدواك ما قد رجوشه
كما أنت للعافين مأوى وموردا (٢)

وله أيضا :

فمجل قراها فالضرورة أوججت
وكاد يكون الفقر لولا الهدى كـفر
وانجزله الوعد الذي قد وعدته
فأمنيته والوعد ينجزه الحـر (٣)

(١) الشمر في الجزيرة العربية ص ١٣١ - ١٣٢

(٢) الديوان ص ٥٤

(٣) المرجع السابق ص ٧٤

ونتفق مع ما قاله صاحب كتاب (الشعر في الجزيرة العربية) في هذا الشأن يقول :

" الشيء الذي نوء كده أن هذا الشعر لم يقل خالصا لوجه التكسب ، لما في أثنائه من عرض لمشكلات الأمة وتعرض لنواحي السياسة ، وحث للامام على بعض الأمور ونصيحته ، وعدم المبالغة في أغلب الشعر وترك التطنيل الفارغ ووضوح شخصية الشاعر . " (١)

كذلك فان شعره في هذا الغرض يكاد يخلو في عمومه من المبالغات التي اعتادها شعراء المديح الا نادرا ، كما قال في إحدى مدائحه لفصيل :

أيام ملكا تاج الطوك هذا وه

وهمة في الدهر عضا مهندا (٢)

ومديحه هذا غير مقبول انما يشفع له اننا لم نعثر على ثان له فيما اطلعنا عليه من شعر الشاعر .

وفيما يتصل بالشكل تطالعنا هذه المدائح بمقدمات غزلية من مثل قوله في الامام فيمسل سنة ١٢٧٥ هـ يقول :

علام تلوم في سلمى علام

وقد شفف الفؤاد بها وهاما ؟

(١) الديوان ص ١٣٦

(٢) الديوان ص ٥٤

وتكفر في الهوى العذرى عذلي
ولو أنصفت لم تبد الملا
فكرر ذكرها فلذاك عندي
أذ من العدامة للندام
يذكرني الخيام بأرض نجد

بصرف الشيخ منها والخزامى (١)

وقد استأثرت البحور الطويلة بمدائحها وخاضعة بحر الطويل ومن ذلك قوله
من هذا البحر :

لك الحمد اللهم حمدا مخلدا
على نعم لم تحصى عدا فتنفدا (٢)

وقوله :

ليالى السنى جادت علينا بأشعد
لدى جمعتنا بالامام المسدد (٣)

وقوله أيضا :

بقاؤه ك فيما بيننا منة الدهر
نقابله بالحمد والشكر (٤)

كما نلاحظ على هذه المدائح انها لا تتسم بالطول ، وهو أمر تعودناه من
ابن مشرف في شعره عامة عدا بعض شعره المعقضى وأرجوزته الا هلاقية .

(١) الديوان ص ٩٢

(٢) الديوان ص ٥٦

(٣) الديوان ص ٦٣ (في الاصل ليال وهو تحريف)

(٤) الديوان ص ٧١ .

رابعاً : ... في فن الوصف

ولا نجد لابن مشرف قصائد وصفية مستقلة إنما يأتي الوصف عنده عرضاً يتراءى خلال قصائده ، ووصفه للطبيعة والبيئة يسير ، لكنه يشرى هذا الفن بوصف الممارك والفتوح ، وهذا امر طبيعي من ابن مشرف كشاعر جاد من شعراء الدعوة الإصلاحية ،

أ - وصف الطبيعة :

ونجده في مثل قوله :

تذكرت لما أن أهاج لك الأُسَى

ديارا تمغيها جنوب وهيب

مها رسمها ذارى الرياح وهامع

من المزن سحا ودقه يتحلب

فلم يبق الا موقد النار للقرى

وموضع أطناب الخباء حين يضرب

كأن لم يكن فيها أنيس ولم تكن

بها الكاعب الحسناء للذيل تسحب

ولم تسرح الا أنعام بين مروجها

ولم يلتق الحيان : بكر ، وتغلب (١)

وأحسبه وصف كامل لمعالم بيئة بدوية برياحها وسحابها وأمطارها ومواقد قراها ومواقع أطناب خيامها وأنعامها ومروجها ، تلك ديار

(١) ديوان ابن مشرف ص ٣٢٠

نصم فيها أهلها بالأُنس حيناً وكانت ميداً نالحريرهم حيناً آخراً ،
انما هي مجمع للسلم والحرب .

ويصف ديار المدوح بقوله :

يجي المستنون له وفـــــــودا
على الأبل الملهدة الهــــزال
فيلقون الربيع اذا أناخــــوا
بساحته وخطوا للرحــــال
وكم ضيف يرون لديه ثــــاو
ونار للقرى فوق القــــلال (١)
وفود مسنته وابل ملهدة هزيلة أمام ربيع مزهر ، ثم أضياف و نار للقرى
انه لنعم المأوى .

ب — وصف الممارك :

كان عهد الامام فيصل حافلاً بالممارك والفتوح التي تغنى بها ابن
مشرف في شعره وكان لهذه القصائد — بما وصفته من ممارك سسوا^٥
في استنهاض الامام فيصل على قتال المعتدين أو تبنيته بالنصر في معاركه
أو في مدائحه — جوانب فنية و تاريخية قيمة .

قال ابن مشرف يهنئ^٥ الامام فيصل بانتصاره على بدو المجرمان
سنة ١٢٧٦ هـ :

(١) ديوان ابن مشرف ص ٨٩ .

لقد سرنا ما جاءنا من بشارة
فزالت هموم النفس وانشرح الصدر
لذن قيل عبدالله أقبل عاديها
يقود أسودا في الحروب لها زأر
فصبح قوما الصبيحية^(١) اعتدوا
وقادهم للبغي من شأنه الفدر
فروى حدود المرفقات من الدما
كما قد روت منها المثقفة السمر
ففادر قلى يعصب الطير حولها
ويشبع منها النسر والذيب والنمر
قبائل عجمان ومنهم شوامر
ومن الحسين ينتمون وما بسرور
وطائفة مريّة غير عذبة
خلائقها بل كل أفعالها ممر
وقد قسموا الأحساء جهلا بزعمهم
لعجمانها شطرو وللخالد شطر^(٢)
وللنظر إلى السيوف والرماح وقد تخرجت بدما المعتمدين ، وتلك
أشلاؤهم تحوم حولها الطيور والذئاب والنمر .
ثم يردفها بقوله :

(١) الصبيحية : الماء المعروف بقرب الكويت (تاريخ الأحساء
ج ١ ص ١٥٨) .
(٢) الديوان ص ٦٦ ، ٦٧ .

كذبتهم ، فهجر سورها الخيل والقنا

ومن دونها ضرب القماحد (١) والاُسُر

ومن دونها يوم به الجو مظلم

أستتنا والبيض أنجه الزهر (٢)

وهل يستطيع الأعداء النيل من مدينة محاطة بالخيول والقنا ، وإن من
دونها لضرب الروم أو الأُسُر وماذا بعدهما ؟ ! يوم مظلم لا تضيئه
الا لوامع السيوف .

واذا وقفنا نستجلي بعض الجوانب التاريخية في وصف ابن مشرف
لتلك المعارك فان اسم القائد (عبدالله) يطالنا ثم مكانها
(الصبيحية) ثم نتجتها (ففادر قلى يعصب الطير حولها) .

ثم يشير الى الفئات المعتدية بأنها من المعجمان ومن الشوامس
وممن ينتهون (للحسين) ومن بنى مرة .

ثم يبين أنهم كانوا يهدفون الى تقسيم الأحساء :

وقد قسموا الأحساء جهلا بزعمهم

لعجمانها شطرو وللخالدي شطرو (٣)

(١) القماحد جمع مفردا القمحدوة وهي الهنة الناشزة فوق القفا
وهي بين الذوء ابة والقفا — لسان العرب مادة (قمحد)

(٢) الديوان ص ٦٧ .

(٣) المرجع السابق .

ولا نعجب أن يسجل الشاعر ابن مشرف في شعره مثل هذه الاشارات التاريخية فحماس الشاعر لا عجابه بالبطولة وفرحته بالنصر ومعاصرته للأحداث ما يهيئانه لذلك.

وتجىء وقعة (الطبعة) سنة ١٢٧٧ هـ بين الامام فيصل وبدو المجمان الذين حاولوا الصبث بأمن البلاد :

لقد بطروا بالمال والعز فاجتسروا

على حرمة الوالي وفعل المناكسر

هو حاولوا الا حياء ومن دون نيلها

زوال الطلى^(١) ضربا وقطع الخناجر

فما جلهم عزم الامام بفيلق

رماهم به مثل الليوث الخوادر

وقدم فيهم نجله يخفق اللوا

عليه وفي يمناه أهن طائر^(٢)

واذا تأملنا قول الشاعر :

فما جلهم عزم الامام بفيلق

رماهم به مثل الليوث الخوادر^(٣)

أدركنا ان الجيش المهاجم فيه فرسان أقوياء " ليوث " لكن فيلق ابن

سمود تغلب عليهم ، وما أشد وقع الهزيمة على الاقوياء ! بل ان غيول

الجيش لتستذل بمناسمها كل صعب .

(١) الطلى : الاغناق ومفردها طلاة ، وقيل هي اصول الاغناق .

(لسان العرب مادة (طلي)) .

(٢) الديوان ص ٦٨ .

(٣) الديوان نفس الصفحة .

ويسعدوان جيش الامام ابن سمود كان وافر العدد :

فوافق في الوفري جموعا توافرت

من البدو أمثال البحار الزواجر (١)

واذا استجلينا بعض الجوانب التاريخية في القصيدة نجد أن الشاعر
قد أحاط بها في قوله :

هو حاولوا الأُحساء و من دون نيلها

زوال الطلى ضربا وقطع الحناجر

وكان جيش الامام والقبائل المناصرة له من سبيع ومطير وآل قحطان والجيش
المهاجم من (بني خالد) وقبائل من (عقيل بن عامر) .

يقول ابن مشرف :

فوافق في الوفري جموعا توافرت

من البدو أمثال البحار الزواجر

سبيعا وجيشا من (مطير) عرمرما

ومن آل (قحطان) جموع (الهواجر)

ولا تنس جمع (الخالدي) فقيهم

قبائل شتى من عقيل بن عامر (٢)

(١) الديوان ص ٦٨ .

(٢) الديوان ص ٦٨ - ٦٩ .

ثم يصف ابن مشرف المعركة :

سار بموار من الجيش أظلمت
له الأفق من نقع هنالك ثائــــر
فصبح أصحاب المفاصد والخنــــا
بسمر القنا والمرهفات البواتــــر
بكاظمة حيث التقى جمع خالــــد
بهرمز نقلا جاء بالتواتــــر
فلما أتى الجهراء ضاقت بجيشه
وجالت بها الفرسان بين المساكر
فولى المدا والأدبار ان عاينوا الردى
بطعن وضرب بالقنا والخنــــا
فما اعتصموا الا بلجة مزبــــد
من البحر يعلو موجه غير جــــادر
فغادرهم في البحر للحوت مطعــــما
وقتل السرحان ونمر وطائــــر (١)

بدأ الشاعر بمسيرة الجيش التي أظلمت الشمس بما أثارته خيولها من نقع
واذا كانت مسيرة الجيش تغلم لها الشمس فكيف بالتحام الجيشين ؟
والتقى الجيشان في (الجهراء) وضاقت بهم أرضها ، بما رحبت ،
وولى جيش العدو الأدبار ولكن أين المفر ؟ الجيش امامهم والبحر
خلفهم أمران احلاهما مركبا قيل ، واذا كان البر بسيوف جيش ابن سعود
قد قذفهم الى البحر فان أمواجه العالية أهلكت من بقي منهم وجعلتهم

(١) الديوان ص ٦٩ .

بين قتلى وغرقى في البحر وهكذا ضاق بهم البر والبحر .

فغادرهم في البحر للهوت مطعما

وقتلى لسرحان ، ونمروطائر (١)

ثم تقف أمام بعض الاشارات التاريخية لهذه الواقعة والتي سميت (بالطهمة)
فقد صاحبهم جيش الامام في (الكاظمية) وهو موطن شهود معركة
المسلمين مع الفرس بقيادة خالد بن الوليد ، ثم كان الالتحام بين
الجيشين في (الجهراء) قريبا من البحر ، ثم نتيجة المعركة .

فالشاعر صور لنا أحداث المعركة باحساس الشاعر وأحسبه وفق في
ذلك .

وقال ابن مشرف مهنثا الامام فيصل بفتح عنيزة سنة ١٢٧٩ هـ على
يد ابنه محمد :

يدعو مخالفه الى نهج الهدى
فاذا أبى شهر السيوف وسلها
فسقى وروى أرضهم بدمائهم
قتلا وانهلها بذاك وعلها
في كل ملحمة تميش نسورها
منها وترثاد السباع محلها
رجفت عنيزة من جيشه
لما غشى عيطانها وأظلمها

فمضت غواة أوردوها للوردى
وأمر سمو قادهما فأضلها
واختارت السلم الذى حقن الدما
اذ وافقت من للهداية دلهما (١)

ولعلنا نلاحظ ان الشاعر أورد سبب هذه المعركة وهو مخالفة أهل عنيزة
للامام وخروجهم على طاعته وتنكبهم ولانحرافهم عن الحق فكان لا بد
من السيف بعد ان أبوا الانعان .

فكان أن سقى جيش الامام بل وروى الأرض بدماء الخارجيين
ويبدو ان المعارك تكررت لأن ابن مشرف يقول :

فسقى وروى ارضهم بدمائهم
قتلا وأنلها بذاك وعلهم
والفعل (عل) يعدل على المعاودة ، بل ان قوله :

في كل ملحمة تميش نسورها
منها وترتاد السباع محلهم (٢)

يعنى ان هناك اكر من ملحمة قامت بل ان السباع ألفتهم وانهم
لترتاده خماسا فتعود ظافرة شباعا .

وأخيرا استجابت عنيزة (لما غشى حيطانها وأظلمها) أى أصبحت
في قبضته من الخارج والداخل .

(١) الديوان ص ١٠٢ - ١٠٣

(٢) الديوان ص ١٠٢

وتشير هذه القصيدة لجوانب تاريخية وهي سبب المعركة ومعاودة القتال بين الجيشين وأن عنيزة كانت تأتمر بأمر أمير زال أهلها حتى إذا رأَت سحب الهزيمة توشك أن تظلمها استسلمت وطلبت الصلح وفيه حقن للدماء .

ويثور أهل عنيزة على الامام فيصل بن تركي فيأمر بجهاد أهلها واعادتهم الى طاعة الامام كان ذلك سنة ١٢٧٩ هـ .

يقول ابن مشرف :

خرجنا والاُمير بنجم سـمـم

نقود الخيل بالابل الرسـم

تدوس بنا الحصا في كل فـج

فتورى القدح في الليل البهيم

نهضنا للجهاد بلا تـمـم

سوى قد الترحل للمقيـم

لنجمع لامة للحرب كـم

نداولها لذلك من قديـم

فسار الجيش مثل البحر هبـت

عليه الماصفات من النسـم (١)

يصور ابن مشرف خروج الجيش مع أميره القائد في خيل قوية شديدة تسير سير الابل تترك أثروطنها ، وهي بعد ان غزت السيـر

اذ بها تقدح بحوافرها الحجارة فتخرج الشرر منها ، لكأن الشاعر
أراد ان يجمع في هذه الخيل أحسن السير فهي قوية السير كالابل الرسيم
سريعة المدو تورى الأرض بذلك الجرى ...

*

سمات فن الوصف

على قلة وصف الشاعر للبيئة فإن أوصافه تكاد تكون لوحة فنية
مستوحاة منها ، حيث ترى وميض البرق وهبوب الصبا وعرف الشيخ والخزامى
ومضارب الغيام نلمح ذلك في قوله :

فمن لفتى اذا ما شام برقــــــــــــــــا

تألق هجعة هجر المناــــــــــــــــما

وان هبت صبا من أرض نجرــــــــــــــــد

بمرف الشيخ منها والخزامــــــــــــــــى

تذكرني الخيام بأرض نجرــــــــــــــــد

و قلبي عند من سكن الخيامــــــــــــــــا (١)

كما نلمح تفوقه واجادته فيما يتصل بوصف الممارك استمع اليه في قوله :

هو الضيفم الضرغام في كل مفرك

اذا شب من نار الحروب جحيم

يخوض لظى الهيجاء والنقع ثائر

وطير المنايا بالمنون تحوم

فللا رعى منهم ما جرى من دمائهم

وللطير منهم والسباع لحوم (٢)

ولا شك ان غيرته الدينية لجهاد المفسدين والخارجين عن طاعة الامام كانت
وراء هذه الجودة .

خامسا . . . في شعر الأُخلاق والحكمة

أرجوزة ابن مشرف الأُخلاقية :

"نخمة الأغاني في عشرة الإخوان"

أ — شعر الأُخلاق :

وما حفل به ديوان ابن مشرف هذه الأرجوزة في الأُخلاق والآداب
وقد نظمها في واحد وسبعين وستمئة بيت من الرجز .

يقول الشاعر في التعريف بها :

وهذه أرجوزة	في فنها وجيزة (١)
بديعة الألفاظ	تسهل للحفاظ
تطرب كل سامع	بحسن لفظ جامع
أبياتها قصور	وما يهيا قصور
ضمنتها ممان	في عشرة الإخوان
تشرح للألباب	محاسن الآداب (٢)

ولا بد لنا أولا من وقفة استعراضية لفصول هذه الأُرجوزة القيمة كما
وردت في الديوان .

وقد بدأها بفصل في "التعريف بالمديق والصدقة"

(١) خلافا للديوان ورد فيه البيتان من الرجز في شطرواحد .

(٢) الديوان ص ١٠٥

عند أولي التحقيق	علا مة الصديق
والصدق فيها مفترض	محبة بلا غرض
عندى ما أقول	وهدها المعقول
محبة في الله (١)	فهي بلا اشتباه

فالصداقة الحقّة كما يراها ابن مشرف هي المحبة في الله ولعمري انها لصداقة ترتفع بمحبتها الى مدارج الكمال الانساني لأنّها محبة يبتغى بها وجه الله تعالى فقد جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أن ممن يظلمهم الله تحت ظله رجلا ن تحابا في الله (٢).

ويدّ الشاعربهذا الفصل وهو " التعريف بالصديق والصداقة " بدّ موفق لأنّ عرض الشاعر بعده (لا داب الصداقة ومعاشرة أربابها) يوجب عليه هذه البداية ، وسنلاحظ خلال عرضنا لفصول الأوجوزة ان كل فصل يسلمنا للاخر في ترتيب سديد وتنسيق بديع .

ثم نقف بعد التعريف امام فصل " الصديق الذي ينبغي ان يصادق " يقول ابن مشرف :

أخو صلاح وأدب	وذو حسب وذو نسب
رب صلاح وتقى	ينهاك عما ينتقى
من هيلة وغدر	وبدعة ومكر
مهذب الأخلاق	يطرب للتلاق

(١) الديوان ص ١٠٦

(٢) صحيح البخارى ج ٢ (باب الصدقة باليمين) ص ١٣٨ .

ان قال قولا صدقك	أو قلت قولا صدقك
يهدى لك النصيحة	بنية صحيحه
خلته مدانيه	في السر والعلانيه
صحبته لا لغرض	فذاك للقلب مرض
لا يتغيران وليس	عن الوداد الا أول (١)

هذه بعض صفات الصديق الحق وقد عرض ابن مشرف لصفات كثيرة ولكنه يخاطب الطرف الآخر الذي حظي بهذا الصديق ، فإخوان الصدق قليلون يقول :

فاندهم بالروح	في القرب والنزوح
واسلك بحيث سلکوا	وابذل لهم ما تملك
فلا يروك مالکها	من دونهم لما لکها
وصاف من صافاهم	وناف من نافاهم
واحفظهم وصنهم	وانف الثانون عنهم
فهم أعز في السورى	ان عن خطب أو عرى (٢)

ولو نظرنا للصفات التي ينشدها الشاعر في الصديق فاننا نراه يبدأ بالصلاح وهي صفة هامة في الصديق ان لم تكن اهم صفاته ولذلك قدمها الشاعر على سواها ثم تلاها بصفة الأُذُب ليجد في صحبته الأُنس ، ثم ان يكون ذا حسب ونسب ولعل هناك من لا يرى للحسب والنسب أهمية في الصداقة ، فأقول ان للنسب أهمية ولكنها تلي الصلاح

(١) الديوان ص ١٠٦ - ١٠٧

(٢) الديوان ص ١٠٧

والأدب ، وقد أشار الشاعر نفسه لهذا بقوله في ختام فصله عن ينهني
ان يصادق ويصافى :

للدن فهو الأفضل	ثلاثة ، فالأول
يهديك نجد العليا	وأخر للدنيا
لگونه من جنس	وثالث للأنس
وعن سواهم فاجتنب (١)	فاعط كلاً ما يحب

أما آداب الصداقة ومعاشرة أربابها عند الشاعر فمنها :

والود والتمطف	الرفق والتلطف
لها بكل معهود	وكثرة التمهيد
من أحكم الأسباب	البر بالاصحاب
من أعظم الاحسان	والنصح للأخوان
من أحسن الانصاف (٢)	والصدق والتصافى

ويقول ابن مشرف أمام هفوة الصديق فيقول :

فانصهم في خلوة	وان رأيت هفوة
والطف الميـارة	بالرمز والاشارة
والعدل العنيفا	اياك والتمنيفا
فلا تسيء خطابهم (٣)	وان ترد عتابهم

(١) الديوان ص ١٠٧

(٢) الديوان نفس الصفحة

(٣) الديوان ص ١٠٨

وهو موقف شديد ازاء هفوة الصديق فيه اصلاح للنفس البشرية مع مراعاة انسانيتها فالعلاج لها لا بد ان يكون مصحوبا باللين واللفظ .

وبعد أن استوفى الشاعر الحديث عن شروط الصداقة وآدابها يفرد بمعنى آداب الصداقة بفيض من الحديث وهي :

" فصل في الحث على اعانة الاخوان في نوائب الحدثان وحوادث الزمان "

يقول ابن مشرف :

تعرف عند الضيق	حقيقة الصديق
اذا جفا الزمان	وتخبر الاخوان
يكون في الرخاء	لا خير في اغناء
في المسروا الاضاقه	وانما الصداقة
الا ليوم الشدة (١)	لا تدخر المودة

ثم يضرب مثلا بحكاية الفأر والحمامة وهي مثال لمعاناة الاخوان و مضمون هذه الحكاية أن سربا من الطيور رأى حبا منتورا وكانوا جياعا — فأرادوا أكله ، فقام منهم ناصح يحذرهم التقاطه فهو لم ينثر في القلاة الا لا مرام ، يقول ابن مشرف في هذا المعنى :

فأبصروا على الثرى	حبا منقى نشرا
فأحمدوا الصباحا	واستيقنوا النجاحا
فأسرعوا اليه	وأقبلوا عليه
حتى اذا ما اصطفوا	هذاه أسفوا

فصاح منهم حازم	لنصحهم مـلا زم
مهلا فكم من عجلة	أهنت لحي أجلسه
تمهلوا لا تقصوا	وانصتوا لي واسمعوا
آليتكم بالسرب	ما نشر هذا الحب
في هذه الفلاة	الا لخطب عاتبي (١)

لكن الطيور لم تستجب لنداء الناصح وسارعت لالتقاط الحب فلفقتها
الشباك فندمت وعادت الى الناصح تستهدي برأيه في هذه المحنة
وكان رأى الناصح هو :

فقال : لا تحركوا	فتستمر الشبك
واتفقوا في الهمة	لهذه المصلحة
حتى تليروا بالشبك	وتأمنوا من الدرك
ثم الخلاص بمعد	لكم علي وعد
فقبلوا مقالسه	وامثلوا ما قالسه (٢)

وبعد أن نهضت مرة واحدة قادها ذلك الناصح الى واد وأمرهم
أن تقع فيه ، ثم نادى صديقه الفأر ، فقرض الحبال فتمزقت الشبكة
وتخلصت الطيور من الأسر ، وأقامت في ضيافة الفأر ثلاثة أيام .

يقول ابن مشرف في ختامها :

(١) الديوان ص ١٠٩

(٢) الديوان ص ١١٠

فأعجب لهذا المثل المغرب الموء ثل
أوردته ليحتذى اذا عرى الخلل أذى (١)

ومن آداب الصداقة وشروطها التي خصها الشاعر بفصل خاص هي :
(فصل في اتحاد الصديقين واتصاف كل منهما بصفات الاخر)
يقول ابن مشرف :

الصدق في الوداد	يقضى بالاتحاد
ويكسي المشوقا	ما يكسب المشوقا
حتى يظن أنه	من الحبيب كنهه
كذا قال الأول	الحق لا يؤول
نحن من المساعدة	نحيا بروح واحدة
ومثلوا بالجسد	والروح ذى التجرد
فكن له صادقا (٢)	ولا تكن ما ذقا
حتى تقول معلننا	اني ومن أهوى أنا (٣)

ولعلنا لاحظنا ان ابن مشرف تحدث عن آداب الصداقة مجملة في فصل واحد ثم افرد أدبين منها بفصلين تحدث في أولهما عن :
" الحث على اعانة الاخوان في نوائب الزمان "

وفي اعتقادي ان الشاعر انما خص هذه المفة بفصل خاص لأنه يدرك أنها اهم أدب لا بد ان يتصف به الصديق وبها يعرف مدى اخلاصه وتفانيه .

(١) الديوان ص ١١١
(٢) كذا بالديوان والصواب عروضيا (مصادقا)
(٣) الديوان ص ١١١ - ١١٢ .

وأما الفصل الآخر فهو في (ضرورة اتصاف الصديقين بصفات بعضها)
وهذا أمر له أهميته فالمرء لا بد أن يؤمن أخيه من يمثله في خلقه
فلا أحسب الصدوق يصادق كذوباً ولا المؤمن خائناً ولا الخيـر
شريراً ، وإن جمعت الأيام فلا بد لكل منهما أن ينقلب إلى من هم
على شاكلته .

ولكن ماذا بعد أن توثقت عرى الصداقة والأخوة انه التزاور وحادثة
الاخوان ومازحتهم وضيافتهم ثم عيادتهم ومكاتبتهم .

يقول ابن مشرف :

من خالص الإيمان	تزاور الإخوان
لها التلاقي ثمرة	ان التأخي شجرة
فتركها حقارة	لا تترك الزيارة
وان تناءت دار (١)	كل أخ زوار

والتزاور أمر حث عليه الاسلام فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله :
" اذا عاد الرجل أخاه أو زاره ، قال الله له : طيب وطاب مشاك
وتبوأ منزلاً في الجنة " (٢)

وهذه الزيارة لا بد أن تخللها محادثة الإخوان ، يقول ابن مشرف :

ان رمت ان تحدثا	بما مضى أو حدثا
لتوء نس الأصحابا	فأحسن الخطابا

(١) الديوان ص ١١٢

(٢) الأُدب المفرد للبخارى ج ١ (باب الزيارة) ص ٤٣٨ .

واختصر العبارة ولا تكن مهذاره
واغتر من الكلام ما لا ق بالمقام (١)

ولو انعمنا النظر في هذه الأبيات لوجدناها تضمنت أهم قواعد أدب الحديث فالشاعر بدأ بحسن الخطاب لأنه يشد انتباه السامعين ثم الإيجاز لان التلويل وفضول القول يفضي الى الملل الذي هو من آفة الحديث ، حتى أن احدهم سئل ما البلاغة فقال : الإيجاز ثم مجانبة الهزار لأنه يذهب بهيبة المحدث وقائدة الحديث .

ونصل الى قاعدة هامة في أدب الحديث وهي مراعاة مقتضى الحال وقد ردّ أحد البلغاء البلاغة اليها .

ثم وقف ابن مشرف أمام (مازحة الاخوان ومداعبتهم) فقال :

المنح والدعابه من شيم الصحابه
فانه في الخلق عنوان حسن الخلق
تولى به السرورا خليلك المصدورا (٢)

لكن الشاعر يقيد هذا المزاح بقوله :

فامزح مزاح من قسط ولكن على حد وسط
واجتنب الايحاشا ولا تكن فحاشا
وجانب الاكثارا وحاذر المثارا

(١) الديوان ص ١١٣

(٢) الديوان نفس الصفحة .

فكرة الدعابه	تذهب المهابه
وعشرة اللسان	توقع بالإنسان
واحمل مزاح الاخوة	وخل عنك النخوة
فالبسط في المصاحبة	يفنى الى المداعبة
وان سمعت نادرة	فلا تفه ببادرة
لا تغضبن فالغضب	في المزمح سوء الأدب (١)

ثم ينظم ابن مشرف فصولاً أخرى يتحدث فيها على الترتيب عن :
(ضيافة الاخوان) ، يقول فيها :

فالبشر واللطافة	خير من الضيافة
وخدمة الأضياف	سجية الأشراف
أحرص على سرورهم	بالبسط في حضورهم
لا تشك دهرًا عندهم	ولا تكدر وداهم (٢)

وإذا كنت مدعوا فلا بد من الاجابة والتزام آدابها ، يقول الشاعر :

وان دعاك من تحب	الى طعام فأجب
اجابة الصديق	فرض على التحقيق
فان أجهت دعوتيه	فلا تهيج جفوتيه
ولا تزر بصاحب	أو احد الأقارب
اياك والتثقيلا	ولا تكن ثقيلا
لا تحتقر ما أحضرا	ولا تعب ما حضر (٣)

(١) الديوان ص ١١٣

(٢) الديوان ص ١١٤

(٣) الديوان نفس الصفحة .

وأحسب ابن مشرف في (ضيافة الاخوان) أتى على أهم ما يجب على المرء
المائل مضييفا وضيفا .

ثم نقف أمام فصل عقده ابن مشرف في (عيادة الاخوان) يقول :

عيادة الملييل	فرض على الخليل
فعد أخاك ان مرض	واعمل بحكم ما فرض
وسله عن أهواله	باللطف في سوء اله
وضع عليه يد كا	واعطف عليه جهدك
وادع له بالمافية	والصحة الموافية
واحذر من التطويل	وضجر الملييل (١)
الا اذا ما التمسنا	من نفسه أن تجلسا
والعود للعياده	بعد ثلاث عاده (٢)

واذا نظرنا الى أدب عيادة المريض نجد ان ابن مشرف ذكر أمورا في غاية
الأهمية والدقة قد لا يفتن اليها الكثيرون وهي التلطف في سوء اله
عن حاله فالمرضى أهوج ما يكون الى التلطف ثم القرب منه ووضع اليد
عليه وفي ذلك بالغ الحنو فعلاج الجسم لا بد ان يقترن بمراعاة
نفسية المريض ليثمر العلاج ، واذا كان الطبيب يعالج أدواء الجسم
فان الصديق يعالج أدواء الروح .

وقد أثنى المصطفى صلى الله عليه وسلم على عائذ المريض ، فقال :

(١) الديوان ص ١١٤

(٢) الديوان نفس الصفحة .

(من عاد مريضاً خاف في الرحمة حتى اذا قعد استقر فيها) (١)

ثم يوضح ابن مشرف أدب المريض بقوله :

وليترك الشكاية	وليكنم النكايه
من عائد وزائر	فعل الكريم الصابر
وليحمد الله على	بلائه بما ابتلى
ليحز الثواب	والأجر والصواب (٢)

أجل لا بد للمريض أن يكون صابراً على ابتلاء الله حامداً له راغباً في الثواب والأجر ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يبشر المريض بقوله : ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة يعرض مرضاً الا قضى الله به عنه من خطايا (٣)

ثم نجد فصلاً في (مكاتبة الاخوان) فصلة الصديق لا بد ان تظل وان تأت به الارض بل إن الوفاء على البعد بين الصديقين هو المقياس الصحيح لصدق المحبة .

قال ابن مشرف :

تواصل الأحياب	في البعد بالكتاب
فكتب الإخوان	ولا تكن خواناً
فترك المكاتبه	ضرب من المجانبه (٤)

(١) الادب المفرد ج ١ باب الحديث للمريض والعائد ص ٦١٥

(٢) الديوان ص ١١٥

(٣) الادب المفرد ج ١ باب يكتب للمريض ما كان يعمل وهو صحيح ص ٩٨٥

(٤) الديوان ص ١١٥

ومحمد أن عرض علينا الشاعر الإنسان في صورته المشرقة المثلى وقف أمام
الإنسان في صورته القاتمة ، انه الأحمق والبخيل والكذوب والشرير .

يقول ابن مشرف (في التحذير من صحبة الأحمق) :

لا تصحب الأحمقا	المائن الشمقا
عدو سوء عاقل	ولا صديق جاهل
يحب جهلا فعله	وأن تكون مثله
يستحسن القبيحا	و ييغض النصيحا
لا يحفظ الأسارا	ولا يخاف عارا
يمحب من غير عجب	يفغضب من غير غضب
كثيره وجيز	ليس له تميز
وربما اذا نظر	أراد نفعا فأضر (١)

وهي صورة صادقة عن الأحمق تدعو الى النفور من ذلك الإنسان الذي
تجر صداقته الضرر لمن يصاحبه ، فالأحمق وإن محضك المودة لا يؤمن
جانبه كما قال الشاعر " ليس له تميز " ولعل التمييز هو الحمـد
الفصل بين الحمق والعقل كما قال الشاعر فيهما :

ذو العقل يشقى في النميم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم (٢)

لم ينعم الجهول في الشقاوة الا لأنه فقد التمييز بين الأمور صوابها
وخطئها ونتاجها على المدى البعيد .

(١) الديوان ص ١١٥

(٢) ديوان المتنبي بشرح العكبري ج٤ ص ١٤٢ .

ويضرب لنا مثلا بحكاية الدب مع صديقه الانسان الذي أدركه فسي
صحراء موثقا فخلصه من قيده ، يقول الشاعر :

أبصر في صحراء	فسيحة الأرجاء
دبا عظيما موثقا	في سرحة معلقا
فأدركته الشفقة	عليه حتى أطلقه (١)

وجاء دور الدب ليرد للرجل يده التي أسداها حين أراد الدب أن
يذب الذبابة وقد وقعت على عينه ، يقول ابن مشرف :

فجاش غيظ الدب	وقال : لا ورب
لا أدع الذبابا	يسيمه عذابا
فأسرع الدبيبا	لصخرة قريبها
فقلها وأقبل	يسعى اليه فجلا
حتى اذا حاذاه	صك بها محذاه
ليقتل الذبابه	قتلا بلا ارباه
فرض منه الراسا	وفرقت الأخراسا
وأهلك الخليلا	بفعله الجميلا (٢)

هذا هو المحب الأحمق فما حال البغض ؟

وهو مصداق لما قيل (لكل داء دواء) يستطب به الا الحماقة أعيت من
يداويها .

(١) الديوان ص ١١٦

(٢) الديوان نفس الصفحة.

وقال ابن مشرف فيها :

وجاء في الصحيح	نقلا عن المسيح
عالجت كل ألمه	وأبرص مشوه
لكنني لم أطق	قط علاج الاُحمق (١)

ومن الصفات السلبية التي عقد الشاعر لها فصلا هي (التحذير من
صحبة البخيل) يقول الشاعر :

مودة البخيل	جهل بلا تأويل
يبخل ان جذب	ولا يجود بالقوى
يمنع ذا الوداد	موارد الامداد
ان رام منه قرضا	راى البعاد فرضا
يضن بالزهيد	في الزمن الشديد (٢)

ولو كان فعل البخيل قاصرا على ترك القرى لكان الامر ولكن البخيل
يتراجع عن قرض صديقه في الشدة فهب أن هذا الصديق طالب القرض
مريضا أو أسيرا قاب قوسين من الهلاك ثم لا يجد منه عونا .

ثم يضرب الشاعر مثلا (بهكاية مزيد وربرب المدينة)

ومزيد هو البخيل ، وربرب المدينة هي الفتاة التي أرادت ان تحتال
بجمالها على مزيد وتخرجه من جماعة البخلاء ، وهذا بعض ما جاء

(١) الديوان ص ١١٦

(٢) الديوان نفس الصفحة .

ما جاء في الحكاية :

فقلت الفتاة	الفادة الأناء
اني لكم كليله	لا أخذ بالهيله
حتى يحد بالذهب	ويستقل ما وهب
فقال مولا لها	أشهد أرباب النهي
لئن خدعت مزيدا	عن درهم لا أزيدي
لا نثرن الذهبا	عليك حتى يذهب (١)

وجاء مزيد ونعم مع القوم بالشراب وبالقرب من تلك الحسناء التي ارادت تنفيذ حيلتها ، قالت :

قلت له : ألا ترى	لزلة لن تغفرا
من هو لا القوم	في مثل هذا اليوم
يدعونني للطرب	وكلهم يأنس بي (٢)
ولم يكن منهم فتى	للبربي ملفتا
فيشتري ربحانا	بدرهم مجاننا
فها أنت درهما	وفقم تكرمنا
فقام عنها ووثب	وصاح يعدو من كآب (٣)

فضحك القوم من فعله ، يقول الشاعر :

-
- (١) الديوان ص ١١٧
 (٢) الديوان نفس الصفحة .
 (٣) الديوان نفس الصفحة .

فهذه الحكايات تكفيك في الهداية
عن صحبة البخيل ودائه الدخيل

بل ان البخيل مذمة ومنقصة تجرد المؤمن من كمال الايمان كما قال
الرسول صلى الله عليه وسلم (خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخيل
وسوء الخلق) (١)

ويتحدث ابن مشرف عن (صحبة الكذاب) يقول :

صحابة الكذاب	كلام مع السراب
يخلق ما يقول	معلومه مجهول
وفي كلام الأديبا	العلماء النجبا
لم ير في القرائح	وجملة الفضائح
كالكذب أو هي سببا	ولا أضل مذهبا
ولا أعز طائفا	ولا أذل صاحبها (٢)

ولا أدل على سخط الله من قول رسوله صلى الله عليه وسلم في شأن
الكذب : " . . . وان الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي
إلى النار ، وما يزال الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (٣)

(١) الأديب المفرد ج ١ (باب الشح) ص ٣٨٠

(٢) الديوان ص ١١٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ كتاب الأديب باب قوله تعالى (اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين وما ينهى عن الكذب) ص ٣٠

ثم يضرب مثلاً في رفض حديث الكذوب وهي :

(حكاية الفتى البغدادي مع الأمير المهلب) فقد رحل عن

أهله وماله ونزل البصرة فقال له من الفراق والوحدة ما جعله يلتصق
قرينا يذهب بعض ما به واتفق أن كان البحث عن نديم ينادم الأمير
المهلب ، فذهب إليه الفتى وعرفه بحقيقة أمره .

يقول ابن مشرف :

فقال : انت تصلح بل خير من يستلمح
لصحبة الأمير السيد الخطير (١)

ولكن هناك خصلة لا بد لك فيها من المسابرة والاحتمال وهي الكذب
فوافق الفتى البغدادي ولازم الأمير وما زال يصدقه في كل أقواله
ولكن حدث أن أخبره بحديث هو :

لي عادة مستحسنة	أفعلها كل سنة
أطبخ للحجاج	من لحم الدجاج
في فرد قدر نزل	يكفي الجميع أكلاً
فحار ذلك الفتى	من قوله وبهتاً
وقال : ليت شمري	ما قدر هذا القدر
هل هي بئرمزم	أم هي بحر القلزم
ففضب الأمير	وغازله التنكير
وقال : ردوا صلته	منه و قدوا حلتته (٢)

(١) الديوان ص ١١٨ .

(٢) الديوان ص ١١٩ .

لكن الفتى ندم لتكذيبه الأمير والتمس المذر لديه وأنه انما عرغ
له تكذيب الأمير لذهاب عقله بعقار شربه فقل الأمير عذره
وعاد الاثنان لسابق عهدهما من الود والملازمة . و

وتكرر كذب الأمير والفتى تارك لتكذيبه خشية إغضابه حتى حدثه
الأمير بخبر كلاب عبقر ولنستمع لابن مشرف مصورا الحوار بين الأمير
والفتى :

حتى جرى في خبر	ذكر كلاب عبقر
ووصفها بالصفير	وخلقها المحتقر
قال الأمير وابتكر	ليس العيان كالخبر
قد كان منذ مدة	لدى منها عدة
أضعها في مكحلة	للهمز والخزعة
وكان عندي مسخرة	أكل منها بصره (١)
فكانت الكلاب	في عينه تناب
وهي على مجونه	تنبح في جفونه (٢)

وكان الأمير مبلغ أقماه ، وبلغ الماء الزبى فكانت خاتمة الصفة بين
الأمير الكذوب والفتى النديم ، قال ابن مشرف :

فقام ذلك الفتى	يقول : لا عشت متى
صدقت هذا الكذبا	شاء الأمير أم أبى
ورد ما كساه	به وما حباه
وراح يخذو غاديا	من البلاد ناجيا (٣)

(١) الديوان ص ١١٩
(٢) الديوان نفس الصفحة .
(٣) الديوان نفس الصفحة .

وقد دلت هذه الحكاية على ضرورة مجانبة الكذب وترك صحبته فهي لا تعود بخير .

ثم يعقد ابن مشرف فصلا (في التحذير من صحبة الأشرار) يقول :

وصحبة الأشرار	أعظم في الأضرار
من خدعة الأعداء	ومن عضال الداء
يقبضون الحسناء	ورأيهم قول الخنا
شأنهم النميصة	والشيم الذميصة
إذا أردت تصنع	خييرا بشخص منعوا (١)

وماذا بعد استقبح الحسن وقول الخنا وقد عده الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات المنافية لكمال الإيمان فقال : " لا يكون المؤمن " وعده منهم " ولا الفاحش البذي " (٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف شرار أمته :

" ... أفلا أخبركم بشراركم " قالوا بلى قال :

" المشاءون بالنميصة ، المفسدون بين الأهبة الباغون
البراءة الحنت " (٣)

(١) الديوان ص ١١٩ - ١٢٠

(٢) الأءب المفرد ج١ باب العيآب ص ٤٢٤

(٣) المرجع السابق ج١ باب النام ص ٤١٨

بل هم مناعون للخير كما جاء في القرآن الكريم " هـما زشاء بنسيم مناع
للخير معتد أثيم^(١) " وهي نفس مانعة للخير في ذاتها وغيرها فهي لا تكفي
بالمنع بل يبلغ بها الشر فتضرب على الأيدي المصطاة ، وهذا هو
الشح الذي حذرنا منه الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول :

" ، ، ، ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قلبه و حملهم^{عليه} أن سفكوا
دماءهم واستحلوا محارمهم " (٢)

ولكي ينجوا الانسان من الاشرار ويكشف النقاب عما في ضمائرهم فان الشاعر
يضع له المنهج السليم :

يقول ابن مشرف :

ان شئت أن تصاحبها	من الأنام صاحبها
فابدأه بالمشاورة	في حالة المشاورة
من حالة تريد لها	أو حاجة تفيدها
فان أشار ناصحاً	بالخير كان صالحاً
فأوله الصداقة	ولا تخف شقاقه (٣)

فالمشورة بالخير تنبج عن نفس نقية محبة راشدة مرشدة له وهكذا
نرى ابن مشرف قد ختم أرجوزته الأخلاقية هذه بفصله الذي
حذر فيه من صحبة الأشرار بعد ان تحدث في فصول سابقة
له عن " الأحمق " ثم " البخيل " ثم " الكذاب " وكأن بعض هذه

(١) سورة القلم آية ١١-١٢
(٢) الألب المقدس ج ١ باب الظلم ظلمات ص ٥٥ - ٥٦٦

(٣) الديوان ص ١٢٠

الصفات أو كلها تفضى الى أن يصبح الانسان شريرا ، فمساره في
فصوله كان سليمان موفقا .

وهكذا رأينا ابن مشرف يدغم بعض فصول أرجوزته بالشعر القصصى
على لسان الحيوان ، وهو بهذا يعتبر رائده في الأدب المربى
الحديث قبل شوقي الذى رأى نور الحياة بعد وفاة ابن مشرف بعام فقد
توفي ابن مشرف سنة ١٢٨٠ هـ وولد شوقي سنة ١٢٨٦ هـ (١) .

ب - شعر الحكمة :

وهي أبيات متناثرة في ثنايا قصائده ، ولكنه الدرينبى عن نفسه
أيما حل وقد تعددت نظرات الشاعر في الحياة تبعا لتعدد جوانبها .
فهو ينظر الى احداث الأيام نظرة حزم وجلد :

لبست لها ثوب التجلد منشدا

اذا لم يسالك الزمان فحارب (٢)

وانطلاقا من تلك النظرة التي تطالب بالقوة في مواجهة الصعاب على
اختلافها :

فمن لم يكن عن غيه الوهى زاهرا

له كان في ماضي الحديد له زجر (٣)

وقوله أيضا :

لا تحسب المجد سهلا في تناوله

لولا المشقة كل للعلا نالا (٤)

(١) دراسات في الأدب العربى د / عمر الساسى ص ١١٦

(٢) الديوان ص ٤٥ (٣) الديوان ص ٦٧

(٤) الديوان ص ٨٤

نظرة الشاعر للإنسان والمال :

فلا ملك إلا بالرجال ، وإنما

يوه لفها بالمال من شأنه السدى (١)

من جاد ساد ومن شحت أناطه

بالبذل أمست له الأعوان خذالا (٢)

وتتردد في شعره دعوته إلى البذل لا مثلاك الطوب ، يقول :

فاجعل عطايك لا حرار الورى ثنا

تملك به مهجا منهم وأوصالا (٣)

ثنتان كتاهما للود جالبية

صبر جميل وكف يبذل المالا (٤)

(١) الديوان ص ٥٦

(٢) الديوان ص ٨٤

(٣) الديوان الصفحة السابقة

(٤) الديوان ص ٨٥ .

سمات وخصائص شجر الأُخلاق والحكمة

ادراك الشاعر لأهمية الخلق الفاضل في المجتمع وما ينبغي للنمو من أن يكون عليه من خلق كريم ، وقد وضع لنا في أرجوزته منهاجاً خلقياً متكاملًا جديرًا بالتطبيق وقد رأينا أكثره فيما عرضنا له من هذه الأُرجوزة .

إن أكثر معاني هذه الأُرجوزة مستوحى من الهدى النبوي الكريم
يتضح ذلك من قوله (فصل في الحث على اعانة الاخوان . .)
وهو مبدأ إسلامي عظيم أكدت السنة النبوية عليه ، يقول صلى الله عليه وسلم :
(. . . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (١)

وقال أيضا :

" ترى النمو منين في تراحمهم وتوادهم وتعالفهم كمثل الجسد الواحد
إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " (٢)

وهو في حكمه يسير وفق منهج الإسلام في الدعوة إلى القوة في الحق
والبذل في مرضاة الله تعالى .

(١) سنن الترمذى باب فيما جاء في الستر على المسلمين ج ٣ ص ٢١٩

(٢) صحيح البخارى ج ٨ كتاب الادب باب رحمة الناس والبهائم

سادساً : ... ، في مراثيته

تعودنا أن نسمع من شعرائنا بجانب فنون شعرهم المفرحة
فنا شجياً حزينا ينفسون به عن قلوبهم الحكومة فكان الرثاء ، ولكن هل
فقد الأُحبة كل شيء ؟ لا . ان فقد الوطن وخرابه وضياع العلم
واندثاره وفناء أهله لما يستحق الرثاء أيضاً ، ان لم يكن من بسبب
أولى ،

رثاؤه للأشخاص :

اذا استعرضنا ديوان ابن مشرف فإننا لا نجد فيه سوى قصيدة
واحدة رثى بها الامام فيصل بن تركي الذي عاصره الشاعر وشهد
فتوحاته وانتصاراته وكانت جل مدائحه له فقد مدحه بأكثر من ثلاثين
قصيدة .

ثم قصيدة أخرى في رثاء العالم الشيخ عبد العزيز بن حمد بن محمد
في غير الديوان (١) .

يقول ابن مشرف في رثاء فيصل :

على فيصل بحر الندى والمكـارم

بيگنا بدمع مثل صوب الفمائم

امام نفى أهل الضلالة والخنـا

بسم القنا والمرهفات الصـارم

فكم فل من جمع لهم جاء صائلا
وأقنى رؤوسا منها في الملا حـم
يجر عليهم جعفلا بعد جعفل
ويرميهم في حربه بالقواصم
فما زال هذا رأيه في جهادهم
تغير بنجد خيله والتهائم (١)

وفي رثائه لفیصل بن تركي نعیش فی نفس أجواء مدائحه له فهذه المراثية
تضمنت صفات مديح فهو بحر المكارم وصاحب القوة والبأس وهي
لا تخرج عما ألفناه في مدائحه ولا نجد عاطفة تصور الفجیعة التي
ألمت بالشاعر فانطلقت بها شاعريته .

يقول ابن مشرف :

وأخلى القرى من كل شرك وبدعة
وما زال ينهى عن ركوب المحارم
ويعطي جزيل المال محتقرا لله
سماحا ويعفو عن كثير الجرائم (٢)

ولا أرى في قول الشاعر " وما زال ينهى عن ركوب المحارم " ما راه أحمد
الباحثين فقد قال " ولنتجاوز عما في ركوب المحارم ، فان الشاعر لا يملك
في هذه القصيدة شيئا أحسن من هذا البيت الساقط . "

(١) الديوان ص ٩٩

(٢) الديوان ص ١٠٠

وهل هناك أهم من الزجر عن ارتكاب الحرمات ، وقد وردت
كلمة المحارم بمعنى الحرمات في حديث نبوي ، عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال (...) ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في
أرضه محارمه (...) (١) والشاعر كثيرا ما يفترق من معاني الكتاب
والسنة والفاظهما .

ومرثيته الأخرى في الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر (٢) :

أشمس الهدى غابت أم البدر آفل
أم النجم أمسى لونه وهو حائل
نعم أقلت شمس العلوم وبدرها
لدى غيبت هبر الزمان الجنادل
امام الهدى عبد العزيز بن ناصر
فكم نصر الاسلام منه رسائل (٣)

والشيخ ابن معمر حظي بمكانة عالية في عصره فلقد ناظر العلماء وردهم
لرأيه وألف الكتب القيمة ، وأوقف حياته للعلم والتعليم (٤) وهذا ما أشار
اليه ابن مشرف أيضا بقوله :

رشته علوم الدين أن غاب نجمه
فأنجمها تبكي عليه أوافل

(١) صحيح البخاري ج١ كتاب الايمان (باب فضل من استبرأ لدينه) ص ٢٠ .

(٢) سبق الترجمة له .

(٣) روضة الناظرين ج١ ص ٢٥٣ .

(٤) المرجع السابق ج١ ص ٢٥١ .

وظلت ربوع العلم تهتف باسمه
وتندبه للمشكلات مسائل
فمن بعده للمعضلات وحلها
وكانت له فيها تشد الرواحل
ومن للعدا يرمى بشبه علومه
ومن للهدى يحمي وعنه يناضل
فقد كان للاسلام حصنا ومفزعنا
إذا نزلت بالمسلمين النوازل (١)

ولو أنعمنا النظر في مرثيته للامام فيصل بن تركي وللشيخ ابن معمر
لوجدنا أن مرثيته للعالم فاقت الأخرى عاطفة ، فقله لابن معمر :
فقد كان للاسلام حصنا ومفزعنا
إذا نزلت بالمسلمين النوازل
لم نجد بيتا مثله في مرثيته للامام فيصل مع أنه يناسب مقام هذا
الحاكم الذي أشاد الشاعر بعبده وشجاعته وكرمه في مدائحه له وهي غاية
ما يطلب في الحاكم المسلم ، لكن العلماء ورثة الأنبياء وحسبهم ذلك .
رثاؤه للمعلم :

ونقف أمام رثائه للمعلم وبكائه على اندراسه وفناء أهله ، يقول :

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم
ولم يبق فينا منه روح ولا جسم

ولكن بقي رسم من العلم د ا رس
وعما قليل سوف ينطمس الرسم
وما الناس دون العلم الا بظلمة
من الجهل لا مصباح فيها ولا نجم
فليس بمقى العلم كثرة كتيبه
فماذا تفيد الكتب اذا فقد الفهم ؟
وما قبضه الا بموت وعاتيه
فقبضهم قبض له ، وبهم ينموا (١)
وفي معنى البيت الاخير ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قوله
فيما رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مرفوعا .
(ان الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء
فيرفع العلم معهم ويعقب في الناس رؤء ساء جهالا يفتونهم
بغير علم فيضلون ويضلون) .
وتضمنت مراثيه للعلم دعوة له ، يقول :
فجد وأد الجهد فيه فانسه
لصاحبه فخرونا خربه الفنم
فما ر على المرء الذى تم عقله
وقد أسلت فيه المروءة والحزم

(١) الديوان ص ٤٠

(٢) صحيح مسلم ج ٨ كتاب العلم (باب رفع العلم وقبضه وظهور
الجهل والفتن في آخر الزمان) ص ٦١

إذا قيل : ماذا أوجب الله يا فتى ؟
أجاب : بلا أدري ، وأنى لي العلم ؟
وأقبح من ذا لو أجاب سوء الله
بجهل ، فان الجهل سورده وخم
أيرضى بأن الجهل من بعض وصفه
ولو قيل : يا ذا الجهل فارقه العلم
ما العلم الا كالحياة اذا سمرت
بجسم حي والميت من فاته العلم (١)
بل إن الشاعر يرى أن على طالب العلم أن يهاجر في طلبه ويمضي العمر
في نيله فيقول :
فكن طالبا للعلم حق طلا به
مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأم
وهاجر له في أرض ولو نـأت
عليك فاعمال المطي له حـتم
فان نلته فليهنك العلم انـه
هو الغاية العليا واللذة الجسم (٢)
والعلم الذى يؤكده عليه الشاعر كما قال :
فدر حول قال الله قال رسوله
وأصحابه أيضا فهذا هو العلم (٣)

(١) الديوان ص ٤٠-٤١

(٢) الديوان ص ٤١

(٣) الديوان ص ٤٢

بل إنه ليقول في قصيدة ثانية يرثي فيها العلم أيضا ويبين غربة الدين
أكرم من ذلك :

فكل علم سوى القرآن زندقــــــــــــة

الا الحديث وفقه الدين فانتبه (١)

وأقول ان علوم الدين هي أعلى العلوم مرتبة وأكبرها نفعا ، ولكننا
لا نستطيع أن نغفل أهمية العلوم الأخرى من طب و هندسة وغيرهما
فالرسول صلى الله عليه وسلم حثنا على العلم النافع دون تخصص ، ومن
ذلك قوله :

(من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا ^{طرق} من الجنة
وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، وإن العالم لم
ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيثان في
جوف الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب . . .) (٢)

وهو يرجع غربة الدين الى الجهل الذي تغشى بين الناس ، يقول :

واغربة الدين فاعجب من تغربه

عند المصدق فضلا عن مكذبه

ألا ترى الجهل في الخافقين فشا

والعلم أغرب من عنقاء مغربه؟

(١) الديوان ص ٤٤

(٢) سنن أبي داود ج الثالث كتاب العلم (باب الحث على طلب العلم)

اعلامه درست في كل ناحيته

والبوم يصدق في أعلى مخربيه (١)

ومن ثم نراه في كلا مرثيته للعلم يتطرق لمسائل عقائدية من مثل قوله :

وكن تابعا خير القرون ممسكا

بآثارهم في الدين هذا هو الحزم

فأمن كإيمان الصحابة وأرضه

فمنها أجسمهم فيه السلامة والغنى

واياك أن تزور عنه إلى الهوى

ومحدث أمر ماله في الهدى سهم

فإيماننا قول وفعل ونية

فيزداد بالتقوى وينقصه الاثم

فتوء من أن الله لا رب غيره

له الملك في الدارين والأمر والحكم (٢)

وقوله في المرثية الثانية :

فإن أصل الهدى توحيد خالقنا

لا الاتحاد فبالغ في تجنبه

فإن الحلول ورأى الاتحاد هما

أصل الضلالة فكفر من يقول به (٣)

(١) الديوان ص ٤٤

(٢) الديوان ص ٤٢

(٣) الديوان ص ٤٤

رثاؤه للمدن :

وقد رثى ابن مشرف الدرعية عندما هدمت على يد القوات المصرية
بأمر من الدولة العثمانية سنة ١٢٣٣ هـ .

يقول :

الليل (١) غشى الدنيا أم الأفق مسود

أم الفتنة الظلما قد أقبلت تعدو ؟

أم السرج النجدية الزهر أطفئت

فأظلمت الاتفاق ان أظلمت نجد ؟

نعم كورت شمس الهدى ويدا الردى

وضمض ركن للهدى فهو منهـد

لدن بالسحباء خطب ، فأوحشت

مساكنها وازور عيش بها رغـد

تفرق أهلوها وسل على الهـدى

سيوف على هامات أنصاره تشـدو

فآه لها من وقعة طار ذكرهـا

وكادت تميد الراسيات وتنهـد (٢)

وماذا بعد مصاب السحباء الا وحشة المساكن وازورار العيش وتفرق
الأهل .

واذا قسنا شعره في الرثاء بما قاله في غرض آخر كالمديح أدركنا أن

(١) هكذا بالديوان والمصواب عروضيا (أليل)

(٢) الديوان ص ٥١-٥٢

الشاعر مقل في هذا الفن لكن هذه القلة لا ترجع الى كلال زنده كما
يبدو (١) بل الى مسار الشاعر الاسلامي في شعره ، فالاسلام كما
نعرف يرفض الجزع والتشكي عند المصيبة وشعر الرثاء أقرب ألوان
الشعر الى ذلك .

واذا عدنا الى الوراثة نجد الخنساء وهي الشاعرة الباكية المبكية
برثائها على أخويها تصمت حين يستشهد ابناؤها الا ربعة وقد
كانوا من جنود القادسية ، فلما بلغها الخبر قالت الحمد لله الذي
شرفني بقتلهم وأرجو ان يجمعني بهم في مستقر رحمته .

(١) الشعر في الجزيرة العربية ص ١٦٩ .

سعات الرثاء عند ابن مشرف

أول سمة تقابلنا في مراثيه أنها تفيض بروح اسلامية عميقة ، فهو فسي رثائه للعلم يرد تفشي الجهل الى ضياع الدين ، ويختم مرثيته بالتأكيد على جانب العقيدة وكأننا به يقول ان الانحراف العقائدي أدى الى ضياع الدين وعلومه +

ثم تأكيد الشاعر على العلم وهو مبدأ اسلامي عظيم أمر به الله تعالى في كتابه وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

بالرغم من ان ابن مشرف مقل في رثائه فإنه تطرق لـأنواع جيدة منه كـرثاء العلم وفي ذلك دلالة على وعي الشاعر لأهمية العلم الذي تقوم عليه حضارة الأمم ، فهو القائل :

ما العلم الا كالحياة اذا سـ

بجسم حي والميت من فاته العلم (١)

وان كانت نظرة الشاعر محدودة فهو يرى العلم في :

علم الكتاب وما سن الرسول لنا

قولا وفعلا فانهل صفو مشربـه (٢)

ثم رثاؤه للمدن وتفاعله مع أحداث بلاده وهذا ما تجلّى في رثائه للدرعية مهد الدعوة الإصلاحية التي أحييت دارس الدين واليقين ، وطهرته مما شابها من ادران الشرك والضلال .

(١) الديوان ص ٤١

(٢) الديوان ص ٤٤

سابعاً : في شعر الاخوانيات

نال هذا اللون من الشعر أهمية لدى الشعراء^١ الا حسائيين عامة ،
وابن مشرف كذلك ضرب فيه بسهم وان لم يكثر شأن غيره من
الا حسائيين . فمن ذلك هذه القصيدة التي بعث بها جوابا لكتاب ورد
عليه من بعض أصحابه .

بدأها بقوله :

أنظم قريض أم نفيس الجواهر
له نظمت بالفكر أيدي الخواطر
أم الروضة الغناء قد حاك وشيها
أنامل وسمي السحاب المياكر
أم الطرس يزهو بالبلاغة وسمه
يكا لها يبيض حبر المحابر
فأنبأنا من وجد صب أخى وفا
تذكر عهدا في السنين الفواير (١)

ويشير الى بعض المسمون الرسالة :

وأثنى على شيخ هدته علومه
الى نهج أرباب الحجا والبصائر
فأصبح في الاداب والعلم والنهـ
يتيمة دهر ، فهو احدى النوادر (٢)
ولعله يقصد بالشيخ (محمد بن عبد الوهاب) .

(١) الديوان ص ٧٣-٧٤

(٢) الديوان ص ٧٤ .

ويبدو أن هذه الرسالة كانت من أحد طلابه الأوفياء المحبين له وإلى ذلك يشير ابن مشرف بقوله :

بحيث وفي بالواجبات وما جفا

وهجران شيخ العلم إحدى الكبائر (١)

ونقف أمام ثاني اخوانياته وهي رد على معاتبة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ لا بن مشرف وكانت بينهما صداقة أكيدة ، وقد ضمن الشيخ عبد اللطيف الرسالة بيتا ينسب لضمرة بن ضمرة التميمي وهو قوله :

وإذا تكون كريهة أدعى لها

وإذا يهاش العيس يدعى جنـدب (٢)

ويورد ابن مشرف على معاتبة صديقه عبد اللطيف آل الشيخ بقوله :

الود أصدق والتوهم أكذب

فعلام تلحقنا الطلام وتمتـسـب

أتظن أنا قد حفوناكم فلا

أدري أظنك أم عتابك أعجب

الدين يأبى والمروءة والاخـا

ما قد ظننت ففرق ظنك خلـب

أتظن في أهل الحفيظة والنهـى

هجر الصديق بغير ذنب يوجب (٣)

(١) الديوان ص ٧٤

(٢) عقد الدرر ص ٧٩-٨٠

(٣) المرجع السابق ص ٨٠

ثم يمدحه وأسلا فه :

أولم تكن في الحلم طودا راسيا
والعلم بحرا طاميا لا ينضب
وأبوك حبر فاضل من علمه
تسرجى الهداية والمقال الا صوب
ان خاض في علم الحديث فمسلم
أو علم فقه قلت هذا أشهب
ولمن مضى منكم فضائل جملة
كدنا بها فوق المنابر نخطب (١)

ويرد على البيت الذى تمثل به الشيخ عبداللطيف :

واذا تكون كريهة أدعى لها
واذا يحاس الحيس يدعى جنود
بقوله :

فكلاهما تدعى اليه بحول من
وهب الجزيل ووعد لا يكذب (٢)

فالصدقة تستدعى المشاركة في التعماء والبأساء وان كانت الثانية
أدعى وأوجب عند أصحاب المروءات وما أقلهم عندها .

(١) عقد الدرر ص ٨١

(٢) المرجع السابق ص ٨٠-٨١

ولنا أن نضم الى اخوانياته هذه القصيدة التي رد بها على أبيات
الشاعر عبدالجليل التي بعث بها الى أمير الأُحساء آنذاك (أحمد بن
محمد السديري) سنة ١٢٦٧ هـ ويبدو أن بين الشاعر عبد الجليل
والأُمير السديري صداقة ومراسلات ، يقول الشاعر :

أتاني سلام ضاع بالند نشره
وفاحت به عطرا علينا المفاوز
به رد لي عصر الشبية والهوى
وما الشيب لي عن ذلك العهد حاجز
سلام كعقد الدر في جيد غداة
بضمن كتاب أبدعته الفرائز
كتاب به سر البلاغة واضح
وكل بليغ عن مجاريه عاجز
غدت نبلاء العصر مذعنة له
وما كل مقدم جرى يهـارز
ولله طرس قد أعاد لي الهوى
(١) وأبدى من الأَشواق ما أنا كائنـز

فعرضها الأُمير على ابن مشرف ، فاجاب عنها بقصيدة على نفس الروى
ومن بحرهما :

أنظم بديع هذبتة الفرائز
أم الدر من أصداف بحرك بارز

أمّ التّروض حاكت أدّمع المزن وشيه
فعطّر من ذاك النسيم المجاوز
أجال بميدان البلاغة خيلـــــــــــــــــه
فصار بها يدعى الكمي المناجز
لقد أحجمت فرسانها عن لقاءه
فكل بليغ عن مراميه عاجـــــــــــــــــز (١)

ثم يسيّته الشوق والحنين كما هو حال المحبين الاُصفيا* :
لئن بلغتنا عنك يا ابن طباطبا
نسيم الصّبا شوقا لحد يجاوز
فان بنا من لا عج الشوق فوق ما
بثت وأضماف الذى أنت كانـــــــــز
فان حكمت أيدي النوى بافتراقنا
وصار لنا من شقة البين حاجـــــــــز
فان لا رواح المحبين مجمـــــــــعا
وان بعدت بين الجسوم والمفاـــــــــز (٢)

(١) الديوان ص ٧٥ .

(٢) الديوان نفس الصفحة .

سمات الاخوانيات

يمثل شمر الاخوانيات جانبا من العلاقات الاجتماعية التي ينبغي أن تسود بين أفراد المجتمع لأنها من دواعي دوام المودة والتعاضد وهذا يتفق مع ما يريده الاسلام قرآنا وسنة لا بناءه .

نماذج الرسائل الاخوانية^{التي} عرضنا لها عند ابن مشرف تشير الى روح الوفاء بين الإخوان عالمنا وشملنا أميرا وفردا من أفراد الرعيـة ، كما رأينا مع تلميذه والشاعر عبد الجليل البصري مع أمير الأحساء .

ونلاحظ على رد ابن مشرف في اخوانيـاته أنه كان يلتزم نفس البحر والقافية في القصيدة المرسلة اليه فقد رأينا ذلك جليا في رده على معاتبة صديقه الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ القافية هي القافية البائية والقصيدتان من بحر الكامل . كما رأينا أيضا في رده على عبد الجليل البصري والشمر من بحر الطويل في كلا القصيدتين .

ثامنا : ... في منظوماته التاريخية

دأب الانسان وحرصه على دراسة تاريخ الأمم عامة وامته خاصة
مقياس صادق لوعيه ونضجه ، لأن الناظر ذا البصيرة ينظر فـي
سير الرجال وجلائل الاعمال فيكون لها في ذاته أثر ينعكس على
سلوكه ، ثم لا بد هو ناظر أيضا في عثاها فمجتنبه . وكفى بالتاريخ
مفخرة بعد هذا ...

انطلاقا من هذا المفهوم للأحداث التاريخية وأهميتها فاننا نجد
الشاعر ابن مشرف يسلك في ديوانه هذا المسلك بأن ينظم في سيرة
الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه رضوان الله عليهم ثم الدول الاسلامية
التي تلت عصر النبوة والخلفاء الراشدين .

يقول ابن مشرف مؤرخا لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :

قد كان مولد خير الخلق أرخه
على الأصح بعام الفيل من عرفا
وذاك بعد ألف سدست ولها
قاف وسين و دال بعدها ردفا
من حين أهبط مولانا خليفة
للأرض مستخلفا بالذنب معترفا
وحين كمل سن الأربعين أتى
إليه بالوحي روح الله واختلفا
إليه بضعة عشر قبل هجرتـه
من مكة ثم عشر بعد هن وفـا

ومات في طيبة في شهر مولده
في حادى العشر للجنات قد زلفا
فوامصيبة أهل الأرض أجمعهم
بفقدته حين واروه ، ويا اسفلا (١)

هذه الأبيات تضمنت سيرة بل هي اشارات لسيرة عطرة هي أعظم
سيرة لا أعظم رجل عرفته البشرية في تاريخها الطويل .
ولو تتبعنا تأريخ الشاعر لهذه السيرة لرأينا أنه بدأ بمولده صلى الله
عليه وسلم فأرخ له ، ثم أشار الى بدء رسالته ثم هجرته بعد مبعثه
ببضعة عشر سنة ، ثم وفاته في السنة العاشرة في شهر مولده ، فالشاعر
أتى بالأحداث وفق ترتيبها الزمني ولم يله رأى أن نظم
هذه الاشارات التاريخية للسيرة النبوية شعرا أدعى الى حفظها .

ثم يعقد ابن مشرف فصلا في الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ، والشاعر
لا يقف أمام كل أحداث هذه الفترة وليس ذلك بمستطاع اذا أراد
الشاعر الإيجاز ، ولكنه يقف أمام أحداث لامعة في جبين التاريخ
الاسلامي فحين يقف أمام الخليفة الراشد الأول ، يقول :

وقام من بعده الصديق مقديا
بهديه تابعا للحق ان خلفا
ما هاله ذلك الخطب الذى عظمت
فيه الخروق ولم يوهن وما ضعفنا

سل الحسام على من زاغ حين أبوا
عن الزكاة وللخرق العظيم رفا
حتى استقام به دين الهدى وسما
ورد من كان مرتدا ومنحرفا (١)

هي حروب الردة أعظم حدث في فترة خلاف الصديق رضي الله عنه
ثم تقلد الأُمير عمر الفاروق ، يقول ابن مشرف :

أعني به عمر الفاروق من فتحت
به الفتوح وعز الدين وانتصفا
بعد له ضرب الأُمثال ساكنها
ورأيه وافق التنزيل ان وصفا
وهو الذي سلب الأُملاك ملكهم
أباد كسرى وأجلى قيصر ونفا (٢)

ويقف الشاعر أيضا أمام مواقف مضيئة في خلافة الفاروق ، ففي خلافته
كان القضاء على ملك الفرس والروم ، فالخليفة عمر رضي الله عنه كان العادل
الفاتح الملمهم من ربه وتلك هبات من الله تعالى لا تجتمع كهن على
هذا النحو الا لآحاد الناس .

ثم تجيء خلافة ذى النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يقول
ابن مشرف :

(١) الديوان ص ٧٧ - ٧٨
(٢) الديوان ص ٧٨ .

ثم الخليفة عثمان ومقتله
في عام ويك بلا ذنب له اقترفا
أضحى قتلا بأيدي عصابة خرجت
عن الهدى وأتوا من أمرهم سرفا
ذو الهجرتين وذو النورين محتسبا
كف القتال ولو سل الحسام شفا (١)

وعن علي رضي الله عنه يقول :
أما علي فلا تحصي مناقبه
كأنها الشمس ان تبدو بغير خفا
زوج البتول ابن عم المصطفى أسد
يوم الهياج ، فكم من مشكل كشف (٢)

ثم يختم ابن مشرف فصله عن الخلفاء الراشدين بقوله :
فخذهم خلفاء الرشداً ريممة
من يقف هديهم هدى النبي قفا (٣)

ثم يعقد فصلا في التاريخ لخلفاء بني أمية ، يقول :
بنو أمية أملاك غطارفمة
هازوا الخلافة بمد السادة الخلفا

-
- (١) الديوان ص ٢٨٨
(٢) الديوان الصفحة السابقة .
(٣) الديوان الصفحة السابقة .

منهم معاوية صهر النبي و ———

(١) قد كان بالحلم والانصاف متصفًا

ثم ابنه بعده أعني يزيد ، وذا

جان على نفسه لما بغى سرفًا

ثم ابنه واسمه أيضًا معاوية

فلم يرم أن تولى إثره وقفًا (٢)

فالشاعر كما نرى يشير الى مناقب الفضلاء منهم كمعاوية بن أبي سفيان لكن خلفه وابنه يزيد جانب الحق وأسرف ، ثم تلاه ابنه معاوية الثاني . فاحسان البعض منهم ينبغى أن لا يحملنا على الاغضاء عن مسرفهم وهذا هو النهج القويم .

ثم تنتقل الخلافة من فرع أمية الى " مروان " يقول الشاعر :

حتى احتوى الملك مروان وورثه

لنسله بعده حتى بهم عرفنا

عبد الملك (٣) وابناء له غ———— رر

في المد أربعة قد أحرزوا الشرفا

هم الوليد سليمان يزيد و ———

يدعى هشام وكل حين ساس كفا (٤)

(١) الديوان ص ٧٨ .

(٢) الديوان ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) في الأصل عبد الملك وصوابها عبد الملك لا قامة الوزن .

(٤) الديوان ص ٧٩ .

ثم يقف أمام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وقفة طويلة ، يقول :

لكن سليمان أفضاها الى عمر
أكرم به من إمام تابع السلفا
أحيا سبيل الهدى من بعد ما درست
وأظهر العدل وقت الجور حين عفا
وطهر الأرض من ظلم الولاة بها
حتى اذا مات لم ندرك له خلفا (١)

ولئن أكرمنا المدالة في عمر الفاروق فلا يسعنا أيضا الا أن نكبره
في عمر بن عبد العزيز ، حسبه أن جاء في وقت عم فيه الجور والفساد ،
فأظهر العدل وأحيا السنة وأمن العباد ، ومن ثم كان يلقب بالخليفة
العادل ويعتبره المؤمنون خاص الخلفاء الراشدين .
ثم جاء الوليد بن يزيد وأبناؤه يزيد و ابراهيم ثم تلاهم مروان الحمار ،
يقول ابن مشرف :

وابن يزيد وليدا وهو أفسق من
قد قلد الأمر منهم بئس ما اقترفا
وانكر يزيد و ابراهيم قل وهم
ابناء الوليد ومروان الحمار قفا (٢)
أولئك خلفاء بني أمية كما ذكرهم الشاعر ووقف أمام سيرهم باشعارات

(١) الديوان ص ٧٩
(٢) الديوان نفس الصفحة .

سريعة أعطتنا العبرة المرجوة من ذكر أولئك الرجال ، فمعاوية حليم عادل وتلك خلطان مطلوبة في الموضع من لا سيما وهو الخليفة ، يزيد أسرف وتجاوز ، وتاريخ الأمم كما هو معروف لا يخلو من صفحات سوداء ولولاها لما تميزت بيض صفحاته فبضدها الأشياء تعرف .

أما عبد الملك بن مروان وابناؤه الوليد ويزيد وهشام وسليمان وكلهم كان له وعليه ، أحسنوا وأساءوا ، وأي الرجال المهذب . والى آخرهم قد أشار الشاعر بقوله " مروان الحمار " . وهو لقب عرف به مروان بن محمد لأنه أشبهه في الصبر والجلد والتحمل فقد تحمل من أعباء الملك ما تنوء به الجبال .

لكن البيت الأرمي عصفت به رياح الفتن والاضطراب فصار الأرمي بني المباس ، قال الشاعر :

ثم اقتفتهم بنو المباس تضربهم

بالمشرفية ضربا مسرفا عنفا

حتى احتوى ابن علي كلما ادخروا

من الكنوز وحاز الملك والتحف

وقام جد بني المباس حين بدا

من سعدهم طالع لا يمتريه خفا . .

ويشير إلى هلفائهم بقوله :

سفاح منصور مهدي وهاديهم

هارون وهو رشيد ليس فيه خفا

و قتلوا وعثوا بالسبى وانتهبوا
كل النفائس ، يا لهفا ويا أسفا
وأودعوا الكتب والقرآن دجلتها
حتى جرى ماو*ها بالحبر حين طفا (١)

لكن دولة الكفر وان علت صروحها لا بد أن تحطمها معاول الايمان
، فكان الخلاص منهم على يد الماليك حكام مصر :

حتى اذا هب من مصر نسيم الصبا
بالنصر للدين مع سلطانها عصفها
فمزق الله أجناد التتار بـ
حتى أبعدوا وعاد الدين منتصفا (٢)

وهكذا ابن مشرف في كل منظوماته التاريخية يقف أمام بعض الأحداث
الهامة التي ألمت بالمسلمين ، فتلك فتنة الردة في عهد المديق التي
أخمدتها سيوف الايمان ، ثم في عهد الخليفة العباسي المستعصم هذا
الهجوم القترى الثالث حدثان استهدفا النيل من الدين والعلم بل القضاء
عليهما وأنى لهما ذلك " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله
متم نوره ولو كره الكافرون " (٣)

(١) الديوان ص ٨٠
(٢) الديوان نفس الصفحة
(٣) سورة الصف الآية ٨٠

سمات منظوماته التاريخية

لابن مشرف في منظوماته التاريخية للرسول صلى الله عليه وسلم ولخلفائه من بعده ، ثم الدولة الأموية والعباسية منهج علمي موضوعي في التقييم فهو لم يغفل جوانب الخير ولم يتفاض عن جوانب الشرر كما رأينا في تاريخه للأعلام ، وهذا يتفق وتعاليم الاسلام التي تدعو الى الحق والصدق في كل أمر .

وكان يهدف من تلك المنظومات الى اعطاء صورة صادقة عن سجايا أولئك الأعلام في عصور الاسلام السابقة للأسوة والمعبرة .

ونلاحظ على هذه المنظومات الایجاز فقد استغرق حديثه عن العصر الاسلامي الأول ثم العصر الأموي والعباسي أربع صفحات ، حاول فيها أن يقف أمام أبرز الأحداث في تلك العصور ، واتبع في كل هذه المنظومات بحرا واحدا وهو البسيط الذي يتسع لهذا التاريخ .

تاسما : في زهدياتـــــــــــــــــه

والشاعر ينظر الى تقلب الدنيا وتبدلها فينأى عنها ويحذر منها
استمع اليه في قوله :

واياك والدنيا الدنية انــــــــــــــــها
هي السحر في تخيله وافترائه
متاع غرور لا يدوم سرورهــــــــــــــــا
وأضغاث حلم خادع بيهائه
فمن أكرمت يوما أهانت له غدا
ومن أضحكت قد آذنت ببكائه
ومن تسقه كأسا من الشهد غدوة
تجرعه كأس الردى في مسائه (١)
وهذا المعنى نجده في تصديره وتعجيزه لايات بعض الشافعية
المصريين يقول :

يأتي على الانسان اصباح وامساء
وحبنا هذه الدنيا هو الــــــــــــــــاء
كم أيقظت بصروف من حوادثهــــــــــــــــا
ولكنا لصروف الدهر نــــــــــــــــاء
تحضي الملوك ومصر في تقلبهاــــــــــــــــا
كأنها كاعب في الخدر حسناــــــــــــــــا

فانها بعد ما بادوا بها وفسوا

مصر على العهد والا حساء أحساء (١)

ويحذر أيضا من لذاتها الزائلة :

فلذاتها مسمومة ووعد هـ

سراب فما الظامي يروى من عنائه

ومن يك جمع المال مبلغ علمه

فما قلبه الا مريضا بدائه

فدعها فان الزهد فيها محتسب

وان لم يقم جل الورى بأدائه (٢)

وفي دعوته الى الاشتغال بالعلم دون سواه من هطام الدنيا :

يقول :

فيا رافع الدنيا على العلم غفلة

حكمت فلم تنصف ولم يصب الحكم

أترفع دنيا لا تساوى بأسرها

جناح بعوض عند ذى العرش يا قدم

وتوثر أصناف العظام على الذى

به المز فى الدارين والملك والحكم (٣)

(١) الديوان ص ٤٠ .

(٢) الديوان ص ٣٩ .

(٣) الديوان ص ٤١ .

ولا بد من ذكر الموت والتأهب له ؛

ولا تنس ذكر الموت فالموت غائب

ولا بد يوما للفتى من لقاءه

قضى الله مولانا على الخلق بالفناء

ولا بد فيهم من نفوذ قضائه

فخذ أهبة للموت من عهـل التقى

لتغنى وقت العمر قبل انقضائه

واياك والآمال فالعمر ينقض

وأسابيها مدودة من وراءه (١)

خصائص شعره في الزهد

نظرته الى الزهد مستمدة من الهدى القرآني الكريم فقد أشار الله تعالى الى أن مصير الحياة الزوال ، قال تعالى :

(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (١)

ولذا كان لزاما على المؤمن من التزود من العمل الصالح ، يقول ابن مشرف :

فخذ أهبة للموت من عمل التقوى

لتغنم وقت العمر قبل انقضاءه (٢)

مصادقا لقوله تعالى :

(وتزودوا فان خير الزاد التقوى) (٣)

وقد ورد شعر الزهد في ديوانه مستقلا كما في فصله في ذم الدنيا ، وفي تصديره وتمجيذه لهزيمة بعض الشافعية ، وورد أيضا في ثنايا رثائه للعلم (٤) .

وفي دعوته الى الزهد يسير سيرا منطقيا سليدا ، فهو يبدأ بوصف ثقل الدنيا وتبدل حالها ثم التحذير من لذاتها الزائلة ثم التأهب والاستعداد للموت بالعمل الصالح .

(١) سورة الرحمن آية ٢٦

(٢) الديوان ص ٣٩ .

(٣) سورة البقرة آية ١٩٧ .

(٤) الديوان ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

وهذا ما كان عليه السلف الصالح ، يقول الامام علي رضي الله عنه
مخاطبا الدنيا :

(يا دنيا غري غيري ألي تعرضت ، أم ألي تشوقت هيهات
هيهات ! قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير
وخطرك حقيق ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة
الطريق !) (١)

(١) الأُمالي لأبي علي القالي ج ٢ ص ١٤٧ .

عاشرا : ... في فن الفـزل

حفلت دواوين الشعر العربي على مر العصور بأروع قصائد الفـزل وأرقها ، تلك القصائد التي تجلت فيها العواطف المشبوبة والتي تهز المشاعر ، وتطرب لها الأذان .

وانا وقفنا أمام شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث نجد أنهم أمام هذا الفن الشعري الأصيل بين عاملين قويين متضادين هما :

- ١ — طبيعة الدعوة التي لا تحتمل التفرد لمثل هذا الغرض الطروب .
- ٢ — طبيعة الشعر والشعراء التي تميل الى كل ما يهز النفس ويضطرب القلب ويفسح مجال الخيال .

ولقد وجد شعراء الدعوة في ما سنه لهم حسان بن ثابت وكعب بن زهير رضي الله عنهما في صدر الاسلام من افتتاح مدائحهما للرسول صلى الله عليه وسلم بالفـزل ، في مثل قوليهما (٢) .

يقول حسان بن ثابت :

تبلى فؤادك في المنام خريـدة

تسقي الضجيع ببارد بسام (٢)

(١) الأديب الحديث ص ٢٨-٢٩

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الاثـنـاري لعبد الرحمن البرقوقي ص ٤١٨ .

وقال كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم اثرها لم يفد مكبول (١)

واذا عرضنا لشاركتهم في هذا الفن في مطالع قصائدهم عند أحمد شعراء الدعوة في العصر الحديث وهو الشاعر الأحمسي أحمد بن مشرف فاننا نراه يفتح قصائده بما يعجب ويطرب ويروق كما في مدائحه وأهاجيه في شعره السياسي ، يقول في مطلع مدحته للرسول صلى الله عليه وسلم :

بات ساهي الطرف والشوق يلح

ولبحر الدمع من عينيه سفح

ليته أطفأ نيران الهوى

حين آذى مهجتي منهن لفح

عاذلي بالله كن لي غادرا

ليس من يشرب خمر الحب يصح (٢)

كيف أسلو والهوى مستحكـم

أنحل الجسم وفي الأحشاء جرح ؟

واذا لم تدر ما سر امرى

فانظر الحال ففي الأحوال شرح (٣)

(١) قصيدة البردة لكعب بن زهير/ أبي البركات ابن الأنباري .

(٢) كذا في الديوان والصواب يصحو

(٣) الديوان ص ٤٩٠

ونجد شعره السياسي ايضا مفتتها بالفول فيقول :

أتنكر رسم الدار أم أنت تمسرف
لدتقمت بالاً طلال والعين تذرف
ديار لسلمى قد محارسمها البلا
وغيرها وبل من المزن ينطف
كأن لم تكن مغني لبيض أو انسس
بهن غزال أهور الطرف أهيف (١)

ويقول في مطلع قصيدة قالها يشكو جور عمال الامام فيصل على الاحساء
سنة ١٢٧٨ هـ :

أسلو و قلبي للفرام غريــــــــم
وجسمي كطرف الخانيات سقيم؟
ولي مقلة لا يقطع العذل دمها
وقلب اذا جن الدجاء يهيم
أبيت أراعي انجم الليل ساهدا
كأنني اذا جن الظلام سقيم
وأصبوا الى ريم الصبا كلما صبت
وجاد بأنفاس الحبيب نسيم
ولو عا بسلمى حين شط مزارها
وحالت وعور دونها وحزوم (٢)

(١) الديوان ص ٨١

(٢) الديوان ص ٩٣

هذا . ولم تخل بعض أهاجيه أيضا من تلك الديباجة الغزلية ،
شأنه في ذلك شأنه في شعره السياسي ، وهما غرضان جادان ومع
ذلك فالشاعر يبدأهما بفزل رقيق ، يقول :

يا ظبية البان ، بل يا ظبية الدور
هل أنت من نسل هوا أو من الحور ؟
الصبح من وجهك الأُسنى الصبح بدا
والشعر داج بظلما* وديجور
مددت للصب طرفا قاصرا فلماذا
قد هام ما بين معدود ومقصور
كم وأعدت بمزار غير موفية
والخلف للوعد معدود من الزور
فقلت وجدا بها : ان كنت كاذبة
عليك آثام عثمان بن منصور (١)

ويقول في مطلع أهجية أخرى :

أراك بشكوى الهجر تهذو وتطنب
وتبكي على أطلال سلمى وتندب
وتستوقف الركب المجدين في السرى
على فارس الاطلال والدمع يسكب
تذكرت لما أن أهاج لك الأُسى
ديارا تعفيها جنوب وهيئدب

فأضحت رسوماً باليات كأنها

من الدرس خط في الصحائف يكتب

لئن كنت في دار عن الألف نازحاً

غريباً فدين الله في الأَرْض أغرب (١)

ونلاحظ في غزل ابن مشرف أنه مستمد من أدب التراث فمحبوبته تحمل
أوصاف محبوبة طرفة بن العبد وكعب بن زهير مثلاً فوجهها صبح
وشعرها ليل في مثل قوله :

الصبح من وجهك الأُسنى الصبح بدا

والشعر داج بظلماء وديجور (٢)

وفي مطلع غزلي آخر يقول :

نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها

بصبح جمال تحت ليل الذوائب (٣)

وفي ثالثة يقول :

شعرها ليل وصبح وجهها

فتعجب من دجاء معه صبح (٤)

(١) الديوان ص ٣٢ .

(٢) الديوان ص ٣١ .

(٣) الديوان ص ٤٧ .

(٤) الديوان ص ٤٩ .

وهذا التكرار لصورة واحدة في ثلاثة مواضع دليل على التقليد ومحاكاة
الأقدمين حتى لكان هذه الأوصاف قوالب للشاعر أن يكررها دون أن
يجد في ذلك غضاظة . وهكذا في كل أوصاف المحبوبة وجهها كالشمس
وكالبدر وقدها كقضيبي البان في مثل قوله :

فتاة كأن الشمس غرة وجهها _____

ومن شعرها يبدو لك الليل أسود (١)

ويقول أيضا في المحبوبة :

وقد يقدر العاشقين قوامه _____

كمثل قضيبي البان بالريح يعطف (٢)

ونرى اسم سلمى محبوبة الشاعر تتكرر في أغلب قصائده ومن ذلك قوله :

علام تلوم في سلمى علا _____

وقد شغف الفؤاد بها وهامها

وتكسر في الهوى العذرى عذلي

ولو أنصفت لم تبد الملا _____ (٣)

وهي أيضا في قوله :

ولو عا بسلمى حين شط مزارها _____

وحالت وعور دونها وحزوم (٤)

(١) الديوان ص ٥٣ .

(٢) الديوان ص ٨١ .

(٣) الديوان ص ٩٢ .

(٤) الديوان ص ٩٣ .

وفي قوله :

وجدا بسلمى حين شطت بها

مسافة البعد وعز المرام (١)

ومن القصائد التي بدأها متغزلا بغير (سلمى) قوله :

على الدوح قد غنى الحمام وغردا

فجاويه السدم الممنى واسعد

وذكرني دارلية قد نأت

فبت لذكرها بليلة * أرمدا (٢)

وقوله :

بشير سعاد جا* نحوك فأسعد

وقد وعدت وصلا فأوفت بموعد

لقد عرفت وقت المزار فأقبلت

اليك وقد نامت عيون لحسد (٣)

ومن خلال مقدمات الشاعر الفزلية نرى بيئة الشاعر وما فيها من خيام وأنعام
ومروج ، وصبا .

يقول ابن مشرف :

فلم يهق إلا موقد النار للقرى

وموضع أطناب الخباء حين يضرب

(١) الديوان ص ٩٧ .

(٢) الديوان ص ٥٣ .

(٣) الديوان ص ٦٠ ، ٦١ .

كأن لم يكن فيها أنيس ولم تكن
بها الكاعب الحسناء للذيل تسحب
ولم تسرح الأنعام بين مروجهم
ولم يلتق الحيان : بكر وتغلب (١)

ويقول أيضا يصف برقها وصباها وخيامها :
فمن لفتى اذا ما شام برقها
تألق هجمة هجر الصاما
وان هبت صبا من أرض نجد
بصرف الشيخ منها والخزامى
تذكرني الخيام بأرض نجد
و قلبي عند من سكن الخيام (٢)

ويطلب من محبوبته في مقدمة غزلية أخرى أن تدعو لأرضه بالسقيما
يقول :

لكن سلى الله مغيث السورى
أن يحيى الأرض بويل الفمام
فتسرح الأنعام في نبتهم
ويبعث الوالي بجيش لهم
فيه جياذ الخيل مجنوننة
من كل قبا الجمت باللجام (٣)

(١) الديوان ص ٣٢ .

(٢) الديوان ص ٩٢ .

(٣) الديوان ص ٩٧ .

ونجد ذكرا لعادة من عادات العرب التي عرفوا بها من خلال وصف
جميل لمحبوته وهي ترفل في زينتها ، يقول :

لقد عرفت وقت المزار فأقبلت

اليك وقد نامت عيون لحسد

فجاءت تجر الذيل خشية قائف

لمعرفة الأثر بالحدس يهتدي

يورج ترب الأثر عرف عبيرها

ويهدى لسمع الصب وسواس عسجد (١)

ولكن ابن مشرف بعد هذه المطالع الغزلية ينفي عن نفسه أن يكون متغزلا
، يقول :

بدا من أديب لم يقل متغزلا

"عيون المها بين الرصانة والجسر" (٢)

ولعله لم ير ذلك غزلا لأنه جرى فيه مجرى الشعراء السابقين (٣)

وهو المعروف ب (الغزل التقليدي)

(ويعد) فما ظبية البان أو ظبية الدور ، وما سعاد وسلمى التي ملكت

عليه شاعره وهام بها شوقا إلا الدعوة التي نبتت في نجد وترعرعت كما

يقولون (٤) ، وليس ذلك ببعيد .

(١) الديوان ص ٦١ .

(٢) الديوان ص ٣٠ .

(٣) الأديب الحديث في نجد ص ٢٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٩ .

خصائص شعرا بن مشرف
في الغزل

أول ما يقابلنا من خصائص غزله ووضوح الروح الإسلامية فيه فلا نرى له
غزلا فاحشا مبتذلا يخرج عن نطاق ما ألفناه عند شعراء الدعوة الإسلامية
بدءاً من عصر صدر الإسلام إلى وقتنا الحاضر .

وتتردد فيه ألفاظ إسلامية في مثل قوله في وصف المحبوبة :

سبحان من وهب الحاسن من يشا

سبحانه من خالق ومصور (١)

ويقول أيضا مخاطباً محبوبته :

اتحسبن الجبن من طبعه

لا والذي يحيي يحيى رميم العظام

لكن سلى الله مغيث الـورى

أن يحيي الأرض بوبل الفمام (٢)

ويقول طالبا المذر :

عاذلي بالله كن لي عاذرا

ليس من يشرب خمر الحب يصح (٣)

(١) الديوان ص ٧٠ .

(٢) الديوان ص ٩٧ .

(٣) كذا بالديوان والصواب يصحو ص ٤٩ .

ابتدأوا هـ لا هاجيه بالفضل وهو كما أسلفنا في شعر الهجاء ليس
جديدا في الشعر العربي ، فالفضل عند الشاعر تقليد محض وقوالسب
يضمها الشاعر يستهوى بها الأئمة ويستميل أذهان القارئين
ولا أكر من ذلك.

ومن غزله في مطالع أهاجيه :

يا ظبية البان بل يا ظبية الدور

هل أنت من نسل حوا أو من الحور (١)

خصائص شعره الفنية

المضمون :

إذا استعرضنا شعر ابن مشرف فأننا نجد به يتسم بوضوح الفكرة من ذلك قوله للامام فيصل بن تركي :

ما تجرد الصمام ذوهممة
عند اعوجاج الأمر الاستقام
فشب وثوب الليث نحو المـ
وبادر الخصم بسل الحسام
وجاز ذا الحسنى باحسانه
ولاسق الأعادي من كؤوس الحمام
وحكم السيف بمن قد عتـ
ينقاد للحق ألد الخصام (١)

فهذه المعاني كما نرى تخلو من التعقيد والالتواء .

الصور الفنية في شعره :

اعتمد الشاعر في إبراز معانيه على بعض التشبيهات المحكمة والاستعارات الرائعة من مثل قوله في وصف مدوحه بالكـرم

والشجاعة :

هو الفيث يحيا المستنون بخصبه (١)

هو الليث في الهيجاء بين المقانب (٢)

فقد شبهه بغيث يحيي الأُرى الموات ، وتخيله أسدا ضاربا يفترس
الأعداء .

وقوله :

ولا تستطب ظلا سوى ظل قسطل (٣)

وظل القنا الخطي بين الكناشب (٤)

وقوله :

الليل غشى الدنيا أم الأفق مسود (٥)

أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو

أم السرج النجدية الزهر أطفئت

فأظلمت الأفاق ان أظلمت نجد (٦)

-
- (١) المستنون : المحدثون ، أى أصابتهم السنة وهي القحط والجذب .
(لسان العرب مادة (س ن ت)) .
(٢) الديوان . المقانب : جمع مقنب ، وهي جماعة الخيل والفرسان
(لسان العرب مادة (ق ن ب)) .
(٣) القسطل : الغبار الساطع (لسان العرب مادة (ق س ط ل)) .
(٤) الديوان ص ٤٨ .
(٥) كذا بالأصل والصواب عروضيا (أيل)
(٦) الديوان ص ٥١ .

الصياغة :

عبر ابن مشرف عن معانيه الشعرية بالفاظ سهلة الا في وصفه للمشارك والحروب الذي لم يخل أحيانا من الغريب فضلا عن جزالة اللفاظ ورنينها وقوة موسيقاها كما في قوله :

وجرّ عليهم جحفا بعد جحفا

وضيق عليهم أرضهم بالمقائب (١)

وقوله :

وما زال يفتزّوهم ويرمي ديارهم

بفرسان حرب في الدلاص المسرد (٢)

وتهزم فيهم عسكريا بعد عسكري

ويضرب من هاماتهم كل قعده (٣)

(٤)
وقوله :

فغادر قلتي يحصب الطير حولها

(٥)
وترتادها عقابه وقشائمه

وهذه — كما نرى — الفاظ ضخمة تملأ الفم ، وتقرع الأذن ويتردد صداها في القلوب والأذهان نلمس في كثير من مدائحه وسياساته مثل هذه القوة والجزالة كما في قوله :

(١) الديوان ص ٤٨

(٢) الدلاص : اللين البراق الالمس ومنه درع دلاص (لسان العرب مادة دل ص) المسرد : من سرد الشيء اذا ثقبه وهو تداخل الحلق ببعضها في بعض المرجع السابق مادة (سرد) .

(٣) الديوان ص ٦٣ (٤) الديوان ص ٩٦

(٥) المقبان : مفردا العقاب وهو طائر من المتاق (لسان العرب مادة عقب) قشاعمه : مفردا قشعهم وهو النسر الضخم (المرجع السابق مادة قشعهم) .

إذا بعث الجيش اللّهام إلى الصّدا

تلتة سراحين الفلا وحوائمه (١)

فأطعمها فما تنال رماحه

لحوماً وهو حظّ الجيش منها غنائمه

يجاهد بالقرآن من زاغ واعتدى

فان هم أبوا سلت عليهم صوارمه (٢)

ويقول مستنهضاً الإمام فيصل بن تركي :

فياليت شعري هل سراً حماتهم

نيام فهم ما بين لاه ولا عاب

أم الحد منهم كلّ؟ أم زندهم كبا ؟

أم القوم غروا بالأماني الكواذب

لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرى

فصارت بهم تعدو صفار الثعالب

وأنى يحوط الملك إلا سميذع

يخوض لظى الهيجا ليس بهائب

له غيرة تحمي الرعايا كأنهم

حمية ضرغام جسور مواثب (٣)

(١) السراحين : مفردهما السرحان وهو الذئب (لسان العرب مادة سرح)

وحوائمه : من حام الطير وغيره حول الشيء يحوم حوماً وحوماناً

أى دار (المرجع السابق مادة حوم)

(٢) الديوان ص ٩٦

(٣) الديوان ص ٤٧

وقد ازدانت قصائد الشاعر بأقياس من القرآن والحديث .
من مثل قوله :

ولكن أخاف المفسدين فسالموا
وسفك الدما بالحق للدم عاصمه (١)

يشير الى قوله تعالى :
(ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) (٢)
وقوله :

لئن كنت في دار من الآلف نازحاً
غريباً فدين الله في الأرض أغرب
وان ذوى الايمان والعلم والنهسى
هم الغرباء ، فطوبى لهم ما تغربوا (٣)
إشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام :

(بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء) (٤)
وكثيراً ما يضمن شعره أشعاراً أخرى ، كما في قوله :

فمن ذلك الفتح المبين الذى لــــه
تهلل وجه الدين وابتسم الثغر
تفتح أبواب السماء لمثلــــه
ويعلو بسيط الأرض أثوابها الخضــــر (٥)

-
- | | |
|---|-------------------------|
| (١) الديوان ص ٩٦ | (٢) سورة البقرة آية ١٧٩ |
| (٣) الديوان ص ٣٢ | |
| (٤) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان (باب بيان ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه بيارز بين المسجدين) | |
| (٥) الديوان ص ٦٦ | |

فقد ضمنه قول أبي تمام :

فتح تفتح أبواب السماء لله

وتبرز الأرض في أثوابها القشب (١)

وقوله :

وخريدة زفت اليك بدلها

تشفي الضجيع ببارد بسام (٢)

مضمنا اياه شطربيت لحسان بن ثابت هو :

تبلت فوء ادك في المنام خريدة

تسقي الضجيع ببارد بسام (٣)

وقوله :

يمرون بالدهناء خفافا عياهم

ويرجعن من جدواه بجر الحقائق (٤)

وصدر البيت مأخوذ عن أعشى همدان في قوله :

يمرون بالدهناء خفافا عياهم

ويخرجن من دارين بجر الحقائق (٥)

ولعل شعر المتنبي كان له في ذلك المجال النصيب الا وفي ، فقد

عيب منه ابن مشرف وبلسانه تفصح ، ولمح ذلك في قوله :

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ص ٤٦ .

(٢) الديوان ص ٩٩ .

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقي ص ٤١٨ .

(٤) الديوان ص ٤٦ .

(٥) المكامل للمبرد ج ١ ص ١٠٧ .

تعودت بسط الكف طبعاً ، وانحـا

لـكل امرئ من دهره ما تمسودا (١)

مضمنا اياه شطربيت المتنبي في قوله :

لـكل امرئ من دهره ما تمسودا

وعادة سيف الدولة الطمن في المدا (٢)

وقوله أيضا :

ودونك نظما من أديب يصوغه

إذا قال شعرا أصبح الدهر منشدًا (٣)

وأحد شطريه مأخوذ من قول المتنبي :

وما الدهر إلا من رواة ثلاثـدى

إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدًا (٤)

وهو يضمن شعره أمثالا وحكما ، كما في قوله :

والنار بالزنددين ابراء هـ

وأول الحرب قبيح الكلام (٥)

وقول أيضا :

ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه

فكم خرم الجزدان في سد مأرب (٦)

(١) الديوان ص ٥٤

(٢) ديوان المتنبي بشرح المعبرى ج ١ ص ٢٨١

(٣) الديوان ص ٥٧

(٤) ديوان المتنبي بشرح المعبرى ج ١ ص ٢٩٠

(٥) الديوان ص ٩٧ (٦) الديوان ص ٤٧

المحسنات البديعية في شعره :

وهي قليلة عند ابن مشرف قياسا لما عرف عن شعراء عصره تجي*
عفوا ، فمن المحسنات المعنوية قوله مطابقا :

لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرى

فصارت بهم تعدو صفار الثعالب (١)

فيه قد بدءوا واختتموا

فهو كالمسك له في الختم نفح (٢)

وقوله أيضا :

فنشكو الى الله الزمان الذي استولى

لدى أهله فس الكلام وناقضه (٣)

ونجد أيضا الثقابل في شعره وهو من اكر المحسنات دورانا في شعره :

يمرون بالدهناء خفافا غيا بهم

ويرجعن من جدواه بهجر الحقائق (٤)

فكم مسجد قد أسسوه على التقى

وكم مشهد للشرك بنيانه هددوا (٥)

كذا الآل والصحب الأولى بجهادهم

سما وعلا الاسلام وانخفض الكفر (٦)

(١) الديوان ص ٤٧ .

(٢) الديوان ص ٥٠ .

(٣) الديوان ص ٩٠ .

(٤) الديوان ص ٤٦ .

(٥) الديوان ص ٥٢ .

(٦) الديوان ص ٦٧ .

ونجد أيضا محسنات لفظية من مثل قوله :

فهو في يوم الوغى ليث عدى

وهو في يوم الندى غيث يسح

بذلوا الأَنفس والأَنفس _____

ما لهم لله ما ضنوا وش_____هوا (١)

وقوله :

لقد أسقمت منها جفون سقيمة

ومذ كمتني فالقواء كليم (٢)

ومن هذه المحسنات في شعره قوله أيضا في هجاء (عين نجم)
بالأحساء :

فيا خسارة من بالمال شيدها

الدمع من عينيه يجرى على العين (٣)

فقد وقع له جناس لطيف .

ولا نجده يكلف بالبديع كلف معاصريه من الشعراء الذين أولعوا به ،
وهذا يوءد ما أشار اليه أحد الباحثين بقوله :

"وهو أقل الشعراء التفاتا إلى حلي البديع ، ولم يمن بما عني به
المتأخرون من معارضة أو تشطير أو تعجيز" (٤)

وما وجدناه في شعره الذي بين أيدينا مقطوعتين أولاهما همزية

(١) الديوان ص ٥٥٠ .

(٢) الديوان ص ٩٤ .

(٣) الديوان ص ٣٥ .

(٤) الشعر في الجزيرة العربية ص ٥١٢ .

لبعض الشافعية فصدرها وعجزها الشاعر (١) ، والثانية للإمام محمد
ابن ادريس الشافعي ومنها :

بالجد يدنو كل أمر شاسع
والجد يفتح كل باب مفلق
وإذا سمعت بأن مجدودا حوى
عودا فأثمر في يديه فصـدق
لو كان بالحيل الفنى لو جدتني
بنجوم أفلاك السماء تعلقني (٢)

فصدرها وعجزها ابن مشرف :

بالجد يدنو كل أمر شاسع
حاولته في مغرب أو مشرق
وبه ترى الأمر المسير ميسرا
والجد يفتح كل باب مفلق
وإذا سمعت بأن مجدودا حوى
عودا من الميدان ليس بمورق
فاخضر حين حوته راحة كفه
فورا وأثمر في يديه فصـدق
لو كان بالحيل الفنى لو جدتني
أثرى الورى في خصب عيش مفـدق

(١) ديوان ابن مشرف ص ٤٠ .

(٢) ديوان ابن مشرف ص ٨٣ وفي ديوان الشافعي ص ٦٤ - ٦٥ .

(مع اختلاف في بعض الفاظها وترتيب أبياتها) .

وبلغت أعلى رتبة ورايتنسي

بنجوم أفلاك السماء تعلقلي (١)

واعتاد شعراء عصره ختام قصائدهم بالتاريخ الشعري (٢) أو عطية
حساب الحروف الأجدية ليستخرج منها القراء تاريخا لحادثة هامة
كولاية وال أو خراب مدينة أو بناء قصر .

ونجد ابن مشرف يختم أبياتا بمناسبة بناء جامع الهفوف سنة

(٥١٢٧٨ هـ) :

يا من أشاد جامعا

لله في الأحسا عـ

به يسر كل مـ

لله مولا نا شـ

بشراء يا عامـ

غدا ببيت مـ

في جنة عاليـ

ذات قصور و ثـ

من أجل ذا تاريخـ

مـ عز أغـ (٣)

(١) الديوان ص ٨٤ .

(٢) وهو ان ينظم الشاعر في آخر أبياته كلمات اذا حسبت حروفها بقيمتها
الرقمية اجتمعت منها سنوات التاريخ المقصود ، ولا بد للناظم
من ذكر لفظة تاريخ أو أحد مشتقاتها ثم يورد بعدها الكلمات
المتضمنة للتاريخ .

(٣) الديوان ص ٧٣ .

ومن سمات شعره أيضا التزامه المقدمة الغزلية في شعره الا قليلا
وهو في هذا يخالف غيره من شعراء الدعوة الذين تخلوا عن هذه
المقدمة لجدية الموضوعات التي طرقتها ،

واعتاد ان يختم قصائده بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اضافة
الى اعادته أحيانا صدر البيت لعجز لبيت الختام (١) .

يقول مثلا في مطلع القصيدة :

بشراك يا منفق الأُمُوال بالخلف

وعدا من الله حقا غير مختلف

ثم يختم القصيدة بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم :

ثم الصلاة مدى الأُزمان ما قطفت

من الغصون جناها كف مقطف

على الذي أشرقت أنوار مولده

بالبشر فارتجف الايوان ذو الشرف

وأخمدت ليلة الميلاد طلمتسه

نار المجوس فتالوا غاية الأسف

والآل والمحب ما قال الا ديب لنا

بشراك يا منفق الأُمُوال بالخلف (٢)

(١) الشمر في الجزيرة العربية ص ٤٣٠ ، ٤٣٣ .

(٢) الديوان ص ٨٢ - ٨٣ .

اختياره لقصائده البحور التي تتناسب والدفاع عن الدعوة والرد على خصومها
والمدائح والشعر السياسي مثل الطويل والبسيط .

ميله لبحر الرجز في شعره الا^١خلاقي وبعض مسائل العقيدة التي تحتاج
الى تنويع القافية حتى يتمكن الشاعر من الالمام بها وايضاها .

فخر الشاعر وادلاله بشعره كقوله :

ودونك نظاما من أديب يصوغه

إذا قال شعرا أصبح الدهر منشدا

إذا شاعر أهدى لكم خرزاته

بعثنا اليكم لو^٢ لو^٣ ا وزبرجدا (١)

وقوله أيضا :

واني من سيوفك لست أنبـو

أنافح من قلاك ولا أبالسي

وأنسج في علاك برو د مـدح

وأدراعا تقي وقع النصـال (٢)

وأحيانا يقرن فخره بطلبه العطاء من مثل قوله :

ودونكها منظومة عبقرية

تناثر من أصداف أبياتها الدرر

فعجل قراها ، فالضرورة أوجبت

وكاد يكون الفقر لولا الهدى كفر (٣)

(١) الديوان ص ٥٧ .

(٢) الديوان ص ٩٠ .

(٣) الديوان ص ٧٣ .

وهو أمر نراه عند غيره من الشعراء ؛ ومنه قول الشاعر الأحمسي
على بن المقرب :

فكم سارلي في مدحكم من غريبة
تروق وأغلى الشعر مهرا غرائبه (١)

ومن سمات شعره أيضا خلوه من المبالغات التي نراها عند غيره من
الشعراء من قدامى ومعاصرين ولعله في ذلك يتمثل بقول
الشاعر :

وان أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال اذا أنشدته صدقا (٢)
وسمة أخرى تردت في أكثر شعره وهي الاستفهام غير الحقيقي :
مثل قوله :

الشمس تجلت من خلال السحاب
أم البدر جلى حالكات النياهب؟
أم انجابت الظلماء عن لمع بارق
تلاؤلا من ثغر لا حدى الكواكب؟
فقد خرج الاستفهام هنا الى المدح والثناء .
وقوله في نفس القصيدة :

فياليت شعري هل سراً حماتها
نيام ، فهم ما بين لاه ولا عاب

(١) ديوان ابن المقرب ص ٦١ .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن الهرقوقي ص ٣٤٨ .

أم الحد منهم كل ؟ أم زندهم كبا ؟

أم القوم فروا بالاثمان الكواذب (١)

والاستفهام هنا خرج الى الذم والهجاء .

وقوله أيضا :

كيف أسلو والهوى مستحكم

أنحل الجسم وفي الأحشاء جرح (٢)

وفي هذا البيت خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى الاستبعاد .

وقوله :

فهل يستقيم الدين الا بدعوة

الى الله يتلوها سنان ومرهف (٣)

وفيه خرج الاستفهام الى النفي .

ونلاحظ في كثير من شعره حوارا قصصيا جميلا ، كقوله :

فحيت بتسليم فاحسنت رده

وقلتها قول المحب المعاتب

صليت بنار الهجر أحشاء مولع

فلم يطفها ماء العيون السواكب

فقلت : ألم تعذر ، فكم حال بيننا

من المهمه الزيزاء وبعد السباب (٤)

(١) الديوان ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) الديوان ص ٤٩ .

(٣) الديوان ص ٨١ .

(٤) الديوان ص ٤٧ .

وقوله :

فلما أن انخناها جميعا

بساحته وأقرينا السلا ما

بلغنا كل مأمول وقصد

ونلنا فوق ما نبغي المرا ما

فقال لنا ملا طفة ورفقا

أجئتم والشتاء دهي الا ناما

فقلنا : في مودتكم أتينا

ولو ترك القلا لغفا وناما (١)

قد زارني في هجمة طيفها

من بعد أن نام كير الا ننام

فقلت في الاعتبار : ما الجفا ؟

ان الوفا بالعهد دين الكرام

قالت خذ المذر ، فمن بيننا

قد حال أوباش جفاة طفام

فقلت : لا تخشى ولا تحذرى

ما صلب السيف يمين الامام (٢)

ولعل هذه المقدرة القصصية تتضح فيما نلاحظه من القصص الرمزية على
لسان الحيوان كما رأينا في أرجوزته الأخلاقية التي دعمها بالقصص
الرمزية .

(١) الديوان ص ٩٣ .

(٢) الديوان ص ٩٧ .

شخصيته الأدبية

تتضح شخصية الشاعر الأدبية من مواقف كثيرة في عصره منها :

(١) رد الشاعر ابن مشرف على قصيدة الشاعر (علي بن الحسين الحفظي)
وكان أمير اليمن (عائض بن مرعي العسيري) قد أرسل هذه القصيدة
مع هدية للإمام فيصل بن تركي وفيها يذكر الشاعر مفاخر قومه
وما أعطى الله أميرهم (عائض) من النصر والظفر على الأعداء (٢) .

وقد أجابه ابن مشرف بقصيدة مقاربة لها في الطول وهي من نفس
البحر والقافية ، ومطلع قصيدة الحفظي :

أيا أم عبد مالك والتشـــــــــــــــــرد

ومسراك بالليل البهيم لتبعد (٣)

و مطلع قصيدة ابن مشرف :

بشير سعاد جاء نحوك فاســــــــــــعد

وقد وعدت فأوفت بموعــــــــــــد (٤)

-
- (١) ولد سنة (١٢١٧ هـ) في بلدة (رجال ألمع) وبعد ان تلقى
العلم في بلدته ارتحل لطلبه كمادة أفراد أسرته ، وقد تولى القضاء
في أبها في عهد الأمير (عائض بن مرعي) (نفحات من عسير ص ١٢٥)
(٢) ديوان ابن مشرف ص ٥٧ .
(٣) نفحات من عسير ص ١٢٦ .
(٤) ديوان ابن مشرف ص ٦٠ .

ولولا ما عرف عن الشاعر من مقدرة شعرية أهله للرد على مثل هذه القصيدة الموجهة للإمام فيصل لكان في الميدان من هو أجدر ان لا تكفي مكانة الشاعر عند الامام وحدها في مثل هذه المواقف كما أشرنا الى ذلك (١) .

ونرى أيضا الأُمير احمد بن محمد السديري وكان ان ذاك أميراً في الأحساء سنة ١٢٦٧ هـ اتصله قصيدة من الشاعر عبد الجليل البصري فيطلب من ابن مشرف الرد عليها ، وقد أجابه لذلك بقصيدة من نفس البحر والقافية (٢) ، وقد عرضنا لها في شعر الاخوانيات .

(وبعد) فهذا هو ابن مشرف الذي نصب نفسه لشرح أفكار الدعوة السلفية والدفاع عنها ثائراً على أصحاب البدع والخرافات التي لا يقلها الديـن والتي جرت الوبال على المسلمين ، وانحرفت بهم عن الجادة فوقعوا فـي الشرك وهم لا يدرون ، وان تعاليم الاسلام واضحة في كل فنون شعره .

(١) انظر مكانته في قومه : ص ١٢٩ .

(٢) ديوان ابن مشرف ص ٧٤ .

(٣) ولد بالهجرة سنة ١١٩٠ هـ وتنقل بين الأحساء وقصر البحرين والكويت وتوفي بها سنة ١٢٧٠ هـ وله ديوان مطبوع (روض الخلي والخليل ديوان السيد عبد الجليل) من منشورات المكتب الاسلامي بدمشق الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٣ هـ (الشعر في شرق الجزيرة د . عبدالله آل مبارك ص ٢٣) .

(٤) الديوان ص ٧٥-٧٦ .

الخاتمة

ملخص البحث ونتاجه

(وبعد) فهذا هو ابن مشرف ، شاعر الدعوة الإصلاحية التي ظهرت في نجد في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، وتردد صداها في الأوساط تلك البقعة التي ولد فيها الشاعر ، واحتضنته طفلاً ، ورعته شاباً ، وياقماً ، فعاش ما عاش في رحابها يتقلب بين أعطافها ، وهي الغنيمة بمناظرها ومواردها ، الزاخرة بعلمائها وأدبائها ما مهد لابن مشرف الطريق ، طريق الكمال العقلي ، فقد كان لذلك كله أثر في شاعريته كما رأينا .

وإذا كان الله تعالى قد قيض للإسلام من يقوم من أعوجاج أبنائه ويمدّل مسارهم ، ويصحح مفهومه في أذهان العامة ، ويدعو إلى تخليصه من البدع والخرافات تحت لواء شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومساندة الدولة السعودية ، ممثلة في مؤسسها الإمام محمد ابن سعود . . فقد قيض لها أيضاً من يشرح أفكارها ، بكل ما أوتي من علم ويزود عنها بكل ما أوتي من بيان ، من أمثال ابن غنام وابن مشرف وابن عثيمين وغيرهم من شعراء الدعوة ، وكان لابن مشرف في ذلك القوائد الطوال نخص بالذكر منها تلك القصيدة التي رد فيها على أهل التجهم والاعتزال وسماها :

(الشهب المرمية على المعطلة والجهمية)

وعلى كل فإن هذه الدعوة التي أيقظت الحياة الفكرية ، أيقظت الأدب أيضاً وبعثته من سباته ، وخلصته مما كان ينوء به في العصر العثماني من الصناعة اللفظية التي هوت به في قوارس عيق .

لقد تغلغلت الدعوة في أعماق الشعر وسيطرت على فنونه وأغراضه ،
فطبعته بطابعها الديني ولم يخل منها غرض حتى الفزل . ولقد
تفصح الشعراء ان ذاك بلسانها وشدوا بتعاليمها المستمدة من
الكتاب والسنة ، وقد بدا ذلك جليا في شعر ابن مشرف كما رأينا .

أما عطاءه العلمي والأدبي فيتمثل في مختصره لصحيح مسلم
ونظمه لعقيدة ابن أبي زيد القيرواني ، ثم ديوانه الذي أفضنا في
دراسته واستجلينا من خلاله الروح الإسلامية التي تعمقت كل نتاج
هذا الديوان .

وقد تعددت فنون شعره وهي شعر الدفاع عن الدعوة وتمثل ذلك
في شرح أفكارها ومناقضة خصومها ، وهو يستهدف من هذه النقائص
والأهاجي ردع الخصوم المجانين للحق لا ما تعودناه في شعور
النقائص ، والأهاجي من النيل من الخصم ولو أدى ذلك الى قلب
الحقائق وهو بهذا يمثل المسلم الغيور على عقيدته .

ثم هو في شعره السياسي والاجتماعي نراه يستنهض الامام فيصل
ابن تركي لردع المفسدين ويدعوه الى الحزم والقوة معهم ، وهو أيضا
يظلم بمشكلات أمته ويناشد الامام حلها .

وقد استطاع ابن مشرف بذلك أن يصور عصره سياسيا واجتماعيا .

أما فن المديح عنده فهو جانب ثمر من جوانب شاعريته ، فهو
قد عاصر الامام فيصل بن تركي الذي أحيا كثيرا من أمجاد الدولة
السعودية ونصر الدعوة السلفية ، فكان طبيعيا أن يوجه الشاعر مدائحه
لهذا الامام ثم الى أولئك الأسلاف الدعاة من أمثال الشيخ محمد بن
عبد الوهاب وأبنائه ثم الحكام من آل سعود .

ونصل الى فن الوصف وابن مشرف شاعر يستهويه جمال الطبيعة فيتغنى به في أبيات رائعة ، لكنه وهو الشاعر الذي جفد شعره لخدمة العقيدة ينصرف الى جانب وصفي جاد وهو وصف الممارك الحربية في عصره ، وهذا الوصف تخلل قصائده لاستنهاض الامام فيصل بن تركي على قتال المعتدين ، أو تهنيئته بالنصر في معاركه أو في مدائحه له ، وهذا الوصف تبدت من خلاله جوانب فنية وتاريخية قيمة .

وقد وضع لنا في شعره الأخلاق منهاجاً متكاملًا ، فقد تحدث عن الصداقة وآدابها وصفات الصديق الجدير بالمواءاة ، وعرض أخيراً لبعض الصفات السلبية التي ينبغي الحذر من صاحبها كالحمق والبخل والكذب ، وقد دعم بعض هذه الفصول بالقصص الرمزية على أسنة الحيوان والطير لتكون النصيحة أبلغ والحكمة أوقع .

وفي الحكمة نجد للشاعر نظرات صائبات فهو يدعو الى الجلد والقوة في مواجهة أحداث الأيام ، ويدعو أيضاً الى البذل والعطاء .

وفي الرثاء تعددت موضوعات رثائه ، فقد رثى الأشخاص وتشمل ذلك في رثائه لشخصيتين هامتين هما الامام فيصل بن تركي ، والعالم عبد العزيز بن حمد بن ممر ، ولعل الشاعر يرثي فيهما العدل والعلم ففصيل حاكم حقق الكثير من الأمن والرخاء للرعية في وقت عز فيه ذلك وابن ممر عالم شهد له معاصروه بالفضل والاخلاص .

ثم نجد له رثاء للعلم وبرد ضياعه الى ضياع الدين ، ثم رثاؤه للعدن كما في رثائه للدرعية معقل الدعوة الاصلاحية ابان ظهورها .

ونقف أمام اخوانياته فنراه يحتفي باخوانه وأهل مودته وهذا يتفق وتعاليم الاسلام التي تحت على صلة المسلم لاخيه المسلم .

أما منظوماته التاريخية فنجده يتابع التاريخ الاسلامي منذ عهد الرسول وخلفائه والدولة الأموية والعباسية ويعطينا من خلال ذلك صورة صادقة عن سجايا أولئك الأعلام للأسوة والعبرة ويقف أمام بعض الأحداث الهامة التي ألمت بالامة الاسلامية كفتنة البردة في عهد الصديق ، ثم ذلك الهجوم التتري في عهد الخليفة العباسي المستعصم ،

أما في الغزل فان للشاعر في مقدمات قصائده غزلا طريفا غير أنه في كل ما أتى به لا ينحرف عن مساره الاسلامي فلا نجد فيه ابتذالا ولا فحشا ، وقد رأى البعض في تلك المحبوبة التي تغنى بها رمزا للدعوة الاصلاحية التي ملكت عليه مشاعره ووجهت شاعريته . وفي الزهد نراه يدعو الى الانصراف عن ملذات الدنيا الفانية والتزود من الأعمال الصالحات ، وذكر الموت والتأهب له .

ومن كل ذلك نصل الى أن تعاليم الاسلام واضحة في كل شعر ابن مشرف .

ولعل من الطبيعي أن تسفر كل دراسة في الأدب أو غير الأدب عن نتائج هي ثمرة لمتابعة طويلة ، وكذلك كان الأمر مع ابن مشرف فقد نقت عنه في مظانه المختلفة وتابعته في حياته وعشت معه طويلا في جوه الأدبي فكانت هذه النتائج التي أسفر عنها البحث :

* لقد تبين لي أن ابن مشرف ينطلق في كل شعره من منطلق ديني وينزع فيه عن عرق اسلامي عريق .

* وأن ما اتسم به بعض شعره من صبغة علمية — كما في شعره الديني لشرح أفكار الدعوة ومنظوماته التاريخية وأرجوزته — الأخلاقية وكان يهدف منها إلى غرض تعليمي — لا يظل من قيمة شعره الفنية وليس مقياسا لشاعريته التي تجلت في فنونه المختلفة .

* أنه مثل شعر الدعوة ومثل بيئته الأخلاقية وفي ذلك ما يدل على تفوقه ، فهو يساير شعراء الدعوة من دفاع عنها ومناقضة لخصومها ، ووصف الممارك والحروب والشعر السياسي ثم هو لا يغفل أغراض بيئته من مثل الأخوانيات والشعر التعليمي وشعر الزهد ، ونجده يحتذى بهم أيضا في فن القول والأداء فنجد له تصديرا وتمجيذا وتأريخا شعريا للأحداث .

* أن صوت ابن مشرف كان أعلى صوت في الميدان دافع عن الدعوة ضد خصومها تؤيد هذا المصادر التاريخية الأدبية لعصره ، فلم تحفظ لنا اسم شاعر عاصره وكانت له مثل مساهمته الشعرية ، وأيضا ما زخر به ديوانه من مثل شعر الدفاع عن الدعوة شرحا لأفكارها ومناقضة لخصومها ومديحا لمناصريها من أئمة وقادة .

* تفوق ابن مشرف الشعري على معاصريه من شعراء الأحرار كأبي بكر الملا فشعره لا يخرج عن المديح والغزل التقليديين .

* تأثيره الشديد فيمن جاء بعده من الشعراء كالعلاجي وعبد اللطيف آل مبارك وغيرهما ، فهذا الشعر السياسي القوي عند ابن مشرف لا نجد له نظيرا في الشعر الأخلاقي إلا بعده .

* إضافة الى ذلك فقد أضفت الى ديوان الشاعر في طبعته
الرابعة التي بين يدي قصيدتين خلا منهما ، احدهما في الرثاء
للشاعر عبد العزيز بن حمد وقد عثرت عليها في كتاب (روضة
الناظرين في مآثر علماء نجد وحوادث السنين) لمحمد بن عثمان ،
والأخرى في الاخوانيات وجدتتها في كتاب (عقد الدرر)
لابراهيم بن عيسى ، وليس ببعيد أن يكون له غير هذين شعرا
مفقود سوف تكشف عنه الأيام .

فهرس المراجع

- ١ — الأُذب المحدث في نجد : تأليف د. محمد بن سعد بن حسين الطبعة الأولى، مطبعة الفجالة .
- ٢ — الأُذب المفرد : لأبي عبدالله بن محمد بن اسماعيل البخارى الطبعة الثانية المطبعة السلفية .
- ٣ — الأعلام : لخير الدين الزركلي الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م دار العلم للملايين بيروت لبنان .
- ٤ — الأغانسى : لأبي الفرج الأصفهاني . الناشران صلاح يوسف الخليل — دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٠ هـ .
- ٥ — الأمالسى : لأبي على اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي . مركز الموسوعات العالمية بيروت .
- ٦ — تاريخ الأُحساء السياسى : للدكتور ^{محمد} عرابى نخلة — منشورات ذات السلاسل الكويت ١٤٠٠ هـ .
- ٧ — تحفة المستفيد بتاريخ الأُحساء في القديم والجديد . تأليف محمد بن عبدالله الأنصارى القسم الأول : تحقيق حمد الجاسر . الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م .

- ٧ — تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء : القسم الثاني : تحقيق محمد زهير
في القديم والجديد .
الشاويش الطبعة الاولى سنة ١٢٨٢ هـ
١٩٦٣ م منشورات المكتب الاسلامي
بدمشق .
- ٨ — جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد : تأليف حمد الجاسر الطبعة
الاولى ١٤٠١ هـ منشورات دار
اليمامة للبحث والترجمة والنشر
الرياض — المملكة العربية السعودية .
- ٩ — الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية : للدكتور بكرى شيخ أمين الطبعة
الاولى ١٣٩٣ هـ . مطابع دار صادر
بيروت .
- ١٠ — دراسات في الأدب العربي على مر العصور : للدكتور عمر الساسي الطبعة
الاولى ١٣٩٨ هـ — دار الشروق .
- ١١ — ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : تحقيق محمد عبده عزام الطبعة
الثالثة دار المعارف بمصر .
- ١٢ — ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : لعبد الرحمن السبرقوقي ،
دار الأندلس بيروت ١٩٨٠ م .
- ١٣ — ديوان الخنساء : دار صادر — دار بيروت ١٣٨٣ هـ
- ١٤ — ديوان ذو الرمة : تحقيق كارليل هنرى هيس مكارتنى
١٣٣٧ هـ
- ١٥ — ديوان ابن سحمان المسمى بمعقود الجواهر المنفذة الحسان : المطبعة المصطفوية

- ١٦ — ديوان الشافعي : جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي
الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ مؤسسة
الزعبي بيروت .
- ١٧ — ديوان الأعشى : دار صادر بيروت .
- ١٨ — ديوان طرفة بن العبد : دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩ هـ .
- ١٩ — ديوان ابن مشرف : الطبعة الرابعة - نشر
مؤسسة الفلاح .
- ٢٠ — ديوان ابن المقرب : تحقيق وشرح عبدالفتاح الحلو
الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣ هـ الناشر
مكتبة التعاون الثقافي .
- ٢١ — ديوان أبي الطيب المتنبي : تحقيق مصطفى السقا - ابراهيم
البياري - عبد الحفيظ خلبي .
بشرح المعكري
- ٢٢ — روضة الأفكار والأفهام : حسين بن غنام الطبعة الاولى
سنة ١٣٦٨ هـ .
لمرتاد حال الامام وتعداد
غزوات ذوى الاسلام .
- ٢٣ — روضة الناظرين عن مآثر
علماء نجد وحواث
السنين . : لمحمد بن عثمان بن صالح بن
عثمان الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ
مطبعة الحلبي .
- ٢٤ — زعماء الإصلاح في
العصر الحديث : تأليف أحمد امين ، الطبعة
الثالثة سنة ١٩٧١ م ملغزة الطبع
والنشر مكتبة النهضة المصرية .

- ٢٥ — سلافة العصر في محاسن : للسيد علي صدر الدين المدني
الشعراء بكل مصر .
المعروف بابن معصوم الطبعة
الثانية ١٣٨٢ هـ .
- ٢٦ — سنن أبو داود : لسليمان بن الأشعث السجستاني
مراجعة وضبط و تعليق محمد محي الدين
عبد الحميد دار الفكر .
- ٢٧ — سنن الترمذی : لأبي عيسى محمد بن سورة
الترمذی تحقيق عبدالوهاب
عبد اللطيف ١٤٠٠ هـ دار الفكر
للطباعة بيروت .
- ٢٨ — سنن ابن ماجه : لأبي عبدالله محمد بن يزيد
القزويني تحقيق محمد فؤاد
عبد الباقي . دار الفكر للطباعة
والنشر (بدون طبعة وتاريخها)
- ٢٩ — السيرة النبوية : لأبي محمد عبد الملك بن هشام
المعافري تحقيق ^{طه} عبدالرؤف \ دار
الجيل بيروت سنة ١٩٧٥ .
- ٣٠ — الشعر الحديث في الحجاز : عبدالرحيم أبو بكر ١٣٩٧ هـ
المطبعة السلفية .
- ٣١ — الشعر في الجزيرة العربية : للدكتور عبدالله حامد الطبعة
نجد والحجاز والأحساء الأولى ١٤٠٢ هـ
والقطيف خلال قرنين
(١١٥٠ - ١٣٥٠ هـ)

- ٣٢ — الشعر في شرقي الجزيرة : للدكتور عبدالله آل مبارك
الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ .
- ٣٣ — شعر النابغة الجعدي : الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ
المكتب الاسلامي للطباعة والنشر .
- ٣٤ — شعراء هجر من القرن الثاني : تأليف عبد الفتاح الحلبي
عشر الى القرن الرابع عشر . الطبعة الاولى سنة ١٣٧٩ هـ مطبعة
الفجالة .
- ٣٥ — الشيخ محمد بن عبد الوهاب : لعبدالله العثيمين دار العلوم
الرياض مطبعة نهضة مصر .
- ٣٦ — صحيح البخاري : لابي عبدالله محمد بن اسماعيل
البخاري مطبعة البابي الحلبي
١٣٧٨ هـ (دار احياء التراث)
- ٣٧ — صحيح مسلم " الجامع : للامام ابي الحسين مسلم بن
الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري
منشورات المكتب التجاري للصناعة
بيروت .
- ٣٨ — العقد الثمين من شعر : الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ مطابع
محمد بن عثيمين دار العروبة بقطر .
- ٣٩ — عقد الدرر فيما وقع في نجد : المطابع الوطنية الحديثة
في آخر القرن الثالث عشر بالرياض .
وأول الرابع عشر .

- ٤٠ — عنوان المجد في تاريخ نجد : لعثمان بن بشر تحقيق
عبدالرحمن آل الشيخ الطبعة الثانية
١٣٩١ هـ .
- ٤١ — القاموس المحيط : تأليف مجد الدين محمد بن
يعقوب الفيروزآبادي . دار الجيل .
- ٤٢ — قصيدة البردة : لكعب بن زهير شرح أبي البركات
ابن الأنباري دراسة وتحقيق د .
محمود حسن زيني — الطبعة الأولى
١٤٠٠ هـ مؤسسة تهامة .
- ٤٣ — الكامل في اللغة والأدب : لأبي العباس محمد بن يزيد
الهرودي . الناشر مكتبة المعارف بيروت .
- ٤٤ — لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين
محمد بن مكرم بن منظور دار صادر ،
دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ .
- ٤٥ — محمد بن عبد الوهاب : لأحمد عبد الغفور عطار ،
الطبعة الرابعة ١٣٩٢ هـ — منشورات
مكتبة عرفان بيروت .
- ٤٦ — مشاهير علماء نجد وغيرهم : لعبدالرحمن آل الشيخ الطبعة
الأولى ١٣٩٤ هـ دار اليمامة
 بالرياض .
- ٤٧ — المعجم المفهرس لألفاظ
القرآن الكريم . : لمحمد فؤاد عبد الباقي دار احياء
التراث العربي — بيروت لبنان

- ٤٨ — مقدمة رسالة ابن أبي زيد : لعبد الله الغنيان — مطبوعات
القيرواني .
جامعة الامام محمد بن سعود .
- ٤٩ — المعجم الجغرافي للبلاد : تأليف حمد الجاسر منشورات
العربية السعودية
المنطقة الشرقية .
الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ .
منشورات دار اليمامة .
- ٥٠ — المعجم الجغرافي للبلاد : تأليف حمد الجاسر — منشورات
العربية السعودية
دار اليمامة بالرياض .
(معجم مختصر) .
- ٥١ — الموسوعة الادبية : لعبد السلام الساسي سنة
١٣٩٤ هـ اخراج مطابع الثقافة
بمكة المكرمة .
- ٥٢ — نفحات من عسير : ديوان شعر لآل الحفظي جمع
محمد بن ابراهيم الحفظي ١٣٩٣ هـ .

*

الدوريات والصحف :

- ٥٣ — اتجاهات حديثة في الشعر : لمحمد الشناوي / مجلة الفيصل
السعودي
العدد السادس السنة الاولى ١٣٩٧ هـ .
- ٥٤ — علماء الأحساء ومكانتهم العلمية : للشيخ أحمد علي بن عبد الرحمن آل مبارك
والادبية
صحيفة المدينة العدد ٥٥٢٦ / ٥٥٢٧
سنة ١٤٠٢ هـ .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

أ - د

المقدمة

تمهيد : التعريف ببيئة الشاعر (الأحساء)

مدخل جغرافي :

حدودها - مناخها - ثرواتها - سكانها - من أشهر مدنها ٢

الباب الأول

عصر ابن مشرف

٧ الحياة الدينية *

٩ الامام محمد بن عبد الوهاب

٩ نسبه وحياته ، رحلاته ، دعوته

١٢ الحكم السعودي ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١٣ وفاته

١٥ أثر الدعوة الاصلاحية في الشعر السعودي

٢٧ الحياة السياسية *

تاريخ الأحساء من الاحتلال العثماني الأول

٢٨ الى الفتح السعودي سنة ١٣٣١هـ

٣٠ عودة بني خالد الى حكم الأحساء

٣٠ الاشتباكات العثمانية السعودية

٣١ عودة الامام فيصل بن تركي للحكم

٣٣ اضطرابات الحكم السعودي وعودة الحكم العثماني حتى عام ١٣٣١هـ.

٣٥ الحياة العلمية والأدبية *

٣٨ مكانة الأحساء العلمية

٤١ المكتبات

٤٢ حركة التأليف

٤٤	الشعر الاُحسائي قبل منتصف القرن ١٢ الهجري
٥٢	الشعر الاُحسائي خلال قرنين ١١٥٠-١٣٥٠ هـ
٥٣	شعر الاُخلاق والدعوة الى العلم
٦٢	الشعر السياسي
٦٩	فن الرثاء
٧٥	الهجاء والنقائض
٨٢	فن المديح
٨٨	شعر الاخوانيات
١٠٢	فن الوصف
١١١	فن الفزل

الباب الثاني

حياته وآثاره

١١٨	نسبه وقبيلته
١١٩	مولده ونشأته
١١٩	ثقافته
١٢٦	شيوخه وتلاميذه
١٢٩	مكانته في قومه
١٣٠	وفاته
١٣١	آثاره العلمية والاُدبية :
١٣١	أ - عقيدة ابن أبي زيد القيرواني
١٣٤	ب - اختصاره صحيح مسلم
١٣٤	ج - نظم كتاب العبادات ومنظومة في مسألة الطلاق
١٣٤	د - الديوان وطبعاته
١٣٤	الطبقات في غير الديوان
١٣٥	الطبعة التي اعتمدا عليها
١٣٥	عدد قصائد الديوان وأبياته

- ١٣٦ قصيدتان ليستا في الديوان
١٣٨ المأخذ على الديوان
١٤٠ أخطاء في ثنايا القصائد

الباب الثالث

الروح الاسلامية في شعره وخصائصه الفنية

- أولا : الروح الاسلامية في شعر الدفاع عن الدعوة ١٤٥
أ - شرح افكارها ١٤٥
ب - مناقضة خصومها ١٥٢
سمات شعر النقائض والهجاء ١٦٣
ثانيا : ... في الشعر السياسي والاجتماعي ١٦٨
خصائص شعره السياسي والاجتماعي ١٧٦
ثالثا : ... في شعر المديح والتهنئة ١٨١
المديح الخالص من المناسبات ١٨١
شعر المناسبات ١٨٩
سمات مدائح ابن مشرف وخصائصها ١٩٥
رابعا : ... في فن الوصف ٢٠٢
أ - وصف الطبيعة ٢٠٢
ب - وصف المعارك ٢٠٣
سمات فن الوصف ٢١٢
خامسا : ... في شعر الاخلاق والحكمة ٢١٣
أرجوزة ابن مشرف الاخلاقية ٢١٣
شعر الحكمة ٢٣٤
سمات وخصائص شعر الاخلاق والحكمة ٢٣٦
سادسا : ... في مراثيه ٢٣٧
أ - رثاؤه للأشخاص ٢٣٧
ب - رثاؤه للعلم ٢٤٠
ج - رثاؤه للمدن ٢٤٥
سمات الرثاء عند ابن مشرف ٢٤٧

٢٤٨	سابعا : ... في شعر الاخوانيات
٢٥٣	سمات اخوانياته
٢٥٤	ثامنا : ... في منظوماته التاريخية
٢٥٤	التأريخ للرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين
٢٥٧	التأريخ لبني أمية
	التأريخ لبني العباس
٢٦٣	سمات منظوماته التاريخية
٢٦٤	تاسعا : ... في زهدياته
٢٦٧	خصائص شعره في الزهد
٢٦٩	عاشرا : ... في فن الغزل
٢٧٩	خصائص شعر ابن مشرف في الغزل
	خصائص شعره الفنية :
٢٨٢	أ - المضمون
٢٨٢	ب - الصورة الفنية في شعره
٢٨٤	ج - الصياغة
٢٨٩	د - المحسنات البديعية في شعره
٢٩٨	شخصيته الأدبية
٣٠٠	الخاتمة - ملخص البحث ونتائجه
٣٠٦	المصادر والمراجع
٣١٣	فهرس الموضوعات